إيران تتحرك لتهميش مقتدى الصدر

ص3

الدراسة في الغرب بوابة شباب العرب للهروب من واقعهم

ص19

تيشاني دوشي: الإنكليزية موطني

ص14

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2018/07/08

24 شوال 1439

السنة 41 العدد 11042

Sunday 08/07/2018

41st Year, Issue 11042

المحنة: ما هو مصير المسيحيين في الشرق الأوسط

● اجتماع باري انطلاقة جديدة للتقارب بين الكاثوليك والأرثوذكس

❑ **باري (إيطاليا)** – شارك بطاركة من الشرق الأوسط، السبت، في اجتماع في باري بجنوب إيطاليا بدعوة من البابا فرنسيس، لمناقشة المحنة التي يعيشها مسيحيو الشرق بسبب الحروب وظهور تيارات إسلامية متشددة تستهدف وجودهم.

واستقبل البابا بحرارة البطاركة عند مدخل كاتدرائية القديس نيقولاوس، التي تضم رفات هذا القديس من مدينة ميرا (تركيا حاليا)، والذي مات في القرن الرابع الميلادي ويكرمه الأرثوذكس والكاثوليك.

وأعرب البابا فرنسيس في كلمة له عن مخاوفه من "تلاشي" الوجود المسيحي في الشرق الأوسط، ما سيؤدي إلى "تشويه وجه المنطقة"، معتبرا أن هذا التلاشي "يجري وسط صمت الكثيرين وتواطؤ الكثيرين".

وقال البابا إن "اللامبالاة تقتل، ونريد أن نكون صوتا يقاوم جريمة اللامبالاة".

ومضى يقول "نريد أن نكون صوتا لمن لا صوت لهم، وللذين يحبسون دموعهم لأن الشرق الأوسط يبكي اليوم، وللذين يعانون بينما يدوسهم الساعون إلى السلطة والثروة".

ويشعر غالبية رؤساء الكنائس الكاثوليكية بالقلق حيال مصير المسيحيين في منطقة الشرق الأوسط، بعدما أصبحوا هدفا للتنظيمات الإسلامية المتشددة التي استهدفت كنائسهم، ويواجهون تحديات عميقة ترتبط بحمايتهم، قبل إفراغ المنطقة من المسيحيين.

وباتت فرص الفراغ كبيرة وسط الصراعات المحتدمة بين التجمعات المسيحية نفسها بسبب تنوعها وتعدد ألوان طيفها، فضلا عن الانقسام التاريخي بين الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية.

ودعا البابا إلى باري ممثلي غالبية بطاركة الكنائس في الشرق الأوسط، من بينهم بطريرك القسطنطينية بارتلماوس الأول (تركيا) والمتروبوليت هيلاريون ممثلا لبطريرك موسكو كيريل، وأيضا بابا الأقباط تواضروس الثاني، وبطريرك الموارنة بشارة الراعي.

ومثلت عودة اللاجئين السوريين إلى بلادهم، وبينهم سوريون مسيحيون، أحد محاور الاهتمام في اجتماع باري.

واعتبر الراعي أن على الدول الغربية "تشجيع" اللاجئين السوريين على العودة إلى بلادهم، وأن ذلك "حق للمواطنين" يجب تمييزه عن الشق السياسي، أي ما تعلق بالموقف من نظام الرئيس السوري بشار الأسد.

لقاء الضرورة

وتابع أن على الحكومات "تقديم مساعدة مالية للأشخاص الذين طردوا من أراضيهم ليتمكنوا من ترميم منازلهم"، بدلا من تكرار الكلام بأنه "ليس هناك سلام"، في الوقت الذي "باتت فيه عمليات القصف محددة جدا".

ويتفق الراعي مع رئيس أساقفة حلب للروم الكاثوليك جان كليمان جانبار الذي قال إن "النظام شيء، والأرض شيء آخر".

وكان جانبار الذي لم يترك مدينته عند تعرضها للقصف أطلق حملة بعنوان "حلب تنتظركم" وأمّن تمويلا لعودة سكان من المدينة إلى منازلهم عبر تبرعات سويسرية.

ويقول جانبار إن "ما يحرمني من النوم هو الهجرة، وهي أسوأ ما يمكن أن يحصل لكنيستنا وبلادنا"، مضيفا أنه لم يعد من المناسب إقامة "ممرات إنسانية" إلى أوروبا.

أما بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس إغناطيوس أفرام الثاني المقيم في دمشق فقال "لدينا شعور بأنه تم التخلي عنا"، مضيفا "برامج المساعدات الحكومية الدولية لا تصلنا، وبدلا من مساعدتنا نتعرض للاتهام بأننا من أتباع النظام".

ورحب البطريرك بالاجتماع في باري، لكنه أعرب عن الأسف لمواقف البابا حيث قال إنه "يبدو وكأنه ينتقد طرفا واحدا فقط".

وكان البابا فرنسيس اعتبر، الأحد، أن الوضع "لا يزال خطيرا" في سوريا، في إشارة إلى عمليات قصف جديدة للنظام وحليفته روسيا في جنوب البلاد.

ويتوقع متابعون للشأن القبطي أن يعطي اجتماع باري انطلاقة جديدة للتقارب بين الكاثوليك والأرثوذكس، بعد تغيرات مهمة قام بها بابا الأقباط في مصر أطاحت ببعض قيادات الكنيسة المعروف عنها الطابع المتشدد ورفض التقارب بين الكنيستين.

لكن الباحث القبطي يوسف إدوارد قال إن الصلاة في كنائس مختلفة لا تعني أن هناك تقاربا حقيقيا، وحتى الصلاة من أجل الوحدة لا تعني أن هناك وحدة، واستشهد بقول البابا تواضروس نفسه بأن "الصلاة محبة ولا تعني موافقتنا على عقائد الكنائس الأخرى".

وأكد إدوارد في تصريح لـ"العرب"، أن ما يحدث من لقاءات وصلوات "تقارب شكلي للإيحاء بأن المسيحيين متوحدون، أملا في أن تقلل تلك الصورة من استهدافهم من قبل المتشددين، وأن هناك خلفيات سياسية وثقافية واجتماعية تجعل الوحدة بين الكنائس الشرقية مسألة صعبة".

قطر تسعى لوقف التراجع الحوثي في اليمن

❑ **صنعاء** – كشفت مصادر خاصة لـ"العرب" عن تزايد وتيرة الدعم القطري الإعلامي والسياسي والمالي المقدم للحوثيين في الآونة الأخيرة، وعزت ذلك إلى الخوف من خسارة المتمردين لمواقعهم ما يربك أجندة قطر التي تتقاطع مع الدور الإيراني في اليمن.

وقالت المصادر إن الدوحة أعادت افتتاح "مؤسسة قطر الخيرية" في صنعاء التي تسيطر عليها الميليشيات بغرض استخدامها كغطاء لنقل الأموال للحوثيين، إضافة إلى تمويلها إطلاق قناتين حوثيتين جديدتين هما "الهوية" و"اللحظة".

وأشارت مصادر "العرب" إلى أن سفارات الدوحة في الكثير من الدول تحولت إلى منصات سياسية وإعلامية لدعم المشروع الحوثي في اليمن والتحذير مما تعتبره قطر كارثة إنسانية سيتسبب بها تحرير مدينة الحديدة وميناءها.

ويعمل النظام القطري وفقا للمصادر على التقريب بين تيارات سياسية يمنية متباينة فكريا وأيديولوجيا على قاعدة العداء للتحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن. ويتكون هذا التحالف من التيار الإخواني الذي تتواجد قياداته في تركيا، إضافة إلى تيار منبوذ شعبيا من الحراك الجنوبي بزعامة فادي باعوم.

واتهم مسؤول يمني رفيع طلب عدم الكشف عن اسمه قطر بتأجيج أزمة مفتعلة حول تواجد قوات من التحالف العربي في محافظة المهرة على الحدود مع سلطنة عمان، حيث دأبت قناة "الجزيرة" على الإشارة إلى وجود حراك شعبي رافض للتحالف العربي في المحافظة.

وأرجع المسؤول اليمني سبب القلق القطري البادي للعيان من تواجد التحالف في المهرة ومنافذها البرية والبحرية إلى انعكاس ذلك بشكل سلبي على واردات الأسلحة المهربة من إيران إلى الميليشيات الحوثية.

واعتبر وكيل وزارة الإعلام اليمنية نجيب غلاب في تصريح لـ"العرب" أن تركيز قطر على محافظة المهرة يأتي في محاولة لتشويه دور التحالف العربي بعد أن تمكنت القوات المتواجدة هناك من قطع يد المهربين للأسلحة والممنوعات والأموال والقضاء على شبكات الحوثيين والقاعدة والإخوان التي استغلت المهرة كمنطقة عبور لتخريب الدولة اليمنية ومنافذها وتحويلها إلى مجال لإدارة الحرب وإفشال معركة إنقاذ الدولة اليمنية.

التطورات المتسارعة في جنوب سوريا رسالة إرباك أولى لولاية أردوغان الجديدة

● تلويح الأكراد بعقد هدنة مع دمشق يسحب مبررات الوجود التركي داخل سوريا ● توجه إقليمي ودولي لتمكين الأسد من السيطرة التامة

❑ **أنقرة** – تقول أوساط سياسية تركية إن الرئيس رجب طيب أردوغان الذي يسعى لأن يبدأ ولايته الجديدة بصورة الرئيس القوي سيجد نفسه في وضع معقد خلال أسابيع قليلة بسبب تطورات الأزمة السورية.

وترى هذه الأوساط أن استعادة الرئيس السوري بشار الأسد لمحافظة درعا بدعم روسي قوي وبتقبل أميركي وإسرائيلي واضح، يعني أن هناك توجها إقليميا ودوليا لتسريع سيطرة القوات الحكومية السورية على كل الأراضي السورية، ما يجعل الموقف التركي في وضع حرج.

ويجري الحديث عن أن واشنطن، التي قالت للمعارضة في درعا تدبروا أمركم في وجه الضغوط الروسية، نصحت الأكراد بتسليم مواقع نفوذهم في الشرق إلى الأسد، وهو ما يتبدى جليا في تعدد التصريحات الصادرة عن قيادات كردية، التي تتحدث فيها عن فتح قنوات تواصل مع دمشق.

ومن شأن تسليم الأكراد المدن الواقعة تحت سيطرتهم إلى دمشق أن يسحب كل مبررات التدخل التركي في شمال سوريا، ويضع أردوغان في حرج شديد بين أن يستمر بالمكابرة وإبقاء قوات تركية في الشريط الحدودي، أو أن يقرر الانسحاب دون أن يحقق ما وعد به جمهوره الانتخابي بالاستمرار شمال سوريا لفترة أطول.

ويعتقد محللون أن أردوغان سيجد نفسه مضطرا للتعامل مع الأمر الواقع الجديد الذي تخطط له روسيا بالتفاهم مع الولايات المتحدة وإسرائيل، وهو تمكين الأسد من بسط نفوذه على كامل التراب السوري بما يفضي لاحقا إلى انسحاب إيران والميليشيات التابعة لها بما في ذلك الآلاف من عناصر حزب الله اللبناني، وهو أمر سيجري لاحقا على تركيا، التي ستجد نفسها مجبرة على الانسحاب.

وأعلنت المعارضة السورية في جنوب البلاد، الجمعة، أنها وافقت على إلقاء السلاح بموجب اتفاق تم بوساطة روسية يتضمن أيضا تسليم محافظة درعا للحكومة في انتصار كبير آخر لبشار الأسد وحلفائه الروس.

وذكرت وسائل إعلام رسمية أن الحكومة السورية استعادت السيطرة على معبر نصيب الحدودي مع الأردن والذي ظل تحت سيطرة المعارضة لثلاث سنوات، وذلك بعد هجوم شرس، دعمته ضربات جوية روسية، على أراض خاضعة لسيطرة المعارضة المسلحة على الشريط الحدودي.

وتضع تركيا في حسابها إرضاء الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وتجنب إزعاجه حتى لا تتوتر العلاقة مع موسكو على نحو شبيه بالأجواء التي تلت إسقاط مقاتلة روسية على الحدود مع سوريا في نوفمبر 2015، وهو ما جعل روسيا تقرر سلسلة من العقوبات على تركيا، وانتهى الأمر بأردوغان إلى الاعتذار من بوتين وإجراء استدارة كاملة للمواقف التركية في المسألة السورية لتكون متلائمة تماما مع مواقف روسيا.

ويتساءل متابعون للشأن التركي عن مصير المقاتلين السوريين الذين وظفتهم أنقرة في السيطرة على عفرين وغيرها إن قبلت بالانسحاب من الأراضي السورية، فهل ستتركهم يواجهون مصيرهم أم ستسحبهم إلى داخل الأراضي التركية.

وقد يجد أردوغان نفسه مجبرا على التراجع عن شعاراته ضد الأسد ويرفع يده عن الآلاف من المقاتلين الذين تجمعوا على حدود السيطرة التركية في سوريا خاصة بإدلب، والذين يحتمون بشراكة تركيا في محادثات أستانة للسيطرة على المناطق الحدودية وإدارتها.

وربما يجد الرئيس التركي نفسه وحيدا بمواجهة ضغوط بوتين بتسريع تسليم الشريط الحدودي للقوات السورية، خاصة أن أنقرة وتّرت علاقتها بواشنطن بشكل غير مسبوق في الموقف من مدينة منبج والتعاون الأميركي مع العناصر الكردية في المدينة ومحطيها.

وكان السيناتور الأميركي لينزي غراهام حذر، الأربعاء، بعد اجتماعه مع أردوغان، من أن تركيا يمكن أن تجد نفسها في مستنقع إذا عمقت تدخلها في الحرب الأهلية في سوريا.

وقال غراهام، وهو عضو جمهوري في لجنة خدمات القوات المسلحة "حاولت إقناعه بأنك (أردوغان) تحتاج أميركا في سوريا لأن تبعات رحيلنا ليست جيدة".

إيران... والحليف الأميركي

خيرالله خيرالله

» ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

النظام الجزائري ينفذ إصلاحا داخليا قبل الانتخابات الرئاسية

حملات تطهير لحلقات السلطة من أجل استعادة الشعبية المنهارة

مثّلت فضيحة شحنة الكوكايين التي تم كشفها في الجزائر مؤخرا فرصة للنظام لإعادة ترتيب أوراقه بتنفيذ حملة تطهير واسعة النطاق استهدفت كبار المسؤولين العسكريين والأمنيين والمدنيين. ووجدت السلطات نفسها أمام حتمية تلميع صورتها بعد خسارة جزء كبير من ثقة الرأي العام، فباشرت عملية إصلاح داخلي استعدادا للانتخابات الرئاسية القادمة.

صابر بليدي

الواقع ليس مزهرا كالصورة

❏ **الجزائر** – استثمرت السلطات الجزائرية فضيحة شحنة الكوكايين لصالحها، فجعلتها فرصة لتطهير محيطها في إطار عملية تجديد، من أجل رفع منسوب شعبيتها مع اقتراب مرحلة العد التنازلي للانتخابات الرئاسية المنتظر إجراؤها في 2019. وتم استهداف العديد من الرموز والأسماء المحسوبة على السلطة بعدما تحولوا إلى عبء عليها، خاصة مع شبهات الفساد التي تحوم حولهم.

وقدم نائب وزير الدفاع وقائد أركان الجيش الجنرال أحمد قايد صالح قائمة جديدة بأسماء الضباط السامين في المؤسسة العسكرية إلى الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة من أجل إنهاء المهام أو تغيير في المناصب أو ترقيات. وتعد هذه الخطوة التي جاءت بمناس مواصلة لسلسلة تغييرات بدأها الجنرال قايد صالح منذ أيام.

وقبل أيام أنهى بوتفليقة مهام قائد جهاز الدرك الجزائري الجنرال مناد نوبة وعيّن الجنرال الغالي بلقصير خلفا له، وهو ما اعتبره متابعون العنوان البارز في حركة قايد صالح التي شملت جملة إقالات أخرى لضباط سامين شغلوا مناصب عسكرية حساسة.

> التغييرات الكثيرة تعكس توافقا واضحا بين القيادتين العسكرية والسياسية في الجزائر، بعد تداول أخبار عن وجود خلاف متصاعد بين الطرفين بشأن مستقبل البلاد السياسي

ومن بين من تمت إقالتهم مدير المستخدمين والتموين وعدد من مسؤولي المؤسسات الصحية والعقابية التابعة للجيش، ما جعل المراقبين يعتبرون قرارات الجنرال قايد صالح حملة تطهير عميقة وغير مسبوقة تستهدف إعادة ترتيب البيت الداخلي للمؤسسة العسكرية.

ويعيش الجهاز الأمني وضعا مشابها، إذ بعد إقالة مدير الأمن الجزائري الجنرال عبدالغني هامل التي أثارت الجدل أعفى خليفته العقيد مصطفى لهبيري مدير أمن العاصمة نورالدين براشدي إلى جانب تغييرات أخرى شملت مسؤولين في المؤسسة الأمنية وصفها خبراء بـ"الهامة والعميقة". ويعد براشدي أحد المسؤولين المحسوبين على اللواء هامل، الذي عيّنه في المنصب المذكور عام 2014 بعد مظاهرات الشرطة الجزائرية.

وفتحت فضيحة شحنة الكوكايين المحتجزة، نهاية يونيو الماضي، الباب أمام قيام السلطات بحملات تطهير واسعة النطاق. ومن المنتظر أن تطال العملية مسؤولين كبار في الحكومة والقضاء والسلطات المحلية، بعد ثبوت تورطهم في الفضيحة التي شملت تداعياتها الكشف عن فساد في قطاعات العقارات والمقاولات وشبهات تبييض للأموال والرشوة.

وعكست التغييرات الكثيرة توافقا واضحا بين القيادتين العسكرية والسياسية في البلاد، بعد تداول أخبار عن وجود خلاف متصاعد بين الطرفين بشأن مستقبل البلاد السياسي. ويعتبر مراقبون أن تضحية بوتفليقة بالجنرال هامل، وهو ذراعه الأمنية وأحد الفاعلين في محيط الرئاسة، جاءت توافقا مع قيادة الجيش في سياق عملية تجديد داخل النظام السياسي خاصة مع الإطاحة برؤوس قوية في المؤسستين. وقال المحامي والناشط الحقوقي بوجمعة غشير، في تصريح صحافي، إن "التحقيقات الأوّلية حول ملابسات شحنة الكوكايين وضعت السلطات في موقع حرج خاصة مع متابعة جهات ومنظمات دولية للملف". وتابع موضحا أن نتائج التحقيقات يجري توظيفها لتجديد مفاصل المنظومة الحاكمة، بشكل يعزّز ثقة الرأي العام الدولي في محاربة الحكومة الجزائرية للجريمة العابرة للحدود. كما يهدف النظام إلى استقطاب الشارع الجزائري، مع اقتراب نهاية الولاية الرئاسية الرابعة لبوتفليقة واستعداد السلطة للتجديد له للمرة الخامسة.

واستبعد نفس المصدر أن تكون إقالة مدير جهاز الأمن، عبدالغني هامل، من قبيل تصفية الحسابات بين أجنحة السلطة أو توظيف ملفات الفساد في إرساء حالة من الاستقطاب حول المستقبل السياسي للبلاد. وشدّد على أن الجيش سيكون داعما لبوتفليقة إذا ما قرر الاستمرار بمنصب رئيس البلاد خلال الانتخابات القادمة.

وأفضت التحقيقات إلى توقيف عدد من المتهمين في القضية، وعلى رأسهم مالكو شركة استيراد اللحوم من البرازيل التي تم ضبط الشحنة المخدرات مخزنة داخل منتجاتهم الموردة إلى الجزائر. كما أشارت تقارير محلية إلى مشتبه بهم آخرون مقربون من مسؤولين كبار في الدولة.

ويرى متابعون للشأن السياسي الجزائري أن عملية الإصلاح الداخلي، التي تقوم بها السلطات للتخلص من عبء المحيط الذي أضر بشعبيتها وسمعتها الدولية، تستهدف ضخ دماء جديدة بتعيين شخصيات جديدة تضطلع بمهمة استعادة ثقة الشارع الجزائري. كما أن المسؤولين الجدد سيكونون مكلفين بإبراز نوايا الجادة في محاربة الفساد الذي تحول إلى ورقة سياسية بأيدي المعارضة، لا سيما مع تواتر الفضائح المالية خلال العقدين الأخيرين المتزامنين مع أريحية مالية غير مسبوقة في البلاد.

وكان الجنرال قايد صالح قد أشرف على الاحتفالات الرسمية بعيد استقلال الجزائر، الموافق للخامس من يوليو، نيابة عن رئيس البلاد. وهذه هي المرة الأولى التي يكلف بها نائب وزير الدفاع بالمهمة الرمزية، مما اعتبره محللون سياسيون إشارة إلى توافق بين الطرفين يمهد الطريق لخطوات أكثر جرأة في تجديد النظام السياسي لنفسه.

ولفت المحللون أيضا إلى نية قيادة المؤسسة العسكرية في نفي ما يتم تداوله حول خلافات عميقة بين أجنحة السلطة لخلافة بوتفليقة في الانتخابات الرئاسية القادمة. وبرّروا ذلك بظهور رموز السلطة ومنهم رؤساء الوزراء وغرفتا البرلمان ومسؤولون آخرون برفقة الجنرال قايد صالح نهاية هذا الأسبوع، في احتفالية ثانية بمناسبة عيد الاستقلال التي انتظمت بنادي الجيش في بني مسوس بالعاصمة الجزائرية.

ميلانيزي يناقش أزمة الهجرة في ليبيا

❏ **طرابلس** – بدأ وزير الخارجية الإيطالي إنزو مورافيرو ميلانيزي، السبت، زيارة إلى العاصمة الليبية طرابلس لبحث أزمة الهجرة غير الشرعية. وأفاد بيان للخارجية الإيطالية أن الزيارة تستمر يوما واحدا، وتشهد لقاء ميلانيزي مع نظيره الليبي محمد الطاهر سيالة ورئيس حكومة الوفاق فايز السراج.

وناقش الوزير، إلى جانب مكافحة مهربي المهاجرين، مكافحة الإرهاب واستعادة الاستقرار في ليبيا في إطار عملية سياسية بوساطة أممية. وتعد هذه الزيارة الأولى لميلانيزي إلى ليبيا منذ توليه منصبه في إطار حكومة يمينية شعبوية، استلمت مقاليد الحكم في روما مطلع يونيو الماضي.

وتطرقت المحادثات إلى خطة وزير الداخلية الإيطالي ماتيو سالفيني لمواجهة الهجرة غير الشرعية، وتتضمن دعم قدرات حرس الحدود وخفر السواحل التابعين لحكومة الوفاق.

وكانت اللجنة الثنائية الإيطالية الليبية قد صادقت، في اجتماع بطرابلس الاثنين الماضي، على الخطة.

ويتمسك وزير داخلية إيطاليا الجديد ماتيو سالفيني، الذي ينتمي لليمين المتطرف، بأن سفن الإنقاذ لم تعد موضع ترحيب على شواطئ إيطاليا، مضيفا أن بلاده استقبلت بالفعل أكثر من حصتها العادلة من المهاجرين.

وقالت منظمة أطباء بلا حدود إن إغلاق إيطاليا لموانئها أمام سفن إنقاذ المهاجرين سيؤدي إلى تقطع السبل بالمزيد من المهاجرين في مراكز الاحتجاز الليبية وفي أيدي مهربين، حيث يتعرضون للضرب والانتهاكات.

وقال كريستوف بيتو، عضو بعثة أطباء بلا حدود في ليبيا، إن كل من اعترض خفر السواحل الليبي طريقهم وعددهم نحو 10789 هذا العام انتهى بهم الحال محتجزين لأجل غير مسمى في مراكز تديرها حكومة طرابلس. وأضاف "مع تراجع أعداد سفن الإنقاذ وزيادة الرحلات خلال الصيف، سيزداد الوضع سوءا في المراكز".

لكن سالفيني شكك في تقارير عن الإساءة لمهاجرين في ليبيا وهي تقارير تنفيها السلطات الليبية، التي تتهم جماعات الإغاثة بتشجيع المهاجرين على القيام برحلة العبور الخطرة من شمال أفريقيا إلى أوروبا من خلال عمليات الإنقاذ التي تقوم بها ويُروّج لها بشكل جيد. وبدورها نددت مفوضة حقوق الإنسان في مجلس أوروبا، الخميس، باعتراض سفن إنقاذ المهاجرين من قبل الدول الأوروبية. وقالت إن ذلك "يعرض حياة الكثير من الأشخاص للخطر".

وقالت دنيا مياتوفيتش "في حين تمتلك الدول الحق في السيطرة على حدودها وضمان الأمن، فإن ذلك لا يمكن يأتي ذلك على حساب حقوق الإنسان". كما أعربت عن قلقها من قرارات قمة الاتحاد الأوروبي في الأسبوع الماضي. وبالإضافة إلى دعم قوات خفر السواحل الليبية، اقترح قادة الاتحاد الأوروبي إنشاء "مراكز خاضعة للرقابة" بشكل طوعي على أراضيهم لفرز المهاجرين الذين تم إنقاذهم في البحر مع بحث إمكانية فتح "منصات إنزال" خارج أوروبا.

الشعبويون بصدد تغيير المعايير في أوروبا

طارق القيزاني
صحافي تونسي

❏ حتى زمن قريب كان ينظر إلى بودابست كإحدى المنصات الرئيسية التي أطلقت أولى إرهاصات المقاومة للنظام الشيوعي الشمولي للاتحاد السوفييتي. ولا يزال ربيع براغ يلقى الإشادة من المؤرخين المخضرمين لدوره في إشاعة الوعي الثقافي العالمي بضرورة الإصلاح والتحرّر.

لكن لا أحد اليوم يتحدث عن أي دور محوري لهذه الجبهة في تعزيز القيم الليبرالية في أوروبا في وقت بدأت فيه التيارات اليمينية بإعلاء صوتها والدفع نحو تغيير التوازنات السياسية في القارة. بل على العكس من كل تلك الإشادة، تكشف النقاشات والمفاوضات بين دول التكتل الأوروبي اليوم بشأن ملفات الهجرة واللجوء والتضامن الأوروبي، عن صورة بعيدة ومعاكسة انطلاقا مما تنادي به حكومات وسط أوروبا بالخصوص.

ما يحصل منذ سنوات أن حكومات في دول مثل المجر وبولندا والتشيك، وبعد فترة إصلاحات اقتصادية عميقة توّجت بضمها إلى التكتل الأوروبي، اختارت السير عكس قيم التحرر التي تبنتها حكوماتها السابقة المقاومة للشمولية، سواء تحت حكم النازية أو من بعدها خلال الهيمنة السوفييتية.

هذا التنكّر الوظيفي للقيم الليبرالية دفع المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، التي تعمل من أجل استدامة الديمقراطية في العالم، في تقرير لها إلى التراجع عن فكرة "أن الديمقراطية تستمر في أغلب الحالات في صورة كانت راسخة وموطدة"، وبدل ذلك فهي أكثر إيمانا اليوم بأن التقدم نحو الديمقراطية خلال مرحلة انتقالية قد لا يكون أمرا آليا وحتميا كما أن الديمقراطيات العريقة نفسها ليست بمنأى عن انتكاسات محتملة.

تقرير المؤسسة الذي صدر لتقييم الحالة الديمقراطية في العالم عام 2017 لا يرصد حالات منعزلة داخل أوروبا بل إن الأمر الأكثر وضوحا في تقديره يتعلق بتحولات أيديولوجية عميقة ومؤشرات عن حالات ارتداد عن الممارسة الديمقراطية السليمة.

ويصبح هذا الرصد أكثر مصداقية مع واقع النتائج التي صدعت بها صناديق الاقتراع في أرجاء أوروبا في 2017 والتي أثبتت أن اليمينيين الشعبويين هم بصدد تغيير المعايير في أوروبا، سواء كانوا في الحكم أو في موقع المعارضة، عبر نخب سياسية غوغائية تزعم أنها تمثل "الشعب" وتدافع عن وجهات نظر غير ليبرالية كما تطرح مقاربات تعتمد في جوهرها على الإقصاء.

يحذر تقرير المؤسسة من الخطاب المزدوج للحركات الشعبوية، والتي قد تترك في الظاهر مضامين إيجابية من خلال التعبير عن أصوات المظلومين لدى النخب والمؤسسات الحاكمة، ولكنها تنطوي في نفس الوقت على جانب مظلم إذا ما استولى الشعبويون على الحكومات ونفذوا سياسات اجتماعية غير ناجحة.

صوت التطرف يعلو في أوروبا

وفي تشخيص الحالة الديمقراطية، لم تخرج أوروبا الوسطى عن المخاوف العالمية بشأن تزايد القيود على المجتمع المدني وحرية الصحافة والإعلام. فبجانب روسيا تصدّرت المجر والتشيك وبولندا قائمة الدول الأوروبية المنحرفة عن مسار الديمقراطية مع صعود حكومات متشدّدة لا تعبأ عمليا بالمعايير الأوروبية كما لا تكترث إلى مسألة التضامن الأوروبي في كل ما يرتبط بالهجرة.

خلال العقد الأخير يمكن ملاحظة كيف أن الحكومة المجرية الشعبوية نجحت تدريجيا في أن ترسّخ بشكل متعمّد عبر سياساتها المعادية للهجرة والأجانب حالة الانغلاق والانتصار للهوية المسيحية ضد ما يشاع عن خطر الثقافة الإسلامية الوافدة على أوروبا والتي طالما لعب على وترها حزب فيدس اليميني الحاكم.

لكن الحكومة المجرية التي أبرزت تشدّدا مخزيا في مواجهة موجات الهجرة القادمة من الشرق الأوسط عام 2015 عبر الأسوار الشائكة، ومن ثم التملص تماما من الالتزام الأوروبي المشترك ومبدأ تقاسم الأعباء، لم تعد استثناء اليوم إذ يمكنها أن تشكل محورا مؤثرا بمعية فيينا التي استلمت رئاسة الاتحاد الأوروبي الدورية، وروما بعد صعود حكومة جوزيبي كونتي اليمينية.

لعل أكثر ما يتطلع إليه هذا المحور لتوجيه ضربته إلى جبهة الاعتدال، هو انتظار إلى أي مدى ستصمد الحكومة الائتلافية في ألمانيا أمام ضغط الحزب المسيحي الاجتماعي في مقاطعة بافاريا، على الرغم من التوصل مبدئيا إلى توافق حول ملف اللجوء الشائك.

ومع ذلك فهناك الآن ما يبرّر حالة القلق من تصاعد الاستقطاب، ليس داخل أوروبا المعتدلة فقط ولكن لدى الشركاء المباشرين للتكتل في حوض المتوسط أيضا. فقد سبق أن أعطت نتائج تصويت البريكست دليلا على مدى قدرة أغلبية ضعيفة على اتخاذ قرارات ذات تأثير عميق على جميع المواطنين وعلى مستقبل الاتحاد عموما.

> موجة الاستقطاب حول أزمة الهجرة اختبار لصمود المشروع الأوروبي الموحد، ولكنها تحرج الديمقراطية العريقة في أوروبا

في نظر المتابعين، فإن موجة الاستقطاب الحالية حول أزمة الهجرة واللجوء تمثل اختبارا لفكرة صمود المشروع الأوروبي الموحد ولكنها تضع أيضا النظم الديمقراطية العريقة في أوروبا في موقف محرج أمام التزامها الأخلاقي والتاريخي بعد عقود طويلة من تعميم الحرب والدمار واستنزاف موارد الشعوب. كما تخاطر بنسف الحد الأدنى من المعايير والأسس التي بني عليها الاتحاد.

التساؤل الأهم من تلك المحاذير، هو هل يتوجّب على شركاء الاتحاد الأوروبي أن يضعوا التكتل مثالا يحتذى للحاق بمعاييره المتناقضة اليوم وربط مصيرهم بمصيره، في وقت يسيطر فيه هاجس على حكومات جنوب المتوسط من مستقبل التعاون مع حكومات شعبوية تقوم على شعار التحفظ من الآخر بل التشارك.

طهران تسعى لعزل الصدر إذا سعى للخروج عن نفوذها

الصدر يستنجد بالعبادي وحلفاء إيران يوسعون تحركاتهم إلى السنة والأكراد

منذ إعلان نتائج الانتخابات البرلمانية العراقية في مايو الماضي تسعى إيران إلى تجميع القوى الشيعية ورص صفوف السياسيين الشيعة من خلال تشكيل تحالف واسع بالحكومة الجديدة حفاظا على مصالحها. وزادت ضغوطها على الزعيم الشيعي العراقي مقتدى الصدر الذي يدعم تحالف سائرون الانتخابي المتحصل على المرتبة الأولى في الانتخابات النيابية الأخيرة، بالتلويح بعزله ووضعه في خانة المعارضة في حال رفضه خطتها الحكومية.

بغداد – تمارس إيران ضغوطا كبيرة على حلفائها في العراق لإجبارهم على إعادة توجيه التحالفات السياسية بما يضمن محاصرة القائمة المدعومة من رجل الدين الشيعي مقتدى الصدر، في خانة المعارضة، في حال رفضت خطة طهران الخاصة بتشكيل الحكومة الجديدة في بغداد.

وحلت قائمة الصدر في المركز الأول خلال الانتخابات البرلمانية التي جرت في مايو الماضي، وفقا لنتائج غير نهائية، فيما حلت قائمة الفتح المدعومة من إيران بزعامة هادي العامري في المركز الثاني، تليها قائمة رئيس الوزراء حيدر العبادي، فيما جاءت قائمة ائتلاف دولة القانون بزعامة نوري المالكي في المرتبة الخامسة. ويواصل الصدر مشاورات تشكيل الحكومة واجتمع، السبت، في مدينة النجف مع إياد علاوي زعيم ائتلاف الوطنية لبحث سبل تشكيل الحكومة العراقية الجديدة.

وذكر بيان لمكتب الصدر أن "الصدر استقبل رئيس ائتلاف الوطنية إياد علاوي وجرت خلال اللقاء مناقشة العديد من المواضيع التي تهم الشأن العراقي، وخصوصا الملف السياسي وتشكيل الحكومة العراقية المقبلة".

وشدد الصدر "على ضرورة الإسراع بتشكيل الحكومة من أجل تقديم الخدمات وتوفير العيش الحر الكريم للفرد العراقي".

ولا يستبعد المراقبون أن تبلغ مساعي الدولتين الراعيتين للعملية السياسية في العراق (الولايات المتحدة وإيران) إلى درجة

> الصدر يدرك أنه مطالب بحسم موقفه عاجلا من الحراك الإيراني، لأن عجلة التفاهمات لن تنتظر كثيرا، وقد يجد نفسه معزولا في خانة المعارضة

مستعد للمواجهة

احتواء الفوز المزعج لقائمة سائرون التي يتزعمها مقتدى الصدر وهو الذي سبق أن قاتل الولايات المتحدة في حرب مباشرة، وقاتل إيران في حرب غير مباشرة كان نوري المالكي ممثلها فيها.

ويشرح هؤلاء وجهة نظرهم بأن التحالف معه الذي لم يؤد إلى نتائج مقنعة يطمئن إيران باستمرار هيمنتها على الوضع السياسي في العراق، دفعها إلى استثمار العلاقة السيئة بين واشنطن والصدر، لكي تطرح بديلا يعتمد بالأساس على مبدأ المحاصصة الذي يحظى برضا ومباركة الولايات المتحدة، كونه من وجهة نظرها الحل الوحيد الذي يبقي القرار العراقي موزعا بين أحزاب لا تتفق إلا على مستوى توزيع الغنائم في ما بينها فيما تختلف على المستويات الأخرى كلها.

ووفقا لمصادر سياسية مطلعة تحدثت مع "العرب" في بغداد، فإن "طهران عرضت على القوى السياسية الشيعية خارطة طريق تتضمن بناء تحالف واسع في ما بينها، ثم الانفتاح على جزء من السنة والأكراد لتشكيل كتلة نيابية كبيرة في البرلمان القادم تتولى ترشيح رئيس الوزراء الجديد".

وتقول المصادر إن "الخطة الإيرانية حظيت بموافقة قائمتي الفتح والمالكي". بينما لم يبد العبادي أي رد فعل نحوها وتحفظ عليها الصدر. وتضيف المصادر أن الضغوط الإيرانية ازدادت على الصدر مع التلويح بعزله في خانة المعارضة من خلال بناء تحالف شيعي مضاد له، ليعود في النهاية ويوافق على العمل مع القائمة المدعومة من إيران بشروط.

وشهد العراق، السبت، حراكا سياسيا غير مسبوق، إذ يحاول وفد من قائمتي الفتح ودولة القانون في أربيل، إقناع مسعود البارزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني، بالضغط على القوى السياسية الكردية للالتحاق بالخارطة الإيرانية لتشكيل الكتلة الأكبر، فيما استضاف الصدر في مقره بالنجف زعيم القائمة الوطنية إياد علاوي للتداول بشأن الموقف من ضغوط طهران والاستجابة لها أو الذهاب نحو المعارضة.

وأبلغ ساسة عراقيون "العرب" بأن "إيران تحاول الضغط على الصدر من خلال توسيع التحالف الخاضع لها بإدخال البارزاني فيه، بينما يحاول الصدر أن يستعين ببعض الحلفاء ليبدو قويا في مواجهة الضغوط الإيرانية".

وقال هؤلاء إن "تحالف النصر بزعامة العبادي يبدو أنه بات جزءا من التفاهم الشيعي العام، بانتظار معرفة موقعه فيه ودور زعيمه المقبل، لإعلان موقفه الرسمي". ويضيف هؤلاء أن "الصدر يدرك أنه مطالب بحسم موقفه عاجلا من الحراك الإيراني، لأن عجلة التفاهمات لن تنتظر كثيرا وقد يجد نفسه معزولا في خانة المعارضة".

ويبين المراقبون أن عزل الصدر هو خيار التسوية الأميركية-الإيرانية الذي من شأنه أن يؤدي إلى إلغاء الانتخابات عمليا من غير المس بنتائجها على مستوى نظري. وهو إجراء لن يكون محرجا للصدر، بل قد يؤدي إلى توسيع قاعدته الشعبية غير أنه سيكون مضرا بالنسبة لحيدر العبادي الذي احتلت قائمته (النصر) المرتبة الثالثة في سلم القوائم الفائزة. وعلمت "العرب" أن "قوى سياسية سنية تواكب الحراك الشيعي المنفتح على الأكراد، وتسعى لتشكيل جبهة موحدة تخوض المفاوضات مع التحالف الشيعي الكردي المرتقب".

السعودية ترحّل 400 ألف وافد مخالف للقوانين

الرياض – أعلنت وزارة الداخلية السعودية السبت، أنها ألقت القبض على أكثر من 1.3 مليون أجنبي مخالف لقانون العمل والإقامة والحدود منذ نوفمبر الماضي، رحّلت منهم حوالي 400 ألف شخص.

وأوضحت وزارة الداخلية السعودية، في بيان نشرته وكالة الأنباء السعودية الرسمية "واس" السبت، أن "الحملات الميدانية المشتركة التي انطلقت في 16 نوفمبر من العام الماضي وحتى الخميس الماضي لتعقب وضبط مخالفي أنظمة الإقامة والعمل وأمن الحدود التي تمت في مناطق المملكة أسفرت عن ضبط 1359345 مخالفا، منهم 1017427 مخالفا لنظام الإقامة، و233125 مخالفا لنظام العمل، و108793 مخالفا لنظام أمن الحدود".

وأضافت أن "إجمالي من تم ضبطهم خلال محاولتهم التسلل عبر الحدود إلى داخل السعودية بلغوا 21112 شخصا، 52 بالمئة منهم يمنيو الجنسية، و45 بالمئة إثيوبيو الجنسية، و3 بالمئة من جنسيات أخرى".

وأشارت إلى أنه تم ضبط 882 شخصا لمحاولتهم التسلل عبر الحدود إلى خارج المملكة، فيما بلغ إجمالي المتورطين في نقل وإيواء مخالفي أنظمة الإقامة والعمل وأمن الحدود والتستر عليهم الذين تم ضبطهم 2254 شخصا.

وبحسب الوزارة، فقد بلغ إجمالي المواطنين الذين تم إيقافهم لتورطهم في نقل أو إيواء وافدين مخالفين للأنظمة 446 مواطنا، تم استكمال الإجراءات النظامية بحق 419 منهم وإخلاء سبيلهم، وتستكمل الجهات المختصة تنفيذ الأنظمة بحق بقية الموقوفين وعددهم 27 سعوديا.

وأشارت الوزارة إلى أن إجمالي من يتم إخضاعهم حاليا لإجراءات تنفيذ الأنظمة 12682 وافدا مخالفا، منهم 10005 رجال، و2677 امرأة.

وطبقا للوزارة، فإنه تم إيقاع العقوبات الفورية بحق 236450 مخالفا وإحالة 189687 مخالفا لبعثاتهم الدبلوماسية للحصول على وثائق سفر، وإحالة 239518 مخالفا لاستكمال حجوزات سفرهم وترحيل 346976 مخالفا.

وتذكر إحصاءات رسمية أن 12 مليونا، من أصل 32 مليون نسمة يعيشون في السعودية، هم من الوافدين، ومعظمهم من ذوي المهارات المنخفضة من آسيا وأفريقيا، ويعملون في قطاعي البناء والخدمات.

لكن هناك عدة ملايين يعيشون خارج نطاق القانون، ويديرون أعمالا غير مسجّلة، أو يقبلون عملا غير رسمي مع شركات تتجنّب متطلّبات توظيف سعوديين برواتب أعلى.

وهذه ليست الحملة الأولى في السعودية لترحيل المقيمين غير الشرعيين، إذ رحّلت المملكة عام 2017 قرابة 57 ألف وافد، كما رحلت ما بين العامين 2012 و2015 ما يقارب 243 ألف باكستاني؛ بعضهم بسبب قضايا إرهاب.

نجاح ماي في إقناع الحكومة برؤيتها لبريكست ينقصه دعم المحافظين

لندن – بعد أن نجحت رئيسة الحكومة البريطانية تيريزا ماي بإقناع وزرائها برؤيتها للعلاقة التجارية مع الاتحاد الأوروبي بعد البريكست، بات عليها الآن أن تقنع حزبها المحافظ، الذي عمقت مفاوضات الخروج من الانقسامات داخله، كما يستوجب عليها إقناع المفوضية الأوروبية في بروكسل بذلك.

وعرضت ماي، الجمعة، رؤيتها التي كانت الدول الأوروبية الـ27 تنتظرها بفارغ الصبر بشأن إقامة منطقة تبادل حر وعلاقة جمركية جديدة، والتي يفترض أن تتيح الإبقاء على تجارة "بلا احتكاكات" مع الدول الأوروبية.

وبحسب الحكومة البريطانية، فإن هذه الاقتراحات الواردة في الرؤية، ستتيح تفادي العودة إلى إقامة حدود مادية بين إيرلندا وإيرلندا الشمالية، وكانت هذه المسألة أبرز نقاط الخلاف في المفاوضات الجارية، ومصدر قلق شديد لسكان الجزيرة.

كما نالت ماي موافقة حكومتها على المضي قدما في اقتراح إنشاء "منطقة تجارة حرة مع الاتحاد الأوروبي" بعد بريكست، في إطار سعيها إلى تحريك المفاوضات مع التكتل. وقالت ماي عقب محادثات ماراطونية لحكومتها في المقر الريفي لرؤساء الحكومات البريطانيين في تشيكرز، إن الاقتراح ينص على إنشاء "قواعد مشتركة للمنتجات الصناعية والزراعية".

وتابعت "الوزراء اتفقوا كذلك على نموذج جمركي جديد ملائم للأعمال التجارية" سيحافظ على المعايير المرتفعة لكنه سيتيح لبريطانيا "إبرام اتفاقات تجارية جديدة حول العالم" بعد خروجها من الاتحاد الأوروبي.

وتمت الموافقة على هذه القرارات في اجتماع الحكومة بعد أن سرت شائعات بأن وزراء بينهم وزير الخارجية بوريس جونسون يعارضون بشدة الاتفاق وقد يستقيلون. وبعد إعلانها طلبت ماي في رسالة موجهة إلى نواب حزبها إنهاء الخلافات حول هذا الموضوع، الذي قسم بشدة حزب المحافظين.

وجاء في مقطع من الرسالة كشفه الصحافي في التايمز سام كواتس "كنت سمحت لأعضاء الحكومة أن يعبروا عن آرائهم الفردية بشأن بريكست، (لكن) الآن انتهى ذلك". وشهد الحزب المحافظ انقسامات بشأن بريكست، في الوقت الذي حذر فيه الاتحاد الأوروبي بأن الوقت بدأ ينفذ للتوصل إلى اتفاق الانسحاب من الاتحاد.

واختلف الحزب حول آلية انسحاب بريطانيا ففي الوقت الذي رأى نواب أنه يجب أن يكون "تاما" رفض وزير الأعمال التجارية غريغ كلارك استبعاد تمديد الفترة الانتقالية بعد الانسحاب من التكتل إلى مدة غير محدودة.

لكن تبقى المسألة المتعلقة بكيفية تجنب حدود يتم فيها فرض ضوابط صارمة بين جمهورية إيرلندا وإيرلندا الشمالية التي ستغادر الاتحاد الأوروبي مع بقية المملكة المتحدة في مارس 2019، الأصعب من بين كل المسائل المتعلقة بخروج بريطانيا.

وأيدت النائب آنا سوبري، المعارضة بشدة لبريكست، اقتراحات الحكومة. وكتبت في تغريدة "بوصفي وزيرة دولة سابقة للمؤسسات، سأكون دائما مؤيدة لسياسة تكون مع بريكست متلائم مع الأعمال". وهنأت ماي لأنها "أعادت إحياء المسؤولية الجماعية" داخل السلطة التنفيذية.

وأبدى قادة الحزب الوحدوي الديمقراطي المحافظ جدا في إيرلندا الشمالية، عن ارتياحهم للاقتراح الحكومي ورأوا فيه "تأكيدا جديدا للوحدة الترابية" للمملكة.

ويشكل دعم هذا الحزب (10 نواب في مجلس العموم) أمرا حيويا لضمان أغلبية في البرلمان لتيريزا ماي. في المقابل أبدى المحافظ جاكوب ريس موغ، وهو من أنصار بريكست بلا تسويات، موقفا أكثر تحفظا إزاء الحل المقترح. وقال إنه يخشى من أنّ "بريكست يبقينا في الاتحاد الأوروبي من دون الإفصاح عن ذلك".

تيريزا ماي أمام مهمة شاقة

ورأى موغ أن الإبقاء على قواعد مشتركة بين الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة حول المنتجات الصناعية والزراعية يمكن أن "يجعل من المستحيل إبرام اتفاقات تجارية" بين لندن ودول من خارج الاتحاد الأوروبي. وقال ساخرا في تصريحات لبي.بي.سي إن الخطوط الحمراء للحكومة "استحالات وردية".

وقال اللورد المحافظ بيل كاش إنه يشعر "بخيبة أمل كبيرة، حتى لا أقول أكثر" للرؤية الحكومية. واعتبر أن هذه الرؤية "تثير الكثير من الأسئلة المهمة جدا".

وكان النائب الأوروبي نيغيل فاراج أكثر وضوحا في هجومه على أعضاء الحكومة. وقال "لم تحدث أي استقالة. وتبين أن الأنصار المزعومين لبريكست ليس لديهم مبدأ. جميعهم يمتهنون السياسة" مضيفا "أن هذه الاستراتيجية خيانة لصالح الشركات الكبرى".

وسيكون على تيريزا ماي أيضا أن تقنع القادة الأوروبيين بموقفها. وهي مهمة تبدو عويصة حيث أن بروكسل شددت في المفاوضات على أن حرية حركة السلع لا يمكن فصلها عن حرية حركة الأشخاص والخدمات والأمر الذي تريد لندن إنهاءه.

والتقت ماي في الآونة الأخيرة العديد من القادة الأوروبيين، من بينهم المستشارة الألمانية انجيلا ميركل لشرح اقتراحها. كما تباحثت مع رئيس المجلس الأوروبي دونالد توسك والوزير الإيرلندي ليو فاراكار الذي قال إنه اطلع على اقتراح ماي.

وأكد رئيس الوزراء الإيرلندي سايمون كوفيني في تغريدة أن هذه الخطة "تحتاج إلى دراسة مفصلة" مضيفا أن هناك "الكثير من العمل أمامنا". وقال كبير مفاوضي الاتحاد الأوروبي ميشال بارنييه إنه ينتظر "بفارغ الصبر" نشر لندن للكتاب الأبيض الذي سيكشف تفاصيل الاقتراحات البريطانية.

وقال "سنجري تقييما للاقتراحات لنرى ما إذا كانت قابلة للتنفيذ وواقعية. المفاوضات القادمة ستكون ابتداء من 16 يوليو".

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

بلدية العاصمة.. نقطة التحول المفصلية في تونس

حركة النهضة «قوية» بضعف المعارضة وفشلها في تحقيق التوازن

مختار الدبابي
كاتب وصحفي تونسي

ربما نستمر في التهوين من التحولات السياسية التي تشهدها تونس فنقول إن فوز حركة النهضة الإسلامية ببلدية العاصمة تونس، رمز الحكم والثقافة، حادث عابر سيرتد عليها مثلما ارتد عليها فوزها في انتخابات 2011 الذي انتهى إلى إجبارها على ترك الحكم تحت ضغط الشارع.

يحتاج الأمر إلى مقاربة أكثر تدقيقا لما يجري، ذلك أن ما تحققه الحركة ذات الهوية الإخوانية من فتوح على أكثر من جبهة، وخاصة سيطرتها على الحكم المحلي يجعل من استدعاء خطاب التسخيف والانتقاص أمرا غير قيمة، خاصة أن هذا الخطاب هو الذي فتح أمامها أبواب الانتشار الأفقي وساعدها على التجذر في المؤسسات السياسية، فضلا عن مجالات أخرى لا لاعب فيها سواها مثل الدعوي والخيري والكشفي.

> السؤال الأهم ليس لماذا فازت النهضة بالانتخابات المحلية، وإنما لماذا فشل الآخرون في بناء توازن يحول دون تركها تتحرك بحرية تامة، وتعقد التحالفات وتجير المستقلين بشكل واسع لدعم قوائمها وتثبيت هيمنتها على البلديات

ومن الواضح أن النهضة وجدت الملعب الواسع مفتوحا أمامها في ضوء انكفاء خصومها على الصراعات الداخلية، أو اكتفائهم بموقع الجلوس على الربوة والحفاظ على طهورية الأحزاب السرية التي لا تأمن إن تحركت قليلا أو فكرت بشكل مختلف أن تفقد أنصارها.

هيمنة النهضة على الحكم المحلي ليس انتصارا لبراغماتيتها بقدر ما هو هزيمة مدوية لخصومها الذين اكتفوا بمهاجمتها بالشعارات ولم يخططوا لمواجهتها وفق خطة عقلانية طويلة المدى تقوم على صراع الأفكار والمشاريع بعيدا عن التحشيد والتباكي على المكاسب وتضخيم حالة الهلاك.

إن السؤال الأهم ليس لماذا فازت النهضة بالانتخابات المحلية، وإنما لماذا فشل الآخرون في بناء توازن يحول دون تركها تتحرك بحرية تامة، وتعقد التحالفات وتجير المستقلين بشكل واسع لدعم قوائمها وتثبيت هيمنتها على البلديات.

ورغم أن النهضة نفسها تعترف بأن شعبيتها في تراجع بين الناس، إلا بسبب توافقها مع النداء بما أفقدها جزءا من جمهورها التقليدي، أو بسبب فشل منظومة حكم ما بعد 2011 في تغيير واقع الناس، إلا أن الأحزاب والتكتلات والشخصيات التي تصنف نفسها كفاعلين مدنيين وحداثيين فشلت في أن توجد قوة متآلفة فكريا وسياسيا يمكن أن تساهم مستقبلا في الحد من نفوذ النهضة.

كان على الجميع أن يعرفوا من البداية أن بناء "جبهة الإنقاذ" في 2013 لمواجهة النهضة في 2014 كان خطوة جيدة لسبب رئيسي، وهو أن الثورات تقوم عادة وبشكل آلي بفرز اجتماعي على ضوء محددات بينها، وبشكل رئيسي، البعد الطبقي.

وفي ضوء تفسخ ملامح هذا المقوم المفصلي وارتهان القوى المستفيدة منه لمراكز نفوذ ومعارك هامشية كانت قشة النجاة بالنسبة إليها نقل الصراع مع الحركة ذات الأرضية الإخوانية إلى مجال الهوية في جانب الدفاع عن نموذج الدولة الوطنية الذي تأسس منذ الاستقلال في 1956 وتاليا عبر سلسلة من المشاريع والمكاسب القانونية على رأسها مجلة الأحوال الشخصية.

لكن تجربة "جبهة الإنقاذ" تراجعت لأنها لم تكن تهدف إلى بناء مشروع جامع لقوى وأحزاب ومنظمات تشترك في الحد الأدنى بل تم توظيفها لتحقيق مكاسب سياسية آنية، وتوقفت التجربة بوصول نداء تونس إلى الحكم والرئيس الباجي قائد السبسي إلى الرئاسة فيما استعجل البقية المكاسب.

وبسبب البحث عن المقابل السياسي دون تأخير، تفرق الحداثيون سريعا من حول نداء تونس وشكلوا أحزابا صغيرة وكتلا برلمانية ليظهروا أن الفضل يعود إليهم في هزيمة النهضة وحليفها الرئيس السابق المنصف المرزوقي، ولم يكلفوا أنفسهم عناء انتظار أن تتحقق معالم تلك "الهزيمة"، حتى أن نداء تونس الحزب الحاكم (نظريا) وجد نفسه مجبرا على التحالف مع خصمه النهضة لإدارة الحكومة ومؤسسات الدولة.

وطالما أن الحديث يجري الآن عن عودة بعض الشقوق التي خرجت على النداء، خاصة عودة محسن مرزوق الذي كان له دور مفصلي في بناء الجبهة المدنية المضادة للنهضة، فإن أي جبهة جديدة تتشكل مستقبلا تحتاج إلى أن تضع في اعتبارها أن الشارع الذي تم تحشيده للوقوف بوجه هيمنة النهضة في 2014 لن يكون بنفس الحماس، وقد لا يجدد الثقة في مجموعات انقلبت على وعودها وتحالفت مع النهضة بدل أن تكون خصمها.

وبالنتيجة فإن التصويت المفيد لمواجهة النهضة كما حدث في 2014 من الصعب أن يتكرر بنفس الحماس، وأن على الجبهة الجديدة أن تبحث عن مسوغات جديدة لبناء تحالفات جادة تكسب ثقة الناس حتى تتمكن من هزيمة النهضة في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية للسنة المقبلة.

ويتحدث رضا بالحاج، أحد مهندسي بناء نداء تونس في 2013، عن مساع لتأسيس "كيان سياسي واسع وجامع، يهدف إلى إرجاع التوازن السياسي".

منصب محفوف بالتحديات

لكن هل يقدر أن يفصّل للناس الخلفيات السياسية والفكرية لهذا الكيان وفيم يختلف عن نداء تونس، وما الذي سيقنع الناس أن اللعبة القديمة لن تتكرر.

والأمر المهم هو التأكيد على أن المعركة القادمة مع حركة النهضة لا بد أن تكون معركة معنى ورؤية للمستقبل، وليس مجرد استجداء واستدرار العواطف الشعبية لخدمة أهداف شخصية أو حزبية.

وسيطرح فوز سعاد عبدالرحيم بمنصب شيخ مدينة تونس وكذلك ترؤس قرابة 40 امرأة ممثلة عن حركة النهضة بلديات أخرى، تحديات كبيرة على الجبهة الجديدة التي عليها أن تجيب على الأسئلة دون مواربة من نوع:

- من كان أولى بترشيح امرأة لرئاسة البلدية الأكثر ثقلا، هل النهضة أم نداء تونس أم شقوقه، أم اليسار التونسي بتفريعاته المختلفة.
- كيف يمكن إقناع الغرب بأن حركة النهضة تقف ضد قضايا المرأة، وهي التي تحقق الاختراق الأول في بلد عربي منفتح لكن قواه التقدمية والحداثية محافظة وتربأ بنفسها عن أن تبوئ المرأة منزلة متقدمة في مؤسسات الدولة لأن الحداثة لم تخترق بعد ثقافتها الذكورية.

فكيف ستنجح هذه القوى في تعرية تناقضات النهضة والقول إن ترشيح سعاد عبدالرحيم مجرد مناورة للتغطية على ثقافتها التقليدية التي لا تؤمن بالمرأة.

وحين تكون القوى المدنية متصالحة مع قيمها، فإنها تستطيع بيسر أن تجر الحركة الإسلامية التي تصدر المواقف والقرارات المتناقضة لتبدو تارة سلفية موغلة في المحافظة مثل موقفها من تقرير لجنة الحريات، وتارة أخرى سائرة على طريق "التونسة" والتخلص من الموروث الوافد.

إن الصورة ليست كارثية تماما، والنهضة التي تحقق النجاحات إنما يتيسر لها ذلك بسبب غياب طرف قوي يستطيع أن ينافسها فكريا وسياسيا ويجاري قدرتها على التكتيك والاستقطاب في ملاعب كانت غائبة عنها.

وليس ضروريا أن نعيد حالة الاستقطاب القديمة في 2014، إذ يمكن الاشتغال على تفعيل أقطاب أخرى في معركة إعادة التوازن، ودعوة اليسار التونسي بتفريعاته المختلفة إلى مغادرة حالة اليقين بحجمه المتضائل، واستعادة دوره في تحريك الملف الاجتماعي في أوضاع صعبة تعيشها تونس، وهي خطوة قد تساعد على استعادة ثقة الناس في مسار ما بعد ثورة 2011 بعد أن كشفت الانتخابات البلدية في 6 مايو الأخير عن مقاطعة واسعة تعكس اليأس من قدرة الطبقة السياسية على إحداث أي تغيير إيجابي.

المهم أن الجبهة التي تحتاجها تونس لإعادة التوازن مع حركة النهضة تحالف لاستقطاب التونسيين على أساس البرامج والحلول، وخاصة لتثبيت المشروع الوطني بمواجهة الاستهداف الممنهج ضده عبر أفكار وافدة. ولا تستهدف فقط استعادة السلطة أو تحييدها عن أيدي الإسلاميين بل فتح نقاش وطني حول نموذج المستقبل واستدراج الإسلاميين للاندماج فيه أو العزلة المجتمعية.

> هيمنة النهضة على الحكم المحلي ليس انتصارا لبراغماتيتها بقدر ما هو هزيمة مدوية لخصومها الذين اكتفوا بالشعارات ولم يخططوا لمواجهتها وفق خطة عقلانية طويلة المدى

إن انحراف الصراع عن بعده العميق سيوفر للإسلاميين فرصة استدعاء خطاب المظلومية والاتكاء على نظرية المؤامرة لاستدرار العطف الشعبي في وقت تتسع فيه دائرة الثقة الشعبية في أن أحزاب ما بعد الثورة تتقن الكثير من الشعارات لكنها لا تحمل بدائل حقيقية للخروج من الأزمات. ولم يكن تراجع نسبة المشاركة في الانتخابات البلدية سوى دليل على صدمة التونسيين في الثوريين ومشاريعهم بما في ذلك حركة النهضة التي فقدت مئات الآلاف من ناخبيها بين 2014 و2018.

شيخ مدينة تونس بلا مدينة

حذام خريّف
كاتبة تونسية

"فرصة لا تعاد يا مادام سعاد"، صدى صوت بعيد تردّد على مسامعي خلال متابعة انتخابات رئيس بلدية تونس، التي انتهت بفوز سعاد عبدالرحيم. مفارقة غريبة، بين هذا الكلام الذي كان يردده باعة يعرضون بضاعتهم على أرصفة شارع شارل ديغول بتونس العاصمة، ولحظة إعلان سعاد عبدالرحيم "شيخا" لمدينة تونس (اللقب الذي يكنى به رئيس بلدية تونس العاصمة).

بين، "مدام سعاد"، و"الشيخ" سعاد، فاصل زمني شهد الكثير من التغييرات التي طرأت على العاصمة. تغييرات يمكن أن نجد بين طياتها أسبابا كثيرة تكشف لماذا أصبحت سعاد عبدالرحيم أول امرأة تفوز بالمنصب، في موقف جدلي له أبعاد اجتماعية هي التي فتحت الباب أمام التوظيف السياسي الراهن من قبل الإسلاميين.

لم تطرح من قبل فكرة أن تتولى امرأة هذا المنصب منذ أن أحدث سنة 1858، رغم أن المرأة التونسية تبوأت أعلى المراتب في الدولة.

قطع انتخاب سعاد عبدالرحيم رئيسا لبلدية تونس العاصمة، جدلا حادا حول تقرير الحريات والمساواة ليحيل تسليط الضوء على جدل آخر، يلخص في الكثير من تفاصيله ومظاهره أزمة سياسية-إدارية ومجتمعية وحتى طبقية.

منذ سنوات طويلة، وضعت ضوابط لتحديد من سيتولى منصب شيخ مدينة تونس، وهو لقب يجمع بين المكانة العلمية الدينية والمكانة الاجتماعية، وحيث يجب أن يكون شيخ المدينة من أسرة ابن عائلة "بلدية"، وهو تصنيف طبقي يقصد به سكان الحاضرة (العاصمة)، من العائلات العريقة.

لم يكن هذا المنصب يوما مطروحا لتتولاه إمرأة، وفي ذلك انعكاس لثقافة مجتمعية تختلف بين الريف والمدينة. وضع نساء الحاضرة يختلف على وضع نساء الأرياف والمناطق الداخلية، ففي مفارقة اجتماعية المرأة في الريف أكثر مساواة مع الرجل، تعمل وتقرر وتترأس العائلة في حين أن بنت الأعيان، في المدينة، حتى لو كانت متعلمة، تتربى على أن تكون ربة منزل جيدة، منذ نعومة أظافرها لا تعرف لها هدفا غير الزواج وطاعة زوجها وإنجاب الأطفال.

لذلك، أن تفوز سعاد عبدالحريم، التي ولدت في مدينة صفاقس على بعد 270 كيلومترا عن العاصمة تونس، وتسحب البساط من تحت أقدام كمال إيدير، المولود في تونس العاصمة، فذلك يعني انقلابا طبقيا وقطعا مع ثقافة مجتمعية دامت لقرون، وهو في حد ذاته انقلاب له أسباب ومظاهر أعمق من ربطها بحملات انتخابية ناجحة أو تسوية سياسية بين الأحزاب.

في جوانبه العميقة، يمكن اعتبار فوز سعاد عبدالرحيم مظهرا من مظاهر التغيير الكثيرة التي شهدتها وتشهدها تونس العاصمة، على المستوى العمراني والديموغرافي والاقتصادي والاجتماعي.

منذ أكثر من عقد من الزمن، تغيرت كثيرا التركيبة الديموغرافية للعاصمة التي غمرتها موجة من الهجرة الداخلية، جاءت بالتزامن مع تغييرات اقتصادية ارتبطت بانفتاح السوق التونسية على الصين التي غمرت بضائعها كل المجالات. ارتفع عدد سكان العاصمة كثيرا، بكل ما لذلك من تأثير على السكن والنظافة والتعليم وغير ذلك من السلوك المؤثر على التفاعل الاجتماعي.

> لماذا يستغرب الناس أن تكون سعاد عبدالرحيم، رئيسا لبلدية تونس، وهو، بمقاييس الحاضر، منصب إداري يخلو من أي وجاهة. سعاد عبدالرحيم، رئيس بلدية تونس، فقط، أما المشيخة فقد ولى عهدها

في سياق هذا التغيير، اختار عدد كبير من العائلات أصيلة المدينة، المغادرة نحو الضواحي والأحياء السكنية الجديدة. باعوا محلاتهم، التي كانت تبيع بضاعة تونسية بجودة وخصوصية تونسية وأسعار تعرف جيب التونسي، وتحولت إلى محلات لبيع البضائع الصينية المقلدة.

تركوا منازل فارغة انهار عدد منها بسبب الإهمال. حتى أنك تجد اليوم أنهجا (أزقة) بأكملها بأبواب مغلقة ومنازل مهدمة وبنايات متآكلة فيما تعاني البلاد من أزمة إسكان، وسط غياب تام من الجهات الإدارية المعنية ومتابعة من المسؤولين.

حلت عائلات جديدة مكان تلك التي غادرت، أغلبها قادم من المناطق الداخلية، وكل عائلة جاءت بعادات منطقتها وتقاليدها ولهجتها. وظهرت على أطراف العاصمة عشوائيات تحولت إلى أحياء سكنية تفتقر إلى أدنى المرافق الصحية، لتزيد المسؤولية على بلدية تونس ويزداد معها غياب المسؤولين.

على بعد خطوات من مقر بلدية تونس الفاخر، والذي يقابل مقر رئاسة الحكومة في ساحة القصبة، أنهج وشوارع ضاعت ملامحها بسبب الأوساخ والعشوائية الواضحة في كل جناباتها. فقدت المدينة ملامحها وفقد معها شيخ المدينة هيبته.

لا يختلف الأمر في الشق العصري للعاصمة، فخلف زينة شارع الحبيب بورقيبة، تختبئ أنهج وشوارع يكسوها الإهمال، قاعات سينما أكل الصدأ كراسيها وآلات عرضها، ومحلات بيع الكتب والصور الفوتوغرافية تحولت إلى محلات لبيع الوجبات السريعة. البلماريوم الذي كان ذات تاريخ يمنع دخوله إلا باللباس الرسمي لم يجد من بدّ إلا مجاراة التغيرات بعد أن ظل لسنوات مقفلا ومهجورا، ليتحول إلى مركز تجاري عصري يأتيه الناس من كل صوب.

لم ينج من كل هذا إلا المسرح البلدي، الذي نال نصيبا من الاهتمام وأعيد ترميمه مؤخرا، لكن، أصابه ما أصاب غيره من التغيير في علاقة بأذواق الناس وحالهم. أضحت واجهة المسرح الخارجية ركحا يعرض واقع التونسيين الغاضبين ضد الإرهاب، ضد الحكومة، ضد غلاء المعيشة، ضد انقطاع الماء، وضد البطالة، وغير ذلك من المواضيع التي تثقل كاهلهم ولا تسمح لهم بالاستمتاع بما يعرض داخل المسرح من فنون وترفيه.

تغيرت المدينة وتغيرت تونس كثيرا دون أن يستوعب الكثير من التونسيين ذلك، حتى أنهم إلى اليوم يندهشون عند الحديث عن تصنيف تونس كأول بلد مصدر للجهاديين. وإن كان لأحداث 11 يناير 2011، من إيجابيات فإنها أزاحت تلك الطبقة التي كانت تتجمّل بها تونس وكشفت عن أمراض اجتماعية تنخر جسدها في صمت.

في خضم هذا كله، لماذا يستغرب الناس أن تكون سعاد عبدالرحيم، رئيسا لبلدية تونس، وهو، بمقاييس الحاضر، منصب إداري يخلو من أي وجاهة. سعاد عبدالرحيم، رئيس بلدية تونس، فقط، أما المشيخة فقد ولى عهدها. لماذا يستغرب الناس، المتباهون بإنجازات تونس في مجال حقوق المرأة، بتتويج امرأة رئيسة لبلدية تونس، ولم ينتبهوا إلى أن كل الجدل الذي صدّع رؤوسهم ليس سوى لعبة سياسية تشبه الألعاب النارية بألوان براقة ورائحة قاتلة، في حين أن شيخ المدينة لم تعد له مدينة يديرها.

إيران... والحليف الأميركي

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ لا مصلحة لأي طرف في المنطقة في مزيد من التصعيد، اللهم إلّا إذا كان التصعيد جزءا من سياسة تقوم على ممارسة لعبة الابتزاز. من يعتقد أن في استطاعته ممارسة التصعيد للتغطية على مشروع توسّعي يستند إلى إثارة الغرائز المذهبية، إنّما يخدم في واقع الحال القوة التي يعتبرها عدوًا له، أقلّه في خطاباته العلنية. هذه حال إيران مع الولايات المتحدة.

كانت أميركا المستفيد الأوّل من كلّ ما تقوم به إيران وذلك منذ قيام "الجمهورية الإسلامية" في العام 1979. كل ما في الأمر أن اعتماد دول المنطقة على الولايات المتحدة زاد منذ بدأت إيران تتحدّث عن "تصدير الثورة" إلى الدول المجاورة وإلى دول بعيدة عنها مثل اليمن، على سبيل المثال وليس الحصر.

> الثابت أن إيران لن تجد ما تفعله سوى التراجع في حال اكتشفت أن هناك إصرارا أميركيا على محاصرتها. فكل مسؤول إيراني، أكان متطرفا أم معتدلا، يعرف أن أميركا لم تكن يوما عدوا لإيران، بل كانت حليفا

أظهرت تجارب الماضي القريب أن المنطقة كلّها، خصوصا منطقة الخليج، في حاجة إلى التعقّل قبل أيّ شيء آخر. ماذا يعني التعقّل؟ يعني أن يعرف كل طرف حجمه وأن يحترم موازين القوى القائمة إقليميا ودوليا بعيدا عن الكلام الفارغ الذي لا يؤدي إلى أي نتيجة ذات طابع إيجابي.

على العكس من ذلك، يولّد الكلام الفارغ الذي يقتصر على تهديدات من نوع تلك التي أطلقها الرئيس الإيراني حسن روحاني سلبيات على كل صعيد. ما الذي يمكن أن ينتظره الرئيس الإيراني، الذي حصل على تأييد "الحرس الثوري" عندما يهدّد دولا أخرى بمنعها من تصدير نفطها ردًا على الإجراءات الأميركية في حقّ إيران؟ هل تمتلك إيران ما يكفي من القوة لمواجهة الولايات المتحدة في حال قرّرت بقاء الخطوط البحرية التي ينقل عبرها النفط، بما في ذلك مضيق هرمز وباب المندب مفتوحة؟

حسنا، تبيّن أن حظ إيران سيّء مع الولايات المتحدة في عهد دونالد ترامب في حين كان حظها جيّدا مع باراك أوباما. نظريا، تغيّرت السياسة الأميركية كلّيا. قاد دونالد ترامب في واقع الحال انقلابا على سياسة سلفه باراك أوباما.

قرّر الرئيس الأميركي وضع حدّ للمشروع التوسّعي الإيراني وصولا إلى حرمان "الجمهورية الإسلامية" من إمكان تسويق نفطها. بدل أن يسعى النظام الإيراني إلى التعاطي بواقعية وعقلانية مع التحدي الأميركي الذي بدأ بخطاب عرض فيه الأسباب التي تدعو إلى محاصرة إيران ومعاقبتها وألحقه بانسحاب من الاتفاق في شأن الملف النووي الإيراني، إذا به يلجأ إلى التصعيد.

تلعب إيران عبر اللجوء إلى التصعيد لعبة أميركا ولا شيء آخر غير ذلك. إذا كانت تريد بالفعل إبعاد أميركا عن المنطقة، هناك طريق قصير يمكّنها من تحقيق هذا الهدف. تتمثل الخطوة الأولى على هذا الطريق القصير بالتساؤل ما الذي يمكن أن تفعله إيران خارج حدودها مباشرة عبر "الحرس الثوري" أو عبر الميليشيات المذهبية التابعة لها لتهدئة مخاوف جيرانها؟

في النهاية، ما الذي تريده إيران في لبنان أو سوريا أو العراق أو البحرين أو اليمن. لماذا أصرّت على إقامة خلايا إرهابية في الكويت، كانت خليّة العبدلي أبرزها، وما دخلها في دعم رجل الدين الشيعي هذا أو ذلك في السعودية.

حظ إيران جيّد مع الولايات المتحدة وسيّء في أحيان أخرى. كان سيئا عندما اكتشفت في العام 1987 مثلا، أنّ ليس في استطاعتها إغلاق مضيق هرمز وخطوط النقل البحرية. يفترض في إيران التعلم من تلك التجربة واستيعاب أنها ليست دولة عظمى تمتلك أساطيل تجوب البحار. إنّها دولة تعتمد كلّيا على صادرات النفط ولا شيء آخر أساسيا غير ذلك.

في العام 1987، كانت الحرب العراقية – الإيرانية تشارف على نهايتها. معروف جيدا أن دول مجلس التعاون الخليجي دعمت العراق في تلك الحرب وذلك من أجل حماية أمنها. قررت إيران الانتقام من الكويت التي كانت تدعم العراق في حينه وهددت أسطول النقل البحري الكويتي. كان ردّ فعل القيادة الكويتية وقتذاك الطلب من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة رفع علميهما على الناقلات الكويتية.

لم تتجرّأ إيران بعد ذلك على الاقتراب من أي ناقلة كويتية. فهمت إيران حجمها. أجبرتها الظروف على ذلك. ما يمكن استنتاجه من كلّ ذلك أن اللغة الوحيدة التي تفهمها إيران هي لغة القوّة. في حال أظهر دونالد ترامب أنّه جدّي بالفعل في التعاطي معها، لن يكون من مجال آخر سوى الدخول في مفاوضات جدية تؤدي هذه المرّة إلى اتفاق جديد.

يضع مثل هذا الاتفاق الملفّ النووي الإيراني على الرفّ نهائيا من جهة ويعالج مسألتين في غاية الأهمّية من جهة أخرى. المسألتان هما الصواريخ الباليستية والسلوك الإيراني في المنطقة، بما في ذلك دعم الميليشيات المذهبية التي لا هدف لها سوى تفتيت دول المنطقة. يظلّ ما يحدث في لبنان وسوريا والعراق واليمن خير دليل على ذلك، أي على ما هي السياسة الإيرانية على أرض الواقع.

كانت الحرب العراقية – الإيرانية تقترب من نهايتها في أواخر العام 1987. سهّل ذلك انعقاد قمّة عربية في عمان حضرها صدّام حسين وحافظ الأسد الذي تعاطى مع التطورات الإقليمية بواقعية كبيرة بعدما أيقن أن رهانه على إيران في الحرب استنفد أغراضه. إيران نفسها بدأت تدرك أن عليها تجرّع "كأس السمّ" على حد تعبير آية الله الخميني. وقد فعل ذلك في 1988.

ما يبدو طبيعيا في السنة 2018 هو أن تتعظ إيران من أحداث 1987. لم يكن في استطاعتها في ثمانينات القرن الماضي متابعة الحرب على العراق لولا الدعم الأميركي لها. ضربت أميركا وقتذاك عصفورين بحجر واحد. أنهكت العراق وإيران وجعلت دول المنطقة أكثر اعتمادا عليها. كان العناد الإيراني على الاستمرار في الحرب أكبر خدمة إيرانية للولايات المتحدة التي استنزفت العراق إلى أبعد حدود في وقت لم يكن البلد يمتلك للأسف الشديد قيادة تتمتع بالقدرة على استيعاب موازين القوى في المنطقة والعالم، إضافة إلى عدم استيعابها لمعنى التحولات الدائرة في إيران نفسها في مرحلة ما بعد سقوط الشاه. فالحرب العراقية – الإيرانية كانت الخدمة الأكبر للخميني الذي انتهز تلك الفرصة لاستثارة العنصرية الفارسية وإرسال الجيش الذي لم يكن يثق به إلى جبهات القتال في الوقت ذاته.

منذ اليوم الأوّل لسقوط الشاه، كانت إيران المستفيد الأوّل من السياسة الأميركية. كانت شريكا في الحرب الأميركية على العراق في 2003 وكانت الرابح الأوّل من تلك الحرب التي أعطت مشروعها التوسّعي انطلاقة جديدة. أخذت هذه الانطلاقة بعدا أكبر في عهد باراك أوباما الذي لم ير سوى "الإرهاب السنّي" في المنطقة تاركا الإرهاب الآخر الذي تمثله ميليشيات إيران يسرح ويمرح.

النظر من الزاوية الخطأ

سيترتب الكثير على مدى جدّية إدارة ترامب في التعاطي مع إيران. الثابت أن إيران لن تجد ما تفعله سوى التراجع في حال اكتشفت أن هناك إصرارا أميركيا على محاصرتها. فكلّ مسؤول إيراني، أكان متطرفا أم معتدلا، علما أنّ لا فارق يذكر بين المعتدل والمتطرف، يعرف أن أميركا لم تكن يوما عدوًا لإيران، بل كانت حليفا دائما لها، وأن كلّ الكلام عن "الموت لأميركا" كان للاستهلاك المحلي أو الإقليمي. ما الذي يزعج أميركا من قمع الإيرانيين في إيران نفسها وماذا يزعجها من تفتيت الدول العربية الواحدة بعد الأخرى، وهو الدور الذي لا تعرف إيران لعب غيره؟

مع القاتل أم مع المقتول؟

العدالة لا تهم الأوروبيين في حضرة المصالح

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❑ ما نظنه عارا على صاحبه وأنه سيعجّل بنهاية ظلمه وفجوره وجنونه، هو نفسه ما يتعمّد النظام الإيراني نشر أخباره والترويج له، لأنه هو الذي يكسب به قوته. والأوروبيون الذين كثيرا ما انتظرنا ديمقراطيتهم وسلامهم وعدالتهم لتعاقب القاتل وتنصف المقتول تبيّن لنا أن ضمائرهم، حين يجدّ الجد، مع الظالم وضد المظلوم، ومع السارق وضد المسروق، والشرف لديهم لا قياس له إلا بما يدخل في جيوبهم من مال.

مناسبة هذا الحديث أن الرئيس الإيراني حسن روحاني، وهو في طريقه لإقناع أوروبا بوقوفها إلى جانب نظام وليه الفقيه في مواجهة أميركا، هدّد بمنع شحنات النفط من الدول المجاورة إذا استجابت دول العالم، وفي مقدمتها أوروبا، لطلب الولايات المتحدة بعدم شراء النفط الإيراني.

في نفس اليوم، سارع قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني، قاسم سليماني، ليبارك تهديدات روحاني. ثم انضم قائد آخر في الحرس الثوري الإيراني إلى قائمة المهددين بمنع مرور شحنات النفط في مضيق هرمز بالخليج العربي. فقد أعلن العميد إسماعيل كوثري نائب قائد قاعدة (ثار الله) التابعة للحرس الثوري، في مقابلة مع وكالة نادي المراسلين الشباب أن "إيران لن تسمح بمرور أي شحنة نفط في مضيق هرمز، إذا كانوا يريدون وقف صادرات النفط الإيراني".

ولأن مواقف روسيا والصين معروفة مسبقا، باعتبار أنهما تبحثان عن أي فرصة لتعكير مزاج الأميركان، فقد توهمتا بأن هذا التهديد سيكون كافيا لجعل القادة الأوروبيين، بشكل خاص، يغلقون في وجه النظام الإيراني الباب ويرفضون الحديث معه، لأنه لا يستحق الثقة ولا الاحترام.

منذ إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب انسحابه من الاتفاق النووي وعزمه إطلاق سلسة عقوبات جديدة على إيران، لم يوفر الأوروبيون جهدا من أجل الخروج من بين مطرقة ترامب وسندان علي خامنئي، بالعثور على حل وسط يمكن أن يرضي الطرفين، وهو أضعف الإيمان.

لكن، جاءهم حسن روحاني ليهددهم وهو في عقر دارهم. في خضم ذلك، فجّرت حكومة النمسا فضيحة جديدة من فضائح النظام الإيراني، عندما كشفت عن عملية إرهابية خطط لها وأشرف على تنفيذها الدبلوماسي الإيراني أسد الله أسدي الذي كان ينوي تفجير اجتماع المعارضة الإيرانية في باريس.

ولكن يبدو أن الكرامة والعدالة والإنسانية لا تهم أحدا من قادة أوروبا، وأن المصالح والمنافع والمكاسب وحساب الربح والخسارة، فوق كل اعتبار، وأشرف من كل شرف، وأكرم من كل عدل وقانون. فقد وضعوا، أخيرا، أيديهم في أيدي الروس والصينيين، وأعلنوا أنهم مع النظام الإيراني في نزاعه مع الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها، برغم كل ما كانوا يعرفونه سابقا، وما عرفوه لاحقا، عن سلوكه الإرهابي الذي كانوا هم من ضحاياه الأولين.

من بين 11 هدفا أعلن وزراء خارجية (روسيا والصين وفرنسا وألمانيا وبريطانيا) عزمهم على تحقيقها، "استمرار صادرات الغاز والنفط الإيرانيين"، رغم أن إدارة ترامب طلبت من جميع الدول إيقاف وارداتها من النفط الإيراني، بحلول 4 نوفمبر المقبل، وهددت جميع الشركات التي ستتعامل مع إيران، بعد ذلك التاريخ، بشمولها بتلك العقوبات.

معنى هذا أن أي حكومة تستطيع أن تقتل، بالجملة وبالمفرق، وأن تغتصب، وتحرق وتفجر، وتنهب، ثم تجد لها من يقف معها ضد العدالة والحق والقانون، ويقتل معها أهل بيتها، وأهل بيوت جيرانها، مادامت شركاته ومصانعه ومؤسساته وخزائنه تريد ذلك، وإن كره الكارهون.

وكأن كل التاريخ الإرهابي الطويل ضد الأوروبيين والأميركيين، بشكل خاص، وضد الشعب الإيراني، وضد العراقيين والسوريين واللبنانيين واليمنيين والفلسطينيين، ليس بذي قيمة معها لدى قادة الدول الكبرى، وإن جعجعوا كثيرا عن السلام والحرية والعدالة والمساواة.

● دشن نظام الخميني مسيرته باقتحام السفارة الأميركية في العام 1979 واحتجاز موظفيها لمدة 444 يوما، بقيادة واحد أصبح في ما بعد رئيسا لجمهورية إيران، هو أحمدي نجاد.

● في العام 1982 قامت مجموعة من حزب الله اللبناني (الإيراني) بخطف 96 مواطنا أجنبيا في لبنان، بينهم 25 أميركيا في ما يعرف بأزمة الرهائن التي استمرت عشر سنوات.

● في العام 1983 تم تفجير السفارة الأميركية في بيروت من قبل حزب الله، وقتل في الحادث 63 شخصا في السفارة.

> كأن كل التاريخ الإرهابي الطويل ضد الأوروبيين والأميركيين وضد الشعب الإيراني وضد العراقيين والسوريين واللبنانيين واليمنيين والفلسطينيين، ليس بذي قيمة لدى قادة الدول الكبرى

● في العام 1983 أيضا قام الإيراني إسماعيل عسكري الذي ينتمي للحرس الثوري بتنفيذ عملية انتحارية في بيروت استهدفت مقر مشاة البحرية الأميركية، نجم عنها مقتل 241 شخصا، وجرح أكثر من 100 من أفراد البحرية والمدنيين الأميركيين.

● في العام 1983 تم تفجير مقر القوات الفرنسية في بيروت من قبل حزب الله، بالتزامن مع تفجير مقر القوات الأميركية الذي نجم عنه مقتل 64 فرنسيا مدنيا وعسكريا.

● في نفس العام أي 1983 قامت عناصر من حزب الله وحزب الدعوة بمجموعة هجمات طالت السفارة الأميركية والسفارة الفرنسية في الكويت ومصفاة للنفط إضافة إلى حي سكني نجم عنها مقتل 5 وجرح 8.

● في 1983 تمكنت شاحنة محملة بـ45 أسطوانة كبيرة من الغاز متصلة بمتفجرات بلاستيكية من اقتحام البوابات الأمامية للسفارة الأميركية في مدينة الكويت، وهدمت نصف المبنى.

● في العام 1988 تم اختطاف طائرة الجابرية من قبل مجندين من حزب الله اللبناني وحزب الدعوة العراقي، بأوامر من إيران، وكانت تقوم برحلة إلى الكويت قادمة من مطار بانكوك في تايلاند. واقتاد الخاطفون الطائرة إلى مطار مشهد في إيران وطالبوا بإطلاق سراح سجناء جندتهم إيران في الكويت، وتم اعتقالهم إثر تفجيرات استهدفت البنية التحتية لدولة الكويت إضافة إلى سفارتي فرنسا والولايات المتحدة.

● في العام 1994 تورطت إيران في تفجيرات بوينس آيرس التي نجم عنها مقتل أكثر من 85 شخصا، وإصابة نحو 300 آخرين.

● في العام 1996 تم تفجير أبراج سكنية في الخُبر من قبل (حزب الله الحجاز) التابع للنظام الإيراني، ونجم عنه مقتل 120 شخصا، من بينهم 19 من الجنسية الأميركية. وقد اعترف المواطن السعودي أحمد المغسل الذي تم القبض عليه في عام 2015 وفي حوزته جواز سفر إيراني بأن الذي أشرف على العملية الإرهابية هو الملحق العسكري الإيراني لدى البحرين آنذاك.

● في العام 2003 اعتقلت الشرطة البريطانية هادي بور السفير الإيراني السابق في الأرجنتين بتهمة التآمر لتنفيذ هذا الهجوم.

● في العام 2003 تورط النظام الإيراني بتفجيرات الرياض بأوامر من أحد زعامات القاعدة في إيران، وقد قتل فيها العديد من المواطنين السعوديين والمقيمين الأجانب، ومن بينهم أميركيون.

● في العام 2011 أحبطت الولايات المتحدة الأميركية محاولة اغتيال السفير السعودي، وثبت تورط النظام الإيراني في تلك المحاولة، وكشفت المحكمة الاتحادية في نيويورك عن اسمي الشخصين الضالعين في المؤامرة، وهما منصور أرباب سيار، (وقد تم القبض عليه وسجن 25 عاما)، وغلام شكوري وهو ضابط في الحرس الثوري الإيراني متواجد في إيران، ومطلوب من القضاء الأميركي.

وهنا نتساءل، ألا يحق للعراقيين والسوريين واللبنانيين واليمنيين والبحرينيين والفلسطينيين الذين أحرق خامنئي وأعوانه ومستشاروه قلوبهم وأرواحهم وأجسادهم، وخربوا بيوتهم ونهبوا أموالهم وجففوا أنهارهم وسمموا هواءهم وعطلوا حياتهم، أن يقولوا لزعماء أوروبا إن النظام الذي تعاونوه وتؤيدوه وتخوضون معه حروبه ضد شعبه وضدنا، ألم يأتكم رئيسه (المعتدل) (الإصلاحي) شحاذا وخنجره في حزامه؟ فمتى تعقلون؟

امتيازات غير مسبوقة لقادة الجيش المصري: تحصين للضباط وللرئيس

مكافآت مالية ومعاملة وزراء وحصانة لبعض كبار قادة القوات المسلحة

يمنح مشروع قانون جديد قدمته لجنة الدفاع والأمن القومي بمجلس النواب المصري، وتمت المصادقة عليه، مزايا غير مسبوقة لبعض كبار قادة القوات المسلحة المصرية، تضاف إلى قائمة طويلة من الامتيازات التي يتمتع بها عناصر الجيش، في خطوة أثارت الجدل في مصر حول التشريع الذي قد يفضي إلى تحصين هؤلاء القادة المختارين، من أي مساءلة في المستقبل، بالتوازي مع تحصين الرئيس من أي منافسة انتخابية أو تقلبات سياسية في المستقبل.

القانون يمنح امتيازات كثيرة مقابل تقييد فرص العمل السياسي تجنبا لتكرار سيناريو ترشح الفريق سامي عنان في الانتخابات الرئاسية

❑ **القاهرة** – تصاعد الجدل في أوساط سياسية مصرية حول قانون يسمّى "بعض كبار قادة القوات المسلحة"، منذ مصادقة مجلس النواب عليه، لأنه تضمن مواد تمنح حصانة وامتيازات غير مسبوقة لعدد من كبار ضباط الجيش.

حمل القانون، الذي تم الإعلان عنه بشكل مفاجئ، الثلاثاء، ست مواد، وضعت خطوطا عامة له وربما فضفاضة. بموجب المادة الأولى، يحدد رئيس الجمهورية قائمة بأسماء كبار ضباط القوات المسلحة المخاطبين به ويتم استدعاؤهم لخدمة القوات المسلحة طوال حياتهم.

وتمنح مادة أخرى رئيس الجمهورية حق تحديد الامتيازات التي يتمتع بها هؤلاء الضباط، إلى جانب احتفاظهم بأي مزايا تمنحها لهم قوانين أخرى، ما يعني أنهم يتمتعون بامتيازات عسكرية ومدنية، بغض النظر عن قيمتها وهويتها، ويعامل هؤلاء القادة المعاملة المقررة للوزير، والحصول على المزايا والحقوق المقررة للوزراء، وإن لم يشغلوا هذا المنصب.

> يُفهم من القانون كأنه اتفاق بين نخبة الحكم من ضباط الجيش، لا يشمل سواهم من شركاء المسؤولية مثل الشرطة وشخصيات مدنية تولت مسؤوليات في الفترة ذاتها

وقالت المادة الخامسة، يتم منح هؤلاء الضباط حصانة من الملاحقة القضائية على أيّ فعل ارتكبوه في أثناء تأديتهم لمهام مناصبهم أو بسببها، إلاّ بإذن من المجلس الأعلى للقوات المسلحة، خلال المدة بين تعطيل العمل بالدستور المصري من 3 يوليو 2013، حتى تاريخ انعقاد مجلس النواب الحالي في 10 يناير 2016.

ينطوي القانون على أوجه تشابه مع التشريع الذي صدر في نوفمبر عام 2011، عندما كان المجلس العسكري على رأس السلطة الحاكمة في مصر، بعد رحيل الرئيس الأسبق حسني مبارك، وجعل أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة قيد الاستدعاء بعد بلوغهم سن المعاش.

كانت هذه هي الثغرة التي جرى استغلالها لمنع الفريق سامي عنان، رئيس أركان الجيش المصري، من الترشح في انتخابات الرئاسة الماضية أمام الرئيس عبدالفتاح السيسي، لأنه رجل عسكري وقيد الاستدعاء ولا يجوز له إعلان الترشح أو العمل السياسي قبل الحصول على موافقة المجلس العسكري.

أوحت طريقة تمرير القانون داخل مجلس النواب والمصادقة البرلمانية السريعة عليه، بأن مصر على أعتاب تغييرات في المؤسسة العسكرية، وبدا أنه لا توجد رفاهية للمزيد من التوضيح والشرح والتفسير للرأي العام، من جانب الحكومة أو البرلمان.

وشرح مصدر برلماني لـ"العرب" أن "مجلس النواب تسلم القانون من مجلس الوزراء، الاثنين، وتم تشكيل لجنة مشتركة ضمت أعضاء لجان الأمن القومي والشؤون التشريعية والخطة والموازنة والعلاقات الخارجية، وعُقد اجتماع مغلق، ثم جلسة عامة، وطرح الأمر على مجلس النواب للتصديق على القانون، الثلاثاء، أي خلال 24 ساعة".

وأضاف المصدر أن تقرير اللجنة المشتركة قدّم القانون لأعضاء البرلمان في الجلسة العامة، على أن الهدف منه تكريم بعض كبار قادة القوات المسلحة الذين قدموا تضحيات جليلة للوطن خلال فترة عصيبة، ومن غير المعقول أن تبخل عليهم الدولة بالتأمين الذي يستحقونه، وخلال دقائق معدودة تم التصديق على القانون بأغلبية برلمانية كاسحة.

ولم يحدد القانون آلية اختيار قادة الجيش الذين سيتمتعون بهذه الامتيازات، وترك المهمة للرئيس، القائد الأعلى للقوات المسلحة، ليقرر أسماء هؤلاء، دون أن يشاركه أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

ويرى مراقبون أن منح سلطة اختيار من يحق لهم التمتع بالامتيازات والحصانة القضائية والدبلوماسية لرئيس الجمهورية، يعزز مكانة السيسي في الجيش. ويقول هؤلاء هذا يعني أن الولاء للرئيس سيوازيه أمان كامل طوال فترة الخدمة العسكرية وما بعدها، وربما يرتبط ذلك بحاجة السيسي إلى الشعور بالمزيد من الثقة في تأكيد تماسك الجيش حوله، وسط تصاعد الغليان الشعبي جراء حالة الغلاء المرتبطة بتمسك الحكومة بتطبيق سياسة الإصلاح الاقتصادي وما تمخض عنها من رفع للدعم عن السلع والخدمات، ما يجعل فرض التعبير عن الغضب في الشارع غير مستبعدة.

ورأى فيه البعض من المعارضين إمكانية حدوث تنافس بين قادة القوات المسلحة لنيل رضا الرئيس، وقد يصل الأمر حد الولاء للقائد الأعلى أكثر من أيّ شيء آخر. لكن تبدو فكرة التنافس غير ملموسة في القوات المسلحة المصرية، لأن هناك معايير صارمة يجري اتباعها عند تصعيد قادة الجيوش، كما أن تاريخ العسكرية المصرية لا يعرف الصراعات الظاهرة.

ويبني معارضون للقانون وجهة نظرهم على أن مزاياه وصلت حد التمييز، لا سيما مع تحصين القادة الذين سيقع عليهم الاختيار للاستفادة من القانون، من الملاحقة القضائية إلا بإذن من المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ما يحمل بين ثناياه "خروجا آمنا من السلطة، مهما بلغت درجة الخطأ الذي وقعوا فيه".

وقال اللواء ممدوح شاهين، مساعد وزير الدفاع للشؤون القانونية والدستورية، أمام أعضاء مجلس النواب، "إن القانون لا يحمل تمييزا لقادة القوات المسلحة، وإنما يمثل تكريما لهم"، لافتا إلى أن مثل هذا التكريم سبق وحدث في مناسبات عديدة، من بينها تكريم قادة حرب أكتوبر عام 1973.

فترة التحصين

ذهب معارضون إلى أن تحديد فترة التحصين والملاحقة واقتصارها على القادة خلال المدة من 3 يوليو 2013 وحتى انعقاد البرلمان في 10 يناير 2016، يوحي بأن فئة من هؤلاء الضباط تورطت في ارتكاب أخطاء تستوجب المساءلة وأرادت تحصين نفسها ضد أيّ عقاب مستقبلا.

ويتهم بعض القادة من جانب منظمات ومؤسسات حقوقية بأنهم تورطوا في ما يوصف بـ"جرائم دموية"، ضد مدنيين إبان الفترة التي أعقبت ثورة 30 يونيو 2013 ضد نظام الرئيس الإخواني محمد مرسي.

لكن اللواء أحمد العوضي، عضو لجنة الدفاع والأمن القومي لمجلس النواب، قال لـ"العرب" إن كبار قادة الجيش ليس لديهم خوف مما قدموه في ثورة 30 يونيو والفترة التي أعقبتها، لأنهم يدركون تماما أن ذلك واجب وطني لا غبار عليه.

وتوحي بعض مواد القانون، بالصيغة التي أقرت بها، بأنها تصب في صالح قادة عسكريين بعينهم، وتحصّن من رحلوا عن مناصبهم، وكانوا شركاء في مرحلة سياسية مرتبكة وخطيرة، ومن هؤلاء صدقي صبحي، الذي كان رئيسا لأركان الجيش خلال ثورة 30 يونيو، ثم وزيرا للدفاع، ومحمود حجازي الذي كان رئيسا لجهاز المخابرات الحربية ثم رئيسا للأركان. ويُفهم من القانون كأنه اتفاق بين نخبة الحكم من ضباط الجيش، لا يشمل سواهم من شركاء المسؤولية مثل الشرطة وشخصيات مدنية تولت مسؤوليات في الفترة ذاتها.

وتخشى دوائر أمنية وسياسية أن يتسبب إغفال دور قادة وزارة الداخلية في زيادة حدة تذمر الشرطة من الامتيازات الممنوحة لكبار القادة العسكريين، ويُفهم الأمر على أن هناك اتجاها للتضحية بقيادات أمنية لدفع فواتير عن فترة سابقة، تشاركت فيها مؤسسات مختلفة، مقابل تحصين فئة بعينها.

مكافآت وتحصينات

أكد العوضي أن "القانون يخص فئة بعينها ممن شاركوا في قيادة الجيش خلال الفترة الماضية، ومن هم موجودون حاليا أيضا"، مشيرا إلى أنه من حق الرئيس توسيع دائرة تطبيق القانون على قادة الشرطة، مكافأة لهم على دورهم المساند للجيش والشعب.

برغم ما يحمله القانون من مزايا للقادة العسكريين، يظل سيفا على رقاب البعض منهم، لا سيما ما يتعلق بإمكانية استدعائهم للخدمة مدى الحياة، وهو يحول دون أن يفكر أيّ من المدرجين بقائمة النخبة العسكرية في الترشح لمناصب سياسية مستقبلا، وإلا يكون مصيره مثل الفريق سامي عنان.

وتأخذ تفسيرات المادة الخاصة بالاستدعاء مدى الحياة، أكثر من بعد، الأول يتعلق بأن السيسي يريد أن يظل المتحكم في اختيار الشخصية العسكرية التي تنافسه على الحكم مستقبلا، إذا تقرر تعديل الدستور بشكل يسمح له بالترشح لولاية ثالثة. ويرتبط البعد الآخر بشكل مباشر بزيادة قاعدة التحصين للقادة العسكريين الذين يختارهم السيسي، بحيث ينعموا بالأمان.

غير أن هناك تفسيرا ثالثا يرمي إلى أن الجيش أصبح يفكر في الانسحاب من الحياة السياسية بشكل تدريجي، ويريد بعض كبار قادته أن يكون ذلك بشكل آمن، بما لا يُسمح بالنبش في الماضي أو إزعاجهم مستقبلا.

ويبرر أصحاب هذا الرأي وجهة نظرهم، بأنه إذا كان قادة الجيش على قناعة باستمرار وجود شخصية عسكرية على رأس الحكم مستقبلا، بما يمنحهم الأمان والثقة، لماذا اختاروا تحصين الماضي والمستقبل بهذه الطريقة، إلا إذا كانت هناك نية لتداول السلطة، أو الاستقرار على عدم الدفع بمرشح عسكري في الانتخابات المقبلة؟

على أرض الواقع، لا يحظى هذا التفسير بتأييد واسع لأن هناك آراء عسكرية وسياسية تربط أمن واستقرار البلاد بوجود شخصية عسكرية على رأس الحكم، تستطيع أن تتعامل مع التقلبات والاضطرابات والتهديدات الإقليمية بحنكة سياسية ذات صبغة عسكرية، ويحتاج ذلك إلى تناغم رئاسي مع القوات المسلحة حتى لا يتكرر الصدام بين مؤسسة الرئاسة وقت أن كان مرسي (رئيس مدني) على رأس السلطة، وبين المؤسسة العسكرية.

من الصعب أن يتخلى الجيش عن المزايا التي بناها طوال السنوات الماضية، وتضاعفت مؤخرا للتسريع بوتيرة التنمية وتعزيز الاقتصاد بمشروعات قومية ضخمة، حتى تحولت المؤسسة العسكرية إلى منافس في اقتصاد السوق الرأسمالية. ومن الصعب أن يأمن لأي شخصية غير عسكرية في الحكم، تمنحه كل المزايا التي حصل عليها، فهو رقم واحد في مصر منذ سبعين عاما.

هل سيعود النظام السوري إلى شرقي الفرات

رانيا رضوان مصطفى

❑ تعيش وحدات الحماية الكردية حالة من القلق على وجودها في سوريا برمّته، ولم يبقَ أمامها سوى التفاوض مع النظام على بعض المكاسب، أي العودة إلى خيمة الدولة السورية وفق ما صرّح به صالح مسلم، رئيس حزب الاتحاد الديمقراطي.

الفصيل الكردي قلق بسبب التفاهم التركي الأميركي الأخير، في عفرين ومنبج خاصّة؛ فقد بات جليًا له أن أميركا استخدمته كورقة لقتال تنظيم الدولة الإسلامية، ولن تمضي في دعمه إلى النهاية، كما أنّ مصالحها مع تركيا أكبر.

يدعم هذه المخاوف اضطرار الوحدات إلى إزالة صور زعيم حزب العمال الكردستاني عبدالله أوجلان من الشوارع والساحات العامة، بناء على توافق أميركي- تركي.

ما يزيد القلق الكردي هو عودة التصريحات الأميركية حول الانسحاب من سوريا، مع اقتراب التسوية السياسية، والتي من المتوقع أن تضع قمة ترامب – بوتين في هلسنكي نقاطها النهائية، خاصة أن أميركا تخلت عن فصائل الجنوب التي تدعمها، عبر اتفاق أميركي- روسي- إسرائيلي- أردني.

المجتمع الدولي متفق على وحدة سوريا. لكن سوريا ليست في سلّم أولويات الولايات المتحدة، لولا التوغل الإيراني فيها؛ وبالتالي فإن مناطق النفوذ الأميركي في شمال شرق سوريا، كما الجنوب، هي أوراق مساومة بيد أميركا، قد تتخلى عنها لروسيا، مقابل طرد إيران. كما أنها قد ترضي الحليف التركي بتأمين حدوده الجنوبية من خطر ميليشيا حزب العمال الكردستاني وفرعه في سوريا.

تواجه قوات سوريا الديمقراطية إشكالية أخرى تتعلق بسوء إدارتها للمناطق العربية التي سيطرت عليها، خاصة الرقة، وريف الحسكة الجنوبي، حيث لا حاضن اجتماعيا لها، لخلوّها من المكون الكردي، حيث يقطنها سكان من أصول عشائرية عربية.

وفرضت قوات سوريا الديمقراطية ثقافة دخيلة على هذه المناطق، فضلا عن فرضها التجنيد الإجباري وإقامة المعتقلات وقمع الحريات العامة. كل ذلك أدى إلى الاقتتال بين مكونات قوات سوريا الديمقراطية، العربية والكردية. وكثيرا ما كانت تبرّر الفصائل الكردية قمعها للمكون العربي باتهامه بالولاء لتنظيم داعش، رغم أن فصائل عربية، أبرزها لواء ثوار الرقة، كانت تقاتل داعش إلى جانبها، تحت غطاء التحالف الدولي.

معاملة الإقصاء هذه للمكون العربي جعلت وحدات حماية الشعب تتحسّس أيضا خطر عودة داعش من الجيوب المتبقية في سوريا والعراق، والتي قدّرت صحيفة الإندبندنت في تقرير لها عددهم بين 8000 و10000 مقاتل.

في ظل ما يمكن أن يحدث، تفضّل وحدات الحماية الكردية عودة النظام السوري ومؤسساته، مع بعض المكاسب، على أن تسيطر تركيا على الرقة والمناطق الحدودية. وعودة النظام تعني لها العمل تحت الوصاية الروسية، وهو ما تفضّله، خاصّة أن روسيا هي من يحكم سوريا فعليا.

تقول الأنباء إن المفاوضات لعودة النظام جارية، ولا تأكيدات حول نتائجها؛ لكن المؤكّد أن حزب الاتحاد الديمقراطي في موقف ضعيف أمام النظام السوري،

> منطقة الجزيرة شرقي الفرات تشكل ربع مساحة سوريا، ويمكن اعتبارها سوريا المفيدة بحق، حيث تضم حقول النفط والغاز والأراضي الزراعية. وإذا ما تم تسليمها إلى النظام، يمكن القول إن خيوط العقدة السورية بدأت تتفكك

وقد لا يتمكن من تحصيل إدارة ذاتية كاملة، إلا بالشراكة مع أجهزة النظام، كما في القامشلي والحسكة، وكذلك تجربة حي الشيخ مقصود في حلب.

فقد قالت وسائل إعلام النظام بقبولها بلامركزية إدارية موسعة، وببعض الحقوق الثقافية الكردية، ومنح مقعد وزارة النفط السورية لشخصية كردية بشكل دائم، مع تسليم حقول النفط والغاز لوزارة النفط السورية والإدارة العامة للرميلان والجُبسة، وانضمام عناصر الميليشيات الكردية إلى صفوف النظام وتسليم المعابر الحدودية في اليعربية وسيمالكا النهري مع شمال العراق، ومنفذي الدرباسية ورأس العين الحدوديين مع تركيا.

والحقيقة أن العلاقة مع النظام لم تنقطع، فلطالما كان التنسيق بينهما في أعلى المستويات، حتى في أكثر فترات الدعم الأميركي لقوات سوريا الديمقراطية، وحتى حين تقاتلا في 2016، وانتهى الأمر حينها إلى تقسيم الحسكة والقامشلي إلى مربعات أمنية بين النظام والوحدات. كما أن تصريف النفط المستخرج من مناطق سيطرة قوات سوريا الديمقراطية وبيعه يتمّان عن طريق وزارة النفط التابعة للنظام، باعتبارها الجهة الوحيدة الشرعية التي يمكنها القيام بذلك.

إذن، التنسيق العالي موجود بين النظام السوري والوحدات الكردية، لكن الخشية من تمدد تركيا عبر صفقة مع أميركا إلى شرقي الفرات، هي ما تدفع الوحدات إلى العودة إلى حضن النظام. وتركيا لا تمانع في تسليم المنافذ الحدودية للنظام، وفي عودته إلى شرق الفرات مصلحة للطرفين. تركيا ستستفيد من العودة للعمل باتفاق أضنة 1998، الذي جُمّد بعد 2011، والذي يعطي تركيا الحق في اتخاذ جميع الإجراءات الأمنية اللازمة داخل الأراضي السورية حتى عمق 5 كم. والنظام مستفيد من إمكانية ضغط تركيا على المعارضة السورية للتخلي عن مطلب إسقاطه والقبول بالحل السياسي وفق رؤيته.

تشكل منطقة الجزيرة شرقي الفرات ربع مساحة سوريا، ويمكن اعتبارها سوريا المفيدة بحق، حيث تضم حقول النفط والغاز والأراضي الزراعية. وإذا ما تم تسليمها إلى النظام، يمكن القول إن خيوط العقدة السورية بدأت تتفكك، خاصة أن النظام يحاول السيطرة على الجنوب، وقد وصل إلى معبر نصيب على الحدود مع الأردن، ولم يبق سوى إدلب وريف حلب الواقعة تحت تصرف تركيا، وعلى عاتقها تقع مهمة حلّ جبهة النصرة، والمضي بالتنسيق مع روسيا لجعل المعارضة تنخرط في الحل السياسي، وفق الرؤية الروسية.

ضجة في العراق يثيرها القضاء: الطبيب مسؤول عن أي خطأ طبي

الضغط يدفع أطباء العراق إلى الهجرة وإيران تعوضهم بأطبائها

في الوقت الذي يحتاج فيه العراق إلى أطبائه، يزداد الضغط على هؤلاء بما يدفع من تبقى منهم، إما إلى ترك مهنته وإما إلى مغادرة البلد على خطى الآلاف من الأطباء الذين غادروا العراق منذ الغزو الأميركي سنة 2003. ويفاقم هذه الظاهرة الفساد الذي ينخر عمق المؤسسات الصحية في البلاد، الأمر الذي يعيق عمل الكثير من الأطباء الذين يجدون أنفسهم أمام قضاء عشائري عند وقوع أي خطأ طبي، وقد يصل الأمر إلى خطفهم والتهديد بقتلهم. وفي الوقت الذي يحتاج فيه الأطباء إلى دعم الدولة وحمايتها، تفاجئهم الأخيرة بقانون لا يقل خطرا عن قانون العشائر، وهو قانون المسؤولية الطبية الذي يرى الكثير من الأطباء أنه مجحف بحقهم خاصة أنه يعرّضهم للمساءلة القانونية عند وقوع أي خطأ حتى لو كانوا غير مسؤولين بشكل مباشر عنه.

سلام الشماع
كاتب عراقي

مرضى وأطباء، الكل يئن تحت وطأة ظروف ضاغطة

❑ أثار قرار اتخذته الهيئة الجزائية في محكمة التمييز الاتحادية في العراق، الأربعاء (4 يوليو 2018)، يقضي باعتبار إخلال الطبيب في تنفيذ واجباته تجاه المرضى قتلا خطأ، جدلا واسعا بين جميع الأوساط العراقية، وقد ينتهي بهجرة من تبقى من أطباء إلى خارج العراق.

وأصدر القاضي عبدالستار بيرقدار، المتحدث الرسمي باسم مجلس القضاء الأعلى، بيانا في هذا الشأن قال فيه إن "الهيئة الجزائية بمحكمة التمييز الاتحادية عدّت إخلال الطبيب بواجباته تجاه المريض وعدم إيلائه العناية الطبية اللازمة قتلا خطأ وينطبق وأحكام المادة (411/2) من قانون العقوبات"، موضحا أن "المبدأ التمييزي أشار إلى أن العقوبة لكل من يخل بواجباته يجب أن تكون رادعة لا سيما لمن يتهاون في علاج المرضى والراقدين في المؤسسات الصحية".

وتلجأ الغالبية من المرضى العراقيين إلى مستشفيات الأردن والهند ولبنان ومصر وإيران لتلقي العلاج حاليا، بعد أن غادر الكثير من الكوادر الطبية منذ الغزو الأميركي للعراق بعد تعرضهم لعمليات خطف منظمة ومطالبة ذويهم بدفع فدية لإطلاق سراحهم بمبالغ فلكية، ومن تبقى في العراق من أطباء يعملون، الآن، تحت هاجس الخوف من العقوبات العشائرية، وجاء قرار الهيئة الجزائية في محكمة التمييز الاتحادية ليكمل الإطباق على رقابهم ويمنعهم من تقديم خدماتهم لمرضاهم في جو إيجابي لا خوف فيه.

وعدّ الصحافي والكاتب العراقي مظهر عارف، المقيم في الولايات المتحدة الأميركية، هذا القرار بأنه شرعنة لقتل الأطباء وحملة لتصفيتهم وتبرئة الميليشيات من الجرائم التي ارتكبت ضدهم وإخلاء العراق من الأكفاء والاعتماد على أطباء إيرانيين، إذ أصبح من السهل اعتقال أي طبيب وسجنه بمجرد شكوى كيدية، واصفا القرار بأنه في جوهره سياسي على خلفية تزايد احتجاجات الأطباء على سياسات الوزارة وانتشار الفساد وإحلال آخرين من خريجي الوساطة والمحسوبيات، الذين لا يسببون أي إزعاج للنظام، فضلا عن أطباء إيران الذين سيأتون للعمل في العراق وسط انهيار الأوضاع هناك بسبب العقوبات المفروضة على طهران وتشغيل الخريجين الجدد هناك ومنع التحاقهم بالانتفاضة الإيرانية. واعتبر سفير العراق الأسبق في ماليزيا عدنان مالك أن إصدار هذا القرار، في هذا الوقت بالذات، هو جزء من الحملة الشعواء لإفراغ العراق من كوادره وعلمائه كي يكون كيانا متخلفا كما أعلنه جيمس بيكر عندما التقى طارق عزيز في العام 1991 بإرجاع العراق إلى العصور الوسطى بتنفيذ إيراني.

من يقرر القتل الخطأ

تناولت الأكاديمية وأستاذة علم الاجتماع في الجامعة المستنصرية سابقا الدكتورة منى العينه جي القرار من وجهة نظر اجتماعية، ولهذا فهي تقول إن رأيها ربما سيكون مختلفا، إذ أن القانون يسنّ في مجتمع عشائري تحكمه قوانين متعددة، والقانون العشائري هو أقوى من القانون الوضعي في مثل هذا المجتمع. ولأن عملية تنفيذ القصاص تكون فورية، فإن سن مثل هذا القانون يتطلب إيقاف عمل القانون العشائري أو قوانين لسلطات أخرى في المجتمع مثل الأذرع العسكرية للأحزاب، التي تمارس تنفيذ قرارات وفق صلاحياتها وربما من دون الرجوع إلى مرجعياتها من قادة الأحزاب.

وتتساءل، من سيقرر القتل الخطأ؟ وكيف نضمن عدم اتهام الأطباء باطلا وكيدا لاختلافاتهم كما يحدث في باقي تفاصيل الحياة العراقية؟ متوقعة أن يكون مثل هذا القرار أداة تصفية مشرعنة إن لم يكن مرفقا بنظام شامل للمؤسسة الصحية يتضمن توفير مستلزمات أساسية من مستشفيات وأجهزة ومعدات وعلاجات وكوادر تمريضية مدربة وغيرها مع وجود نظام قضائي نزيه للفصل في حالات الشكاوى أو سن قانون يحاسب بشدة أي إجراء عشائري يسبق التحقق من القتل الخطأ ويحدد أن القصاص من حق الدولة فقط.

ومن وجهة نظر مهنية طبيّة يرى استشاري جراحة العظام في واشنطن البروفيسور شاكر جواد أن إصدار مثل هذا القرار خطوة تحتاج إلى إنضاج أكثر وتوقيتها غير ملائم، حاليا لأنها قد تؤدي إلى نتائج سلبية خطرة تتراوح بين زيادة معدلات هجرة الأطباء وتعريض الأطباء لمطالبات عشائرية، خاصة أن المجتمع العراقي أصبح يتعامل مع مشكلاته بطرق بدائية عن طريق العشائر لا عن طريق القانون.

القانون في مثل الوضع العراقي الراهن يعني أنه بدلا من محاولة إثبات أن الطبيب غير مسؤول عن نتيجة إجراءاته الطبيّة ما دام قد اتبع الطرق الصحيحة في العلاج، ووفاة المرضى كانت بسبب طبيعة المرض أو حصول مضاعفات خلال العملية الجراحية أو طبيعة الإصابة وغيرها من العوامل التي لا يستطيع الطبيب تغييرها.

وينبّه شاكر جواد إلى أن الدولة يتوجب عليها أولا أن توفر كافة وسائل التشخيص الحديثة في مؤسساتها الصحية بما يتناسب وآخر التطورات الحديثة في العالم حتى لا يقع الطبيب في خطأ، لأن الخطأ في التشخيص يؤدي إلى خطأ في العلاج.

> نشطاء عراقيون يفكرون في إنشاء جمعيات شعبية للدفاع عن الأطباء ولمنع هجرتهم وبقاء العراق خاليا من الأطباء

ولكي تمتلك الدولة الحق في محاسبة موظفيها على أخطائهم فيجب أن توفر لهم كل العلاجات الطبية والأدوية الحديثة والأجهزة الجراحية وأجهزة التعقيم بكميات كافية وبآخر التقنيات، والتدريب المستمر للأطباء ومساعديهم، إذ ليس بمقدور الطبيب وضع خطة علاج متكاملة من دون توفر أدوية ومستلزمات حديثة وكافية، فنحن هنا كمن يرسل الجندي إلى الحرب من دون عتاد كاف ثم نحاسبه لعدم قتله الكثير من الجنود.

ويفسّر صدور هذا القرار في هذا التوقيت بأنه محاولة لامتصاص نقمة الناس على الوضع الإداري المتردي لأجهزة الدولة ومحاولة إيجاد كبش فداء من أحد قطاعات الدولة، في حين أن على الأخيرة، بدلا من ذلك أن تنظر إلى كيفية تطوير البنية التحتية للنظام الصحي بحيث يكون كفؤ بكل جوانبه قبل أن تحاسب الطبيب العامل في ظروف غاية في السوء ضمن هذا النظام المهترئ أصلا.

للقانونيين رأي

يرى أحد القضاة العاملين داخل العراق، وطلب عدم ذكر اسمه، أن لا استهداف سياسيا وراء إصدار هذا القرار، وإنما هو إجراء لتطبيق قانون موجود فعلا بعد أن بلغ الاستهتار بحياة المرضى حدا خطرا، بخاصة وأن هناك أطباء جددا لا يمتلكون أي كفاءة ومهملون في عملهم فتم تطبيق القانون ليكون رادعا لهم.

ويشير القاضي في قوله إلى قانون العقوبات رقم 111 لسنة 1969 وتعديلاته، ولكن فاته أن هذا القانون صدر في ظل منظومة صحية متكاملة ومؤسسات صحية متكاملة أو شبه متكاملة وأطباء أكفاء يقصدهم الناس من خارج العراق، لذلك لم يطبق كل تلك السنين إلا على حالات نادرة جدا.

وهذا ما قاله أيضا مدير المركز العربي للعدالة في لندن محمد الشيخلي لـ"العرب"، مشيرا إلى أن الطبيب يجب أن يعمل ضمن منظومة صحية متكاملة تكمل بعضها بعضا في أي دولة، وهذه المنظومة تبدأ بتوفير الدولة لكل الاحتياجات الأساسية في العمل الطبي من أسرة المرضى والأجهزة الطبية والتشخيصية وعوامل العناية المركزة بعد إجراء التداخلات الجراحية وغيرها، وفي حالة إخلال أو تقصير أي قسم ضمن هذه المنظومة، فإنه سيؤدي إلى عواقب وخيمة بحق المريض أو بحق الطبيب، ولا يجوز تحميل الطبيب مسؤولية تقصير بقية أقسام هذه المنظومة وحصرها بمسؤولية الطبيب كالقتل الخطأ.

ويرى أن قرار الهيئة الجزائية في محكمة التمييز سيفتح باب التوسع لمقاضاة الأطباء برغم ما يتعرضون له من تحديات وضغوط أثناء العمل ومساءلات قانونية وحتى عشائرية، وسيكون سابقة خطرة تتيح لأي ادعاء بخطأ طبي إلى مساءلة الأطباء، وسيضيف تحديا خطرا للعمل المهني الطبي.

ويقول الشيخلي إن ما أورده قانون العقوبات العراقي بالمادة 411/2 يقتضي تعمقا في التحقيق لحصر المسؤولية في الخطأ الطبي وهذا يجب أن يستند إلى قرار لجنة طبية متخصصة فيها خبراء من الكفاءات الطبية بأعلى من الطبيب موضوع الاتهام، وهذا لا يعفي الدولة أو وزارة الصحة من المساءلة في عدم إكمالها للمنظومة الصحيحة للدولة.

ويفكر نشطاء عراقيون في إنشاء جمعيات شعبية للدفاع عن الأطباء ولمنع هجرتهم وبقاء العراق خاليا من الأطباء. وقدرت نسبة الأطباء الذين هاجروا خارج العراق بعد عام 2003 نحو 60 إلى 70 بالمئة من أصل العدد الكلي المسجل لدى نقابة الأطباء العراقيين البالغ 34 ألف طبيب، فضلا عن هجرة أعداد غير معروفة للكوادر الطبية الوسطية، بحسب إحصائية رسمية لوزارة الصحة العراقية.

العراق يفرغ مما بقي فيه من أطباء

❑ **بغداد** – لم يشهد نظام الرعاية الصحية في العراق تحسّنا كبير رغم أنه من أكثر القطاعات حيوية في البلاد. وأدى تردي الوضع إلى هجرة الكثير من الكفاءات الطبية العراقية، ومن بقي منهم يجد نفسه اليوم مخيرا إما الهجرة أو تغيير المهنة، وإما العمل في ظروف أشد صعوبة.

ويروي شفيق نعيم السامرائي، الذي كان يعمل كطبيب أخصائي في جراحة الأنف والأذن والحنجرة في أحد المستشفيات الحكومية بالعاصمة بغداد، تجربته، في حديث نقلته وكالة الأنباء الألمانية "دويتشه فيله"، مشيرا إلى أنه لم يكن يتصور يوما أن مهنته الإنسانية ستجلب له المتاعب وسيرغم على تركها.

واعتزل شفيق مهنة الطب منذ عامين إثر مضايقات من قبل أفراد إحدى العشائر بسبب حادثة أرغمته على دفع فدية مالية تعادل 40 ألف دولار أميركي، بعدما أجرى عملية جراحية لتصحيح كسر في أنف أحد مرضاه، لكن توفي المريض بعد نحو شهر نتيجة تأثره بتخثر الدم.

ويؤكد الطبيب العراقي "على الرغم من نجاح العملية (..) وحتى إن لم يكن خطأك فعليك أن تدفع المال تجنبا للمشاكل".

ويقول السامرائي بمرارة مستحضرا تلك اللحظات العصيبة "هذه الحادثة دفعتني إلى أن اعتزل مهنة الطب وألتجئ إلى عمل آخر خوفا على حياتي في ظل سلطوية العشيرة.. كنت أريد خدمة أهلي وبلدي ولكن الأعراف العشائرية حالت دون ذلك".

وخلال الأيام الماضية، نظم الأطباء مسيرات احتجاجية، على خلفية وفاة الطبيب سليم عبدالحمزة متأثرا بطعنات تعرض لها من قبل مسلحين مجهولين اقتحموا عيادته الخاصة في منطقة المعامل ببغداد.

وجاءت العملية بالتزامن مع اختطاف طبيبين أحدهما يعمل في مستشفى الحكيم في مدينة الصدر والثاني في عيادته الخاصة ببغداد الجديدة، وفي نفس الأسبوع قتلت طبيبة أسنان بمركز صحي في منطقة الوشاش في بغداد.

لكن، رغم مأساوية الوضع الذي يعيش في خضمه الأطباء في العراق، فإن هناك العديد من الأطباء الآخرين والكوادر الطبية الذين استفادوا كثيرا منه، وفتح لهم نقص الأطباء المتخصصين الباب للسمسرة والمتاجرة بحياة المرضى.

> من تبقى في العراق من أطباء يعملون تحت هاجس الخوف من العقوبات العشائرية، وجاء قرار الهيئة الجزائية في محكمة التمييز الاتحادية، ليكمل الإطباق على رقابهم ويمنعهم من تقديم خدماتهم لمرضاهم في جو إيجابي لا خوف فيه

قائد ميليشياوي متمرّد ولاؤه لسلطة السلاح

إبراهيم الجضران

ليبي يتعاون مع الإخوان على العبث بمقدرات شعبه

الحبيب مباركي

❑ ملف النفط وتحرير المنشآت النفطية التي ظلت طيلة فترات طويلة بيد ميليشيات غائرة ولاؤها الأول والأخير لثقافة القبيلة وسلطة السلاح، أمور هي أشد ما يؤرق الليبيين هذه الأيام، مع ما يطرحه تدهور مقدرتهم الشرائية من مآس في ظل ظرف اقتصادي وسياسي متقلب وانتخابات ما زالت الرؤية نحوها ضبابية إلى حد الآن.

هو واحد من الذين ارتكنوا للعمل خارج سلطة القانون. يتّهمه الليبيون بإهدار عشرات المليارات من الدولارات من مقدّرات الشعب النفطية جراء المعارك التي خاضها في منطقة الهلال النفطي وتعطيله للإنتاج. عرف بكثرة تمرّده على الحكومات، فأطلقت عليه صحيفة التايمز البريطانية لقب "المتمرّد الذي يخنق الصادرات". برز كأحد أهم الرؤوس في ليبيا رغم صغر سنه، لا لشيء سوى أنه كان مسيطرا على عصب الاقتصاد الليبي وهو الموانئ النفطية طيلة فترات طويلة.

> الجضران يتّهمه الليبيون بإهدار عشرات المليارات من الدولارات من مقدّرات الشعب النفطية جراء المعارك التي خاضها في منطقة الهلال النفطي وتعطيله الإنتاج. فقد عرف بكثرة تمرّده على الحكومات، حتى أطلقت عليه صحيفة التايمز البريطانية لقب «المتمرّد الذي يخنق الصادرات»

محمد شيخ إبراهيم الجضران، المعروف اختصارا بإبراهيم الجضران، صاحب الـ33 عاما ينتمي إلى قبيلة المغاربة ذات الثقل السكاني في منطقة الموانئ النفطية. نصّب نفسه آمرا لحرس المنشآت النفطية رغم أنه لم يمنحه هذا المنصبَ أيُّ أحد. كان ذلك عقب ثورة 17 فبراير التي أنهت حكم العقيد الراحل معمر القذافي ورفع حينها عدد حرس المنشآت من 3 آلاف إلى 12 ألفا ويقدر متابعون أن قواته وصلت إلى قرابة 20 ألف مقاتل. يعرف بسعيه الدؤوب لجمع المقاتلين ومضاعفة قواته، حيث ضم المزيد من الكتائب في شرق ليبيا خصوصا من الميليشيات التشادية المعادية للدولة.

فتح الجضران المتحالف مع الإخوان المسلمين وفصائل إسلامية أخرى مدعومة من قطر وتركيا مؤخرا، الباب واسعا أمام جدل الإسلام السياسي المتوغل في عمق الدولة المنهكة والضارب في خاصرتها العليلة، بدخوله على خط الصراع حول أهمّ مصدرين لتصدير النفط في ليبيا مع قوات المشير خليفة حفتر، أين حاولت قواته تشتيت انتباه قوات الجيش الليبي عن معركة درنة التي أعلنت قيادة الجيش مؤخرا أنها بسطت سيطرتها عليها وباتت محررة بالكامل.

صنيع ثورة فبراير

يبدأ العدّ لمسيرة هذا الرجل الفاعل في ملف النفط الليبي "سلبيا" منذ ثورة فبراير 2011 التي أتت به قائدا. خدمت الثورة القائد الميليشياوي كثيرا حيث سلّطت الضوء عليه وكان متهما قبلها بتهريب الأسلحة بين ليبيا وتشاد وأظهرته كأبرز المشاركين فيها في البريقة. كما ساعدته على دخول مدينة سرت حيث قبيلة معمر القذافي، أين ظفر منها الجضران براجمات صواريخ وأسلحة ثقيلة ساعدت على تقوية مجموعته.

لم تولد خطورته من رحم السيطرة على موانئ النفط فحسب، بل إنه كان من أبرز متبني مشروع منح الفيدرالية لإقليم برقة، وأخذ يتحدث عن حقوق الإقليم الضائعة، لكن مشروعه السياسي لم يجد آذانا صاغية وكان مصيره الفشل.

تقرّ المصادر بأن مشكلات الجضران تفاقمت ودخل مرحلة الشك حين قرر من تلقاء نفسه في عام 2013 منع التصدير في منطقة الهلال النفطي التي سيطر عليها في يوم ما رغم أن 95 بالمئة من الاقتصاد الليبي يعتمد على النفط، ما بدّد قرابة 600 ألف برميل يوميّا كان يتم تصديرها حينها فخسر الجضران الدعم الكبير الذي كان يحظى به من القبائل الليبية، وهو ما أسهم في تهلهل قدراته وإضعافه.

ما هو مؤكد أن ثقافة الاستقواء وضعت الجضران في يوم ما على رأس أهم مورد اقتصادي في ليبيا، فلم يكفه التحكم فيه بلغة السلاح بل إنه تفنن في إهداره في كل الجهات تقريبا بمنطق الغنيمة، فكان لغزا محيّرا في كيفية التعامل معه.

كان السبيل الوحيد للتعامل مع هذا القائد الميليشياوي "القوي" نسبيا اللجوء إلى منطق "اليد التي لا تستطيع قطعها قبّلها"، فكانت جل الحكومات تقريبا تغدق عليه بالأموال لإثنائه عن بعض الأفعال، فقد قدمت له حكومة علي زيدان 300 مليون دينار ليستأنف التصدير من جديد وهادنه عبدالله الثني بتوقيع اتفاقية معه ليَسمح الجضران للمؤسسة الوطنية للنفط بإدارة شؤون الموانئ.

لكن أسوأ كارثة تسبب فيها الجضران كانت محاولته تهريب النفط بعيدا عن أعين الدولة، حين أرست ناقلة خرجت محمّلة بالنفط من ميناء السدرة وبعد فشل البحرية الليبية في إيقافها تدخلت بحرية أميركية واستولت على الناقلة قبالة قبرص بعد أيام من مغادرتها الميناء.

حدث آخر لا يقل أهمية في ليبيا، التي تغلغل فيها تنظيم الدولة الإسلامية والميليشيات المتشددة الدائرة في فلكه، ارتبط بالجضران؛ فقد خدمه تصديه لداعش الذي اتخذ من سرت معقلا له عندما حاول التقدم باتجاه منطقة الهلال النفطي التي كانت في قبضة الجضران، ليظهر بمظهر المتصدي للمتشددين ما أسهم في تلميع صورته.

أمير الحرب وثروات ليبيا

ضغط الجضران من موقع قوة السلاح ليتحكم في موارد بلاده النفطية ويضع الليبيين أمام أزمة خانقة ارتدت سلبياتها على حصص البلاد من الصادرات التي كان يتحكم فيها بحكم موقعه في رئاسة المنشآت النفطية. عارفون بخبايا الرجل ومطلعون على كواليس جولاته في ليبيا يشددون على أنه حين كان الصراع على أشده بين مختلف الميليشيات المسلحة المتناحرة على السلطة في ليبيا طولا وعرضا، كانت عين الجضران على جوهرة ليبيا الثمينة ظنا منه أن الظروف مواتية والطريق معبدة أمامه ليسيطر وحده على النفط ويبيعه لحسابه بدعوى أنه حق لبرقة التي ادعى أنه سيقيم إقليمها الفيدرالي.

أسس الجضران في 17 أغسطس 2013 ما يعرف بالمكتب السياسي لإقليم برقة يتبعه مكتب تنفيذي في شكل حكومة تضم عددا من الوزراء يترأسها عبدربه البرعصي شفعها بمجموعة من المطالب أبرزها إقرار نظام فيدرالي في ليبيا واقتسام الثروة.

الخطوة الأولى كانت مقدمة ضرورية لتغطية قيادة الجضران لمجموعة من المسلحين سيطروا على الموانئ النفطية ومنعوا تصدير النفط، الأمر الذي هدّد الرئة الاقتصادية لليبيا وأربكها. بعدها نجح الجضران في استقطاب عدد من شيوخ القبائل بعد أن وعدهم بأنه سيقدم لهم مالا وفيرا، وضم الكثير من المسلحين الذين سعوا للارتزاق إلى جانبه.

هكذا تحول الجضران إلى "أمير حرب" مسؤول عن مليارات الدولارات من أموال النفط ويقبض بيده على مسار تحديد مستقبل ليبيا وصناعتها النفطية وبدا أكثر اعتدادا بنفسه. لكن طموحه إلى بيع النفط لحسابه بمعزل عن حكومة طرابلس منى بالفشل في مارس 2014، عندما احتجزت البحرية الأميركية الناقلة "مورنينغ غلوري" قرب قبرص، إثر تحميلها شحنة نفط من ميناء السدرة وفرارها من حصار البحرية الليبية.

دفعه فشله إلى التراجع خطوة إلى الوراء حين توصل إلى اتفاق مع الحكومة لإعادة تصدير النفط عبر المؤسسة الليبية للنفط. إلا أن سلوكياته أدت عمليا إلى توقف نصف إنتاج البلاد من النفط وبدأت تظهر مؤشرات سلبية في الاقتصاد الليبي بسببه، منها انخفاض معدل النمو الاقتصادي وتحقيق عجز في الميزانية العامة وتراجع احتياطيات المصرف المركزي الليبي من النقد الأجنبي.

تحولت قوة حرس المنشآت بقيادة الجضران إلى "جيش خاص" ووجهت إليها اتهامات بسرقة النفط والفشل في حماية المنشآت مما سهل تقدم مسلحي داعش، الأمر الذي أدى إلى خسارة ملايين الدولارات من العائدات النفطية. يلخص رئيس المؤسسة الوطنية الليبية للنفط مصطفى صنع الله تلك الأزمة بقوله إن "هذه القوات تحولت إلى أكبر عقبة في طريق الاستفادة من عائدات هذه المنشآت وإلى عائق أمام تشكيل حكومة وحدة وطنية".

صنع الجضران لنفسه اسما مستندا إلى قوتي السلاح والقبيلة، تاركا وراءه الأفكار الكبيرة عن إقليم برقة بل وسعى إلى ابتزاز حكومة عبدالله الثني في زيارة له إلى مدينة البيضاء عندما طلب منها مبلغ 300 مليون دينار ليبي، أي حوالي 170 مليون دولار، باعتبار أن هذا المبلغ من مستحقات مسلحيه الذين يقومون بحراسة المنشآت النفطية. حين قوبل طلبه بالرفض بل بالغضب من شيوخ قبائل برقة الذين طالبوا بطرده من البيضاء سارع إلى إعلان دعمه الكامل للمجلس الرئاسي لحكومة الوفاق وللحوار السياسي برعاية الأمم المتحدة.

الأمر الأكثر غرابة وإثارة للجدل ما نطق به حينها حيث قال "أصدرنا بيان دعم فور إعلان تشكيل الحكومة رغم أن ذلك كان بمثابة انتحار سياسي"، فيما يؤكد باحثون أن الجضران كان يعي جيدا أن منطقة الهلال النفطي تقع في برقة وضمن مناطق سيطرة البرلمان الليبي وحكومة الثني وفي مرمى الجيش الليبي بقيادة حفتر. لكن مراقبين فسروا إقدام الجضران على تلك الخطوة برغبته في الحصول على رواتب للمنتمين إلى قواته.

طُبع هذا الرجل بأسلوب إدارة الظهر عندما يحس بأن بابا قد سدّ في وجهه، فلا يعمل حسابا لوعد قطعه أو ميثاق أمضى عليه أو استراتيجية يخال نفسه يسير وفقها، فيما الأهم من كل ذلك أنه مشدود في عبثيته بأهم مورد، كان الليبيون إلى وقت قريب ينعمون ببحبوحة بفضل عائداته، إلى شغل المافيا الذي يتجسد في بلد تتقاذفه أقدار الميليشيات الموحشة والمرتزقة اللاهثين وراء التكسّب.

أشد المواقف طرافة وإثارة للحنق في الوقت عينه لدى معظم الليبيين ما سجله البعض للجضران من أنه كثيرا ما يتحلل من بزته الرسمية أو بدلته العسكرية وبندقيته والكلمات التي يلقنها له مستشاروه، وكان يقضي ساعات في حفظها ومنها ما يتعلق بكيف يمكن لـ"الرئيس" أن يتصرف خاصة حين استقباله شخصيات كبيرة. فيما يعلق ساخرون من الرجل على مواقع التواصل الاجتماعي بعد تحرير الجيش الليبي لمنطقة الهلال النفطي، قائلين إنه آن الأوان ليتخلص الجضران من ربطة العنق التي لم يكن من هواتها إطلاقا ويعود إلى بيجامته التي عرف بها في بدايته وهو يروي قصصه وبطولاته للمتحلقين حوله "كنت.. الرئيس، وكان نفط ليبيا في يدي".

اللعب مع الكبار

سُجّلت أخطر مرحلة في حياة الجضران حين دخل في صدام مع حفتر وظن نفسه أصبح ندا يمكنه مقارعة الكبار، لكن قائد الجيش الليبي نجح مؤخرا في انتزاع الموانئ من قبضته ليحاول الجضران استردادها لكنه فشل في ذلك لتسيطر قوات الجيش على كامل منطقة الهلال النفطي.

علاقة الرجلين كانت أشبه بالصداقة حينما تشاركا في التصدي لهجوم سمته قوات فجر ليبيا المحسوبة على التيار الإسلامي في غرب ليبيا "عملية الشروق" بغية انتزاع الموانئ من حرس المنشآت لكن تصدي حفتر والجضران للهجوم أفشل الأخير وأفقده توازنه.

لكن الخلاف نشب بينه وبين قائد الجيش حينما تعرضت منطقة الهلال النفطي لهجوم داعش، وقد رفض حفتر حينها تقديم الدعم للجضران وذلك لمبايعته حكومة الوفاق الليبية. وقال الجضران آنذاك "ليبيا أمام مفترق طرق، فإن لم تنجح مهمة حكومة الوفاق الوطني في إنقاذ ليبيا سيذهب البلد نحو المزيد من التقسيم والتشرذم".

حشر الجضران نفسه في زاوية الولاء لمن يدفع له أكثر بين الحكومات المتناحرة في ليبيا ظنا منه أن هذه الآلية ستبقي على حظوظه قائمة على رأس أهم مورد في البلد الفاقد للسيطرة على مدخراته. تجرُّؤ الرجل على كبار الفاعلين في المشهد السياسي الليبي ومنهم حفتر لم يمر بسهولة في ظل ما يتمتع به الأخير من قاعدة شعبية وازنة وحظوة كبيرة في أنحاء واسعة من ليبيا.

ما هو مؤكد أن الجضران بالنسبة إلى حفتر ليس سوى "معادلة بسيطة" في ظل أزمة عامة تحيّر الرجل وتبرر تحركاته لتحرير بقية المناطق التي استأسد فيها الإسلاميون المتشددون المسنودون من العديد من القوى الخارجية ولعل أبرزها الدوحة التي ما إن بدأ "الدق يصل الدربالة"، وفق مثل شعبي تونسي، حتى ترك أبرزهم الجبهة وخير الفرار.

في حماية الدوحة

الجضران أمير حرب تحكم على مدى سنوات في نفط ليبيا فلقبه أتباعه بـ"الرئيس" حتى صدق نفسه. قصة صعود نجمه وسط الفوضى لافتة للانتباه بيد أن ما يثير استغراب الخبراء والمحللين نهايته السريعة، فالرجل اختفى بلا أثر وكأنه لم يكن في اللحظات الأولى لعملية "البرق الخاطف" التي طردت ميليشياته في لمح البصر من موانئ نفط رئيسية في البلاد، فيما الأهم من كل ذلك الفيتو الذي رفعته الدول الغربية مؤخرا، معلنة أنها لن تسمح بأن تتولى حكومة الشرق مهمة بيع النفط.

ما يعزز فرضية الانسياق الأعمى وراء الفعل السياسي غير المؤطر أو المسنود بآلية تعمل لصالح أطراف خارجية يتجسّد في مثال هذا الرجل الذي برز كفاعل لا ينظر إليه من زاوية المصالح فقط بل أيضا من زاوية الإسناد الذي يقدم له في كل مرحلة حرجة يجد نفسه مضطرا فيها إلى طأطأة الرأس والتصرف بتكتيكات الإخوان وتضليلاتهم المعهودة.

في مثل هذا الإطار يأتي ما أعلنه الجيش الوطني الليبي مؤخرا من أنه يمتلك معلومات عن استقبال الدوحة لإبراهيم الجضران قائد الجماعات التي نفذت هجوما على منطقة الهلال النفطي، ليؤكد صحة هذا الكلام. وقال العميد أحمد المسماري، الناطق باسم قائد القيادة العامة للقوات المسلحة الليبية، إنه كانت هناك لقاءات مع مسؤولين قطريين وعدوا بتمكين الجضران من كل أنواع الدعم لتنفيذ مهمته.

دلّل المسماري على تصريحاته بمعلومات إضافية قال فيها إن الجضران سافر إلى الدوحة من مطار مصراتة إلى إسطنبول أواخر مايو الماضي، قبل أن يسافر إلى الدوحة مع ثلاثة عناصر، اثنان منهما ينتميان إلى جماعة الإخوان، فيما ينتمي الثالث إلى الجماعة المقاتلة التي يتزعمها عبدالحكيم بالحاج. وأضاف قوله في تحليل للأحداث الدائرة مؤخرا في ليبيا حول الهجوم على منطقة الهلال النفطي، أن الجضران كان مدعوما من قبل مرتزقة تشاديين يخضعون لإمرة المتمرد تيمان أرديمي المقيم في الدوحة والذي كان له لقاء مع الجضران لتنسيق التعاون بينهما.

أثار الجضران العديد من التساؤلات وأرّق المهتمين بالنبش في سيرة الأطراف الفاعلة في الملف الليبي براغماتيا. فيما تعالت نفعية الرجل وتصاعدت حدة التوترات التي أثارتها الميليشيات الدائرة في فلكه لتبرز تعاظم القوى التي استهانت وما زالت تستهين بمقدرات الشعب الليبي وتتفنن في إهدارها في كل الاتجاهات بلغة المحاصصة والغنيمة. ساعدت في تقوية نعرة هذه الميليشيات أطراف ظلت منذ وقوع البلاد في أتون الفوضى غير مترددة في تقديم العون وتذكية الصراع وإيواء الفارين من أهوال الحرب.

● المؤكد أن الجضران بالنسبة إلى حفتر ليس أكثر من "معادلة بسيطة" في ظل أزمة عامة تحيّر الرجل وتبرر تحركاته لتحرير بقية المناطق التي استأسد فيها الإسلاميون المتشددون.

● الزعيم الميليشياوي الذي ينتمي إلى قبيلة المغاربة ذات الثقل السكاني في منطقة الموانئ النفطية. كان قد نصّب نفسه آمرا لحرس المنشآت النفطية رغم أنه لم يمنحه هذا المنصبَ أيُّ أحد.

تجريدي وتعبيري لكنه حالم

سيروان باران

ساحر الرسم الذي يلهو بممتلكات يديه

فاروق يوسف

❏ يمتّعه أن يُقال إنه يرسم مثل فائق حسن أو أفضل منه، غير أنه يدرك أن ظهور فائق حسن جديد لن يحقق رغبته في أن يكون ابن عصره. لذلك صار يعصف بيديه كما لو أنهما ليستا له بعد أن اكتشف أنه بدّد موهبته في مناطق لا يستحق البقاء فيها الكثير من العناء.

سيروان باران هو ابن حرفة الرسم المحلق بخياله بعيدا عنها. كادت تلك الحرفة أن تضيعه حين أوهمته بأن يكون خادمها المطيع. وهو ما فعله عراقيون من قبله.

قبل سنوات حين التقيته ببيروت تأكدت من أنه كان ابن الهواء الماكر الذي يتغير ولم يكن صنيعة الوصفة الجاهزة التي أحاطت به وقدّمته باعتباره عارفا بأسرار الوصفات السحرية التي ينتظر نتائجها رجال المال.

> باران يعد أفضل أبناء جيله الذي لم يكن محظوظا بسبب ظهوره مباشرة بعد حرب تحرير الكويت التي تركت العراق بلدا مهشما. غير أن عين الرسام لم تكن مصوبة نحو جيله بل حاول أن لا يتعب نفسه كثيرا في الالتفات إلى الوراء كثيرا، وكان مقتنعا بلا جدوى ما يقال عن الهوية المحلية

باران يصنع ما يراه ملائما لموهبته التي يعرف حدودها جيدا. هو يعرف أن موهبته تلك تسبق كل ما فيه. وقد لا يكون كل شيء حقيقيا. فقد لا تكون موهبته في الرسم قد تأثرت بموهبته في العلاقات العامة.

في مرحلة مبكرة من حياته كان رساما مريحا. كانت صوره تسبب السعادة للكثير من السيدات ممن اعتبرن تلك الصور جزءا من الخيال المنزلي بالرغم من أن الرسام لم يقصد القيام بذلك.

وبالرغم من أن تلك الصفة لم تكن ضارة فإن سيروان في معرضه الأخير بقاعة "أجيال" البيروتية اختار أن يستجيب لقوة الرسم، بغض النظر عما يعنيه الموضوع. لقد رسم كلابا. قبلها كان قد رسم جثثا.

لعبة قد يهبها البعض طابعا رمزيا، غير أنها بالنسبة للرسام مغامرة تتفوّق من خلالها الأشكال على موضوعاتها.

ولد باران عارف في بغداد عام 1968. درس الرسم في كلية الفنون الجميلة ببابل كما درسه في ما بعد فيها لمدة سبع سنوات. أقام معرضه الشخصي الأول عام 1991 بعد وقت قصير من تخرجه في قاعة الرواق ببغداد. ولم يكن باب تلك القاعة يومها مفتوحا إلا للفنانين المكرسين. أما أن يقيم فنان شاب معرضه الشخصي الأول فيها فإن في ذلك الكثير من الإشارات التي تؤكد تفوّقه.

تعبيري في أرض خاوية

يمكنني القول إن باران هو أفضل أبناء جيله الذي لم يكن محظوظا بسبب ظهوره مباشرة بعد حرب تحرير الكويت التي تركت العراق بلدا مهشما. غير أن عين الرسام لم تكن مصوبة نحو جيله بل أنه حاول أن لا يتعب نفسه كثيرا في الالتفات إلى الوراء كثيرا، وكان مقتنعا بلا جدوى ما يقال عن الهوية المحلية. لذلك فقد اختار أن يكون وفيا للرسامين العالميين الذين أعجب بتجاربهم وتأثر بأعمالهم، من غير أن يلزم نفسه بشروط التماهي مع حداثة المحترف الفني العراقي الذي بدا وقت ظهور الرسام كما لو أنه انتهى إلى أفق مسدود.

وقد لا أكون مبالغا حين أقول إن ظهور ذلك الرسام بكل ما انطوت عليه تجربته عبر أكثر من ربع قرن من الزمن قد مثل فرصة للمحترف الفني العراقي لكي ينفتح من خلاله على تجارب رسامين حداثويين لم يتعرف عليهم من قبل بسبب انغلاقه على تجارب رسامين بعينهم، كما هو الحال مع بيكاسو من خلال جواد سليم وتابيس من خلال شاكر حسن آل سعيد وزاووكي من خلال رافع الناصري وراوشنبرغ من خلال محمد مهر الدين.

ما فعله باران كان جذريا في محاولة إنعاش خيال الرسم الحديث في العراق من خلال عقد صلات جوهرية مع رسامين كبار من نوع غويا وايغون شيلا وسوتين ولوسيان فرويد وفرانسيس بيكون.

أعاد باران اكتشاف الجسد البشري بطريقة سمحت له بتحليله وتفكيكه وإعادة تركيبه بما ينسجم مع الرغبة في مساءلته وجوديا. ولأن باران لا يرغب في وصف الجسد فإنه سعى إلى إعادة تعريفه. مهمة شاقة غير أن رساما بحجم باران كان دائما مؤهلا للتصدي لها وخوض غمار مغامرتها.

تنتمي رسوم باران إلى التعبيرية الجديدة، غير أن الرسام الذي لا يكف عن الثناء على مرجعياته الجمالية قد نجح في أن يمد تعبيريته بسبل نجاة ليست متوقعة.

"قبلة إلى كلب" كان عنوان معرضه عام 2010. وهو عنوان فيه من الإيحاء الشيء الكثير. كانت الجملة الأخيرة من رواية فرانتيس كافكا المحاكمة: "مثل كلب". وكما أرى فإن مشهد جثة الحيوان المعلق لدى سوتين كان أساسيا في السخرية القاسية من العالم الواقعي. بل وحتى من الرغبة في استلهام قواه التعبيرية.

رأيت قبل سنوات رسوما لسيروان باران وظننتها للوهلة الأولى تجريدية. غير أنها لم تكن في حقيقتها كذلك. فالرسام الذي بهرته تجارب أسلافه في تفكيك الجسد البشري وجد متعة في اللقطات القريبة التي تشبه الخلاصات التي تنتهي إليها العين الخبيرة. وهو ما حاول الرسام في ما بعد أن بتخلص منه بذكاء. فسيروان لا يفكر في ما يراه تجريديا. الجانب النظري في تجربته يكاد يكون حكرا على عاطفته. لقد هرب إلى عالم الخليقة لكي يكون مستقلا بإنسانيته. إنه رهان صعب غير أن الرسام كان وفيا لتجربته. هناك وقائع من حولنا تستحق الوصف، من غير أن تكون مؤكدة على صعيد ما تتركه من أثر. في آخر معارضه كانت الكلاب تطارد ظلالها كما لو أن لا أثر للبشر على الأرض.

الرسام الوحيد في سعادته

سيكون علينا أن نحتفي بسيروان باران في المستقبل باعتباره رساما ثوريا. كان عراقيا بعمق وهو ابن عصره. لقد رسم بأسلوب رمزي ما كان يجري في بلاده وضعا نصب عينيه تجربة الإسباني غويا حين قرر هجاء العائلة المالكة. باران من خلال رسومه يهجو طبقة سياسية قُدر لها أن تلعب بمصير شعب، لا يزال موقفه غامضا.

لقد اختار باران أن يكون رساما أولا وهو ما وضعه في مواجهة سؤال من نوع "ما معنى أن يكون المرء رساما معاصرا؟" بالنسبة له فإن التزيينية التي انتهى إليها الفن المحلي لم تعد مقنعة كما أن حداثة الفن في العراق صارت بمثابة أثر يمكن نسيانه في ظل تحولات الفن في العالم. لذلك فقد اختار أن يمضي وحيدا. كان كذلك دائما.

"عراقي وحيد" يمكن أن نصف سيروان باران. فهو لا يشبه أحدا من العراقيين ولا يشبهه منهم أحد. بالنسبة له فإن سعادة أن يكون رساما هي الوصفة الحقيقية لحياة يستحقها. غير أن رساما وحيدا مثله يمكن أن يشكل وجوده علاجا لأمراض الرسم الحديث في العراق.

الساحر ومخلوقاته

أقام باران حوالي عشرين معرضا. معظمها خارج وطنه. وهو ما ينسجم مع موقعه على خارطة الفن العراقي الحديث. فهو ليس ابنا لأحد من الرسامين العراقيين الذين سبقوه كما أنه ليست هناك من وشائج قربى تربطه بأبناء جيله من الرسامين الذين صار البعض منهم يستنسخ تجارب البعض الآخر، مما أدى إلى أن يكون المشهد الفني في العراق مضجرا إلى درجة لا توصف.

في ذلك الإطار تمثل تجربة سيروان باران حلا، من خلاله ينجو الرسم الحديث في العراق من شمولية الحكم القاسي بتخلفه وفقره وافتقاره إلى روح المغامرة. هناك على الأقل رسام وهبه الرسم القدرة على السخرية التي يطعنها الألم من جهات عديدة، هو هذا الساحر الذي ألحق مخلوقات صامتة برعيته المتخيلة.

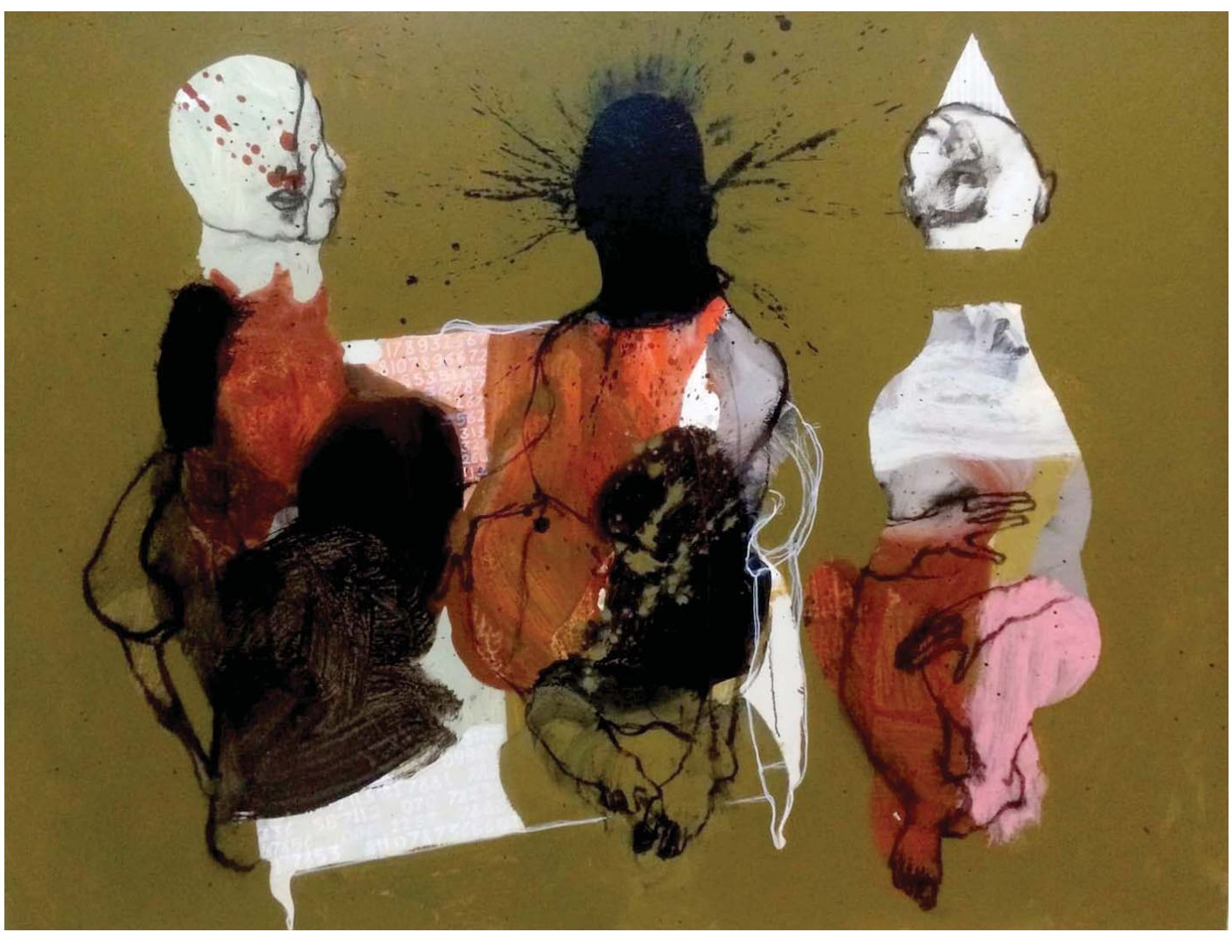

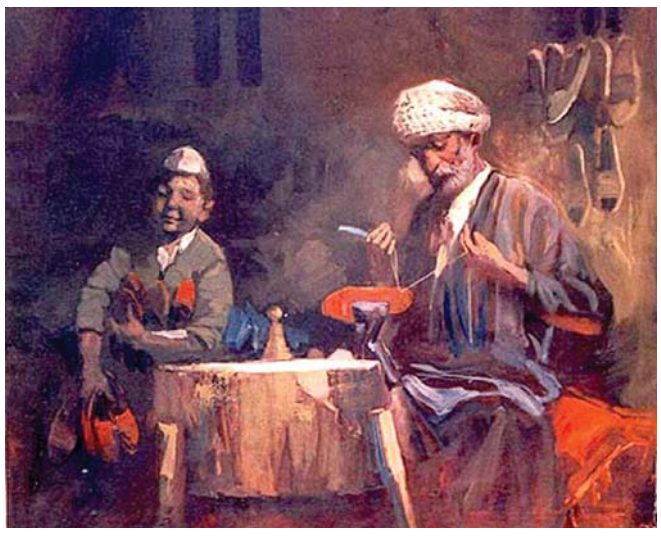

المرحلة الحرجة

المراهقة والمراهق في مجتمع الثقافة العربية

نوري الجراح
كاتب من سوريا

لوحة: محمد خياطة

❏ ليس في اهتمامات الثقافة العربية المعاصرة بحث سوسيولوجي، أو تأمل فكري، حتى لا نقول تصورات فلسفية تتعلق بصورة المراهق وكينونته في المجتمعات العربية. ولو تجاوزنا إرث الوصايا المتحدرة من التراث الفكري والديني والاجتماعي العربي، نكاد لا نجد كتابا يعتدّ به في المسألة، حتى لا نقول أيضا، مؤلفات تقف على المشكلات والقضايا والظواهر المختلفة المتعلقة بالمراهقين. ولعمري إن هذا الأمر لينطوي على دلالات خطيرة، في مجتمعات تتشكل في أكثريتها من الناشئة والشباب.

في أول الصّبا قرأنا "آلام فرتر" لغوته، وقد شغفنا بتلك الشخصية الرومانسية تألمنا لآلامها، وصدمنا بانتحارها. وعندما قرأنا روبنسون كروزو قرأنا نصا يعتقد أن دانييل ديفو استلهمه من نص "حي بن يقظان" للفيلسوف الأندلسي ابن طفيل.

ما يؤسف له أن المحاولات العربية المبكرة في تهذيب الناشئة عبر لغة الأدب والفلسفة من خلال رسائل لمؤلفين من أمثال ابن عبد ربه وابن مسكويه والجاحظ وغيرهم تلاشت واختفت في القرون المتأخرة، ولا سيما مع انحطاط اللغة العربية، وبينما كان المراهق الذي يمرّ بأزمات نفسية يعالج في بيمارستانات دمشق والأندلس وبغداد وغيرها من الحواضر الإسلامية عن طريق الموسيقى، لم تمض سوى بضعة قرون حتى بات يجلد ويضرَب في العواصم نفسها. فقد عمّت الجهالة واستشرى فساد العقول بفعل ضعف الدولة واستبداد الحكام، وتحوّل الأفراد المتشككون والمتسائلون إلى آحاد غاضبين في قطيع مستسلم. فكيف لشخصية المراهق أن تكون، وكيف لصورته أن تتأسس في ظل طغيان الحاكم، واستسلام الرعية لأهواء فرد مطلق الصلاحيات في الأوامر والنواهي وله صورة لا تدانيها صورة أخرى سوى صورة الخالق.

ولعل أسوأ العصور التي مرّت بها المجتمعات العربية هي عصور أمراء الطوائف في الأندلس، والأتابكة والعثمانيين في المشرق. هناك على الأرجح تشوّشت كل الصور في المجتمع؛ فغابت المرأة في الحريم، والصبيان في التأدب بأدب الخضوع، والشباب في التدرب على السلاح للموت دفاعا عن السلطان والأمة.

***

مما لا شك فيه أن الأدب والفن يبقيان الأسبق إلى ملامسة انفعالات النفس الإنسانية وصولا إلى ظلالها، ومن ذلك العالم الظليل للمراهق، ودنيا المراهقة المفعمة بالانفعالات، ولكن هل يمكن للأدب أو الفن أن يحلا محل العلم، أو أن يأخذا دور البحث النفسي والاجتماعي، في استكشاف هذا الكائن المجهول الذي نسميه المراهق، وتلك القارّة غير المكتشفة التي نسميها المراهقة.

***

على مدار أكثر من قرن، خاضت الثقافة العربية حروبها المقدسة على رقعة احتلتها الأيديولوجيات، وميزها صراع بين النخب الحاكمة والنخب المتطلعة إلى الحكم، في ظل كيانات استولدت من رحم آخر الإمبراطوريات الشرقية المتهالكة (الإمبراطورية العثمانية)، وانشغلت بتأسيس مقوماتها الوطنية والقومية متسلحة بخطابات لحظت الجموع، وعميت أو تعامت عن الأفراد، وشكلت الأناشيد الوطنية التي صاغها الآباء المؤسسون للوطنيات العربية بلغتها الحماسية، وصدحت بها حناجر الأفراد الغافلين عن ذواتهم المفردة، أقصى ما يمكن أن تقدمه الصيغة المجتمعية، في معركة البناء والتحرير. فكان الفرد أبا لعائلة، وأمّا لأبناء وبنات، وأبناء لأب وأمّ. وهؤلاء مجتمعين، أسرة في مجتمع مؤلف من جموع منذورة كلها للتضحية بذواتها، لأجل العائلة الذائبة بدورها في معركة بناء الدولة (والواقع حماية السلطة)، ومواجهة الآخر/ الاستعمار غالبا، و(لكن لفظيا وليس عمليا، ومن دون أيّ ترجمة فعلية للشعارات الحماسية المتغطرسة أيديولوجيا).

***

في حمأة تفشي الخطاب الأيديولوجي في صفوف الشباب على حساب الخطاب الاجتماعي، وغلبة الصوت الجماعي على أصوات الأفراد، وحقوق الجماعة على حقوق الفرد، في ظل استقطابات إقليمية وعالمية (قبل وأثناء وبعد حربين عالميتين طحنتا مئة مليون من البشر أو نحو ذلك، وحرب عالمية باردة)، كرست الأيديولوجيات المهيمنة والمتصارعة من اشتراكية وفاشية قومية وأممية خطاباتها الماحقة في صفوف النخب العربية المثقفة كلها، وباءت محاولات العقلانيين العرب أنصار المجتمع المدني ودولة القانون والحقوق الفردية بالفشل الذريع.

الغرب سوف يتمكن غداة الحرب الثانية من تجاوز الجنون الأيديولوجي والنهوض بمجتمعاته بفعل إرث تنويري عظيم وخطابات مجتمعية عقلانية انتصرت لمطالب الأفراد، وشرعنت لهم حقوقا في ظل دولة المواطنة. فالأفكار التنويرية التي ظهرت بدءا من القرن الثامن عشر في أوروبا بعلاماتها الكبرى ك"روح الشرائع" لمونتسكيو و"رسائل فلسفية" لفولتير، و"العقد الاجتماعي" لجان جاك روسو ظلت شعلتها متأججة، ولم تتمكن الحروب من طمس تأثيرها ومحو آثارها في التفكير الأوروبي.

ويمكن الإشارة هنا، أيضا، إلى الفيلسوف الإنكليزي برتراند راسل وكتابه "في التربية" بوصفه أثرا لعب دوراً في بلورة أفكار المجتمع نحو تلك المرحلة الحرجة في حياة الناشئة.

مما يؤسف له أننا لا نجد في الثقافة العربية الحديثة كتابا في التربية ككتاب روسو "إميل أو عن التربية"، والذي وضع ليؤسس لوعي جديد في التعامل مع الناشئة من الطفولة إلى سن الـ25. إن أهمّ ما في هذا الكتاب أنه بمثابة خارطة طريق للتعامل مع الشخصية المراهقة في إطار اجتماعي خلاق تخفّف من أبويته وأنصت للأرواح الجديدة. في هذا الكتاب يركز المفكر الفرنسي على أهمية أن يساعد المجتمع الناشئة بطرق غير مباشرة على بلورة شخصيات مستقلة.

يقول روسو "اتبعوا مع الناشئة طرقا مختلفة، بل ومعاكسة لطرائقكم، وهي أن تجعلوا المراهق يشعر بأنه حرّ في اختياره، في ما يرغب أن يتعلم وفي ما يميل إليه وفي ما يؤثر من أشياء. وبمعنى أدق: دعوه يشعر أنه هو من اختار".

بخلاف ذلك نجد أن المراهق في المجتمعات العربية، وحتى وقت قريب لم يكن يستطيع حتى أن يحلم بشيء من هذا، وهو في ظل علاقة بين الآباء والأبناء يسودها غالبا سوء الفهم، لا بد في النهاية أن يخضع الأبناء، ولو بطرائق غير مباشرة، إلى ما يريد لهم مجتمع الأهل أن يكونوا.

***

في ظل علاقات غير سوية بين المجتمع والمراهقين يمكن لمراهق أن يتحوّل إلى شخص منبوذ من الجماعة في الفترات العصيبة من مراهقته، وغالبا ما يتسبب له ذلك بآلام نفسية تجعل منه شخصا عصابيا، متمردا بصورة سلبية، عدوانيا، ومدمرا للذات. أو شخصا انطوائيا، وحزينا ضعيف الشخصية، بلا مبادرة، وخائفا على الدوام من أمر ما يجهله، ومحبطا أمام التحديات والأقران.

> حالة من التطرف في كل شيء تعصف بالشخصية، حتى لتكاد تطير بها عن سطح الأرض، وتجعل من كائنها شخصا هائما في فلك ذاته

بل إن كلمة مراهق، ومصطلح مراهقة يحملان غالبا معنى سلبيا، في الثقافة العربية، وهذا شيء شائن، خصوصا إذا ما اعتبرنا مرحلة المراهقة ممرّا قدريا تعيشه الشخصية بشبه إلى حد كبير عبور طائرة منطقة اضطراب جويّ مفعم بالمطبات الخطرة. وهي مرحلة في تطوّر الشخصية تشكل، بالضرورة، فرصة تتسلح خلالها بخبرات جديدة تؤسس لمستقبل الفرد في علاقته بنفسه وعلاقته بالعالم.

يبقى أخيرا أن نشير إلى أن المراهقة جوهر وكينونة وليست مجرّد مرحلة، صحيح أن الأشخاص سيعرفون مرحلة تسمى المراهقة، لكن طبيعة المراهق مشفوعة على الدوام بعصف من الأحلام والأفكار والحواس والمشاعر والميول والرغبات والنزعات والتعبيرات الفائضة بالصخب النفسي والروحي، وهي على جانب من الرهافة القصوى، حالة من التطرف في كل شيء تعصف بالشخصية، حتى لتكاد تطير بها عن سطح الأرض، وتجعل من كائنها شخصا هائما في فلك ذاته. ولكن أليس كل هذا أو بعضه عوارض وسمات جوهرية في شخصية الشاعر والفنان؟

أفلا يفرض هذا علينا إعادة النظر في فهمنا لحالة المراهقة، لنعيد استكشافها بوصفها خصالا وتعبيرات عن شيء آخر غير ذاك الذي نسميه حماقة المراهقين.

خواطر وأفكار وتساؤلات لا أملك بصددها يقينا، أبديها وليس في خاطري سوى المزيد من الاسئلة.

لوحة: حسام بلان

تمارين على مراجيح الثورة

سعد القرش
كاتب من مصر

❏ اختفت المراجيح الشعبية من أغلب قرى مصر، وكانت تمثل جانبا مهمّا من بهجة الأعياد ومولد النبي والأولياء، واستبدلت بها في مدن الألعاب مراجيح اصطناعية تشدّ إليها الرحال. كما اختفت تقريبا عادة المشي، لينفق الكسالى أموالا في زنقات التوكتوك، ثم يفكون عضلاتهم وتيبّس عظامهم في صالات للألعاب تشد إليها الرحال أيضا. تقف المراجيح الكهربائية بزرّ يفصل الكهرباء، وقوف آلي يفتقد إلى كسر للتوقع يميز المراجيح الشعبية، وكان الفرحون بالعيد ممن ينتظرون دورهم في الصعود إلى الأرجوحة يتولون عملية الإطلاق، ثم يتركون مهام تسريع الوتيرة لمن بدأوا التأرجح ويعانقون الهواء، ويدفعون الأرجوحة برشاقة حركات الأجساد وخفة الأرواح، حتى اقتراب نهاية الجولة، فيرفع صاحبها من الأرض كابحا خشبيا يغطيه ما كان إطارا لسيارة، وتظل الأرجوحة تعلو في الاتجاهين وتهبط إلى أن يلجمها الكابح، استعدادا لجولة جديدة.

الأرجوحة الشعبية هي ثورة 25 يناير 2011 في زهوة صعودها الكاسح، ثم في مرحلة اللجم الحالية، ولكنّ المتشائمين يستعجلون الحصاد، ويتذرعون بسرعة توالي دوران الأرجوحة الآلية، وفي هذا سوء ظن بثورة من لحم ودم، تستريح من جولة غير موفقة، في تربص تكتيكي مراوغ عقب إنجاز ثقافي نوعي في تحرير ذهنية الجيل الصاعد من كهانات دينية وسياسية وقضائية. وقبل الثورة اكتسب شعار "الحكم عنوان الحقيقة" ما لمقولة "المعلوم من الدين بالضرورة" من قداسة، وكان محظورا إلى درجة قريبة من التحريم مناقشة شؤون الجيش والأزهر والقضاء الذي اكتشف الكثيرون أن أحكامه يجوز التعليق عليها وانتقادها؛ فلا توجد "حقيقة مطلقة"، وإنما حكم تطمئن إليه محكمة تتكون من بشر يجوز الاعتراض على أحكامهم بدرجات تقاض تالية، وبسلطة محكمة النقض التي تعيد قضايا معيّنة إلى دائرة قضائية أخرى قد تقضي بحكم ينسخ حكما وصف يوما بأنه "عنوان الحقيقة".

قضت الثورة على الكهانة الأدبية أيضا، ومن حق أي أحد أن يكتب "عن" الثورة شعرا وقصصا وتنظيرا، ورأى البعض أن الإخلاص للثورة يتحقق بتجاهل تخصصه الذي خلا من إنجاز لافت، والتفرغ للكلام "عن" الثورة، وتكريس الوقت للإفتاء بجسارة يخشاها العارفون. واستجاب للغواية باحثون واعدون، وآخرون نبّهتهم الثورة إلى محصولهم الزهيد، فوجدوا عزاء في حماسة الخريف الثورية، واستمراء التخوين الديني والثوري والإنساني والأخلاقي. والثورة تحتاج إلى توفير جهد كل متخصّص لينجز إضافات في مجاله، فنتحمس له كما نفرح بما يحققه لاعب موهوب هو محمد صلاح لا يدّعي شيئا إلا عشقه لكرة القدم وتفرغه لها، كما كان أحمد زكي ثائرا كبيرا بتفانيه في مهنة التمثيل، أكثر من ممثلين أكثر منه ثقافة وأقل موهبة، فيعوضون هذا النقص بالكلام "عن" الثورة.

أتأمل قول الفرنسي جورج ديهاميل، عام 1936 في كتابه "دفاع عن الأدب"، إن "شهوة السياسة" لذة الفقير. كان يتكلم عن بلده الذي مسه الكساد في الأزمة الاقتصادية العالمية، ويستبق صراعا مكتوما سينفجر عام 1939، وأوجزه قائلا إن "السياسة والحب في فرنسا هما لذة الفقير، اللذتان المجانيتان. والطلب في القهوة الصغيرة يكلف.. أما السياسة فلا تكلف شيئا. وهي تشمل وتثير انفعالات وتجني مفاجآت.. وهي تتغذى بكل الشهوات، وخاصة بأحطّها، فهي غنيمة طيّبة للنفوس الخاوية".

أكاد أبرّئ ديهاميل من تهمة تحصين السياسة بالكهانة، وأظنه أراد أن يعصم الأفكار من الابتذال بكثرة الكلام، والإلهاء الخبيث، بعيدا عن "الحمى السياسية" التي اعتبرها اختلالا عميقا ينقصه الرشد، ويورث اليأس في تدبّر نوبة قادمة للثورة، وهذا ما تحتاج إليه 25 يناير، رغم حمى رسمية كلما جاءت ذكرى 30 يونيو.

صناعة الهلع

زيغمونت باومان يرصد انحراف البوصلة الأخلاقية لأوروبا

إبراهيم قعدوني
كاتب من سوريا

زيغمونت باومان.. يرصد في كتابه أثر قضية اللاجئين في الكشف عن السقوط الاخلاقي للنخب السياسية في الغرب

❏ تغلُب على مؤلفات عالم الاجتماع البولندي زيغمونت باومان (1925–2017) الذي رحل في التاسع من شهر يناير العام الماضي في مدينة ليدز الإنكليزية، دراسات تحوّلات الإنسان المعاصر. وكان اسم باومان قد لمع منذ دراسته حول صراع الطبقات والتي تناول فيها الطبقات الاجتماعية والحركة العمالية في بريطانيا في ستينات القرن الماضي، وهي الدراسة الأولى التي صدرت له باللغة الإنكليزية لينتقل بعدها في منتصف الثمانينات إلى حقل آخر يُعنى بنقد مجتمع الاستهلاك وما بعد الحداثة.

أصدر باومان ما يربو على خمسين كتاباً، أبرزها «الحداثة السائلة» و«الحرية» و«الحياة السائلة» و«حيوات مهدورة» و«حب سائل» و«بحث في السياسة» و«مجتمع تحت الحصار» وغيرها، فضلاً عن مجموعة واسعة من المقالات الفكرية والنقدية في الاجتماع والاقتصاد والسياسة. ويلاحظ قارئ باومان تأثره بالمنهج الماركسي في التحليل، لا سيّما موضوعة الطبقية والتفاعلات المجتمعية البينية والأنماط الاستهلاكية في مجتمعات ما بعد الحداثة. وكان كتاب «غرباء ببابنا» آخر الكتب التي تركها باومان قبل رحيله.

في هذا الكتاب الذي يعدّ قصيراً نسبياً (117 صفحة) مقارنةً بكتبه السابقة يدرس باومان أزمة الهجرة في أوروبا والنقاش الدائر حولها مستكشفاً أصول الهلع والخوف الناجم عن الحملات السياسية وديناميّاتها المعاصرة المتمثلة في نزع الطابع الإنساني عن هذه الأزمة. وبحسب ما يرى باومان فإنّ هذا الذعر بعكس اتجاهاً اجتماعياً وسياسياً شاملاً ينطوي على انحراف البوصلة الأخلاقية التي توجه السياسة في أوروبا والغرب بشكل عام. ويستعين باومان بمجموعة من الأُطر المفاهيمية لتعرية حملات التخويف الخفية والمُعلنة المستندة إلى دوافع سياسية، والتي بدأها صناع السياسة الأوروبيون من جميع الخلفيات في محاولة يائسة لمحاكاة نجاح الأحزاب الشعبية اليمينية.

يقع الكتاب في ستة فصول أشبه ما تكون بمجموعة من المقالات التي تحمل عناوين مستقلة رغم أنها تناقش أبعاداً مختلفة لمسألة واحدة وتحيلُ على بعضها البعض في تكرار يبدو أن غرضه توكيد الاستنتاجات التي يكتفي باومان بالإلماح إليها دون تقريرها. ويستشهد باومان بسيل من المقالات الصحفية ونتائج الاستطلاع التي تكشف الآليات السياسية التي تشكل الظروف الراهنة في الغرب، مصحوبة بانتقاد حادّ لهذا النمط من السياسة. وعلى سبيل المثال فإن الفصل الأول الذي جاء بعنوان «الذعر من الهجرة وإساءة استخدامه» يعرضُ باومان ذلك الكمّ الهائل من الحملات التعبوية عبر تسخير كافة وسائل الخطاب بهدف نزع الطابع الإنساني عن الآخر وترويج الأوهام القومية والعرقية وما قد يشكّله الوافدون الجدد من "مخاطر" مزعومة.

ولعلّ نقطة انطلاق باومان في كتابه هي حيرته تجاه أوروبا التي، على الرغم من "كل تقاليدها التنويرية والكانطية والكوزموبوليتانية، وصل خطابها السياسي إلى نقطة من العداء الصريح تجاه الغرباء والمشردين من بقاع أخرى من العالم في تنكّر معلن للقيم الإنسانية وتقوقع على الحدودً الذاتية مع أنّ "الترحال والهجّرة كانا أشبه بثوابت أنثروبولوجية على مرّ التاريخ البشري" كما يقول باومان.

وفي ضوء ذلك، يُعرب باومان عن سخطه إزاء التنكّر التاريخي الصارخ الذي يواجهه اللاجئون الهاربون من الحرب وأولئك المحرومون الذين يسعون إلى حياة أفضل. ووفقاً لما يذهب إليه الكاتب فإن ذلك يدلل على عمق مأزقنا المعاصر الذي يربطه باومان بهيمنة القيم الرأسمالية على وجودنا مستنداً إلى رؤى من الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي.

ومن الأمثلة المفيدة على ذلك مناقشة باومان في الفصل الثالث من الكتاب لمفهوم "الخوف الكوني" الذي طرحه الفيلسوف واللغوي الروسي ميخائيل باختين (1895–1975) واصفاً هذا الخوف بأنه على وجه التحديد، هذا القلق المنتشر الذي يساورنا في مواجهة عدم اليقين الذي يُعتَبَر سمة أساسية لحياتنا، والذي عرّفه البشر عبر تاريخهم على أنّه "إرادة الله"، ومع ذلك يتم تحويل هذا الخوف إلى خوفٍ رسمي من قِبَل من يفوّضون أنفسهم باسم الله على الأرض، أي السياسيين المحترفين الذين يتنافسون على الأصوات. وهكذا يجري تحويل حالة عدم اليقين إلى تحيّزات عنصرية وعدائية تجاه كل شيء "غير معروف"، ولعلّ أبرز تجليات هذه التعبيرات تظهر من خلال موجات كراهية الأجانب التي يستغلها السياسيون بلا خجل، وفقاً لما يقوله باومان.

وانطلاقاً من عملية صناعة الخوف هذه، يقدّم باومان تحليلاً لهذا المفهوم بوضعه في إطار تطور مزدوج يبدو أنه يحكُم تصورات العالم الغربي. ويتكون هذا الإطار المزدوج من عملية الفَردَنة ومن اختفاء السيادة الإقليمية. إذ من ناحية، يسبّب ما يسمّيه باومان "مجتمع الأداء" (مستشهداً بالمنظّر الثقافي الكوري المولد والألماني الجنسية بيونغ تشول هان) ضعفاً متزايداً بين الأفراد في الاستجابة بشكل مناسب لـ"حتمية الأداء" التي حددتها مجتمعاتهم، وبالتالي توليد نسبة متزايدة من الأشخاص الذين يشعرون (وهم كذلك) بالاستبعاد الأيديولوجي والمادي وبالإقصاء من الرعاية الاجتماعية. ومن ناحية أخرى، فإن تلاشي المعنى الكلاسيكي لنقاط المرجعية الإقليمية المستقرة -أي قبل كل شيء، الدولة القومية- يزيد من الشعور بالارتباك والحرمان من الحقوق، مع كون السياسة الديمقراطية (أي الدولة التي ترتكز على القومية) هي الضحية البارزة لهذا التطور.

يهيئ ذلك بدوره التربة الخصبة لجميع أنواع "أكباش الفداء" أو "الإيذاء"، التي تُغذّيها وسائل الإعلام الهستيريّة الموجّهة وصولاً إلى "الإنسان الذي يُهدّر دمه" أو "هومو سيسر Homo sacer باللاتينية"، وهو مصطلح مأخوذ من القانون الروماني وقد اتّخذ منه الفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين عنواناً لأحد مؤلفاته وهو «الإنسان المهدور الدم: السلطة السيادية والحياة العارية» (1995). وهو ما يفرد له باومان الفصل الرابع من الكتاب محللاً العملية التي يتم من خلالها تجريد مجموعة بشرية من حقوق الإنسان الأساسية والكرامة. وحسب ما يقوله باومان فإن مجال العلاقات المتبادلة بين البشر والتفاعل المعفيّ من التقييم الأخلاقي ●...■ يخضع فقط للتقييم من خلال كفاءته في "تحقيق النتائج". على هذا النحو فإننا نخسر محاملنا الأخلاقية، التي يأسرها الأداء التقديري. والسبيل الوحيد للتغلب على هذا، بحسب باومان أيضاً، يكمن في إقامة حوار مفتوح يهدف إلى ما يدعوه "مزج الآفاق" (Horizontverschmelzung)، وهو مصطلح يستعيره من الفيلسوف الألماني هانز جورج غادمير.

وينبع هذا العلاج أيضاً من قراءة باومان لحنّا أرندت في الفصل السادس من الكتاب، حيث يقول إن التغلب على الفجوة بين التفكير والعمل يتطلب تعزيز "فن الحوار"، أي الرغبة في التعامل مع عدم اليقين الذي يجسّده الغريب. ومع ذلك، فإن هذا يقف في تعارض صارخ مع "القدرة التنافسية التي يفرضها مجتمع فناني الأداء"، مما يضع المجتمعات البشرية أمام مخاطر التحول إلى "عالم هوبزّيّ يحارب فيه الجميعُ الجميع". لذا فإنّ باومان يصرُّ على مركزية "ظاهرة اللقاء وجهاً لوجه"، والتي يعتبرها الطريق الأمثل إلى "الاتفاق ●...■ والتعايش السلمي". كذلك يسلّط باومان الضوء على تصويت بريطانيا للخروج من الاتحاد الأوروبي في أعقاب الاستفتاء الذي جرى عام 2016 مستعرضاً حملة البريكست من أجل "خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي" وما انطوت عليه من عنصرية عنيفة كامنة، ويرى باومان أنّ استراتيجية التأريخ هذه تُعدُّ في نهاية المطاف هزيمة ذاتية، فهي تعمل على استدعاء الخوف من الغرباء كاستجابة لحالة عدم اليقين التي تلفّ المجتمع المعاصر والتي سبق أن تحدّث عنها في الفصول الأولى من الكتاب.

> يُعرب باومان عن سخطه إزاء التنكّر التاريخي الصارخ الذي يواجهه اللاجئون الهاربون من الحرب وأولئك المحرومون الذين يسعون إلى حياة أفضل

بالإمكان اعتبار كتاب «غرباء ببابنا» بمثابة منظور استشرافي للمرحلة المقبلة من التفاعلات التي قد تثيرها ظاهرة الهجرة، ولكن العلاجات التي يقترحها باومان تبدو غامضة بعض الشيء. ومع أنّ مواجهة الذروة التي بلغتها الأزمة الإنسانية الراهنة قد تحتاج إلى اتباع نهج أكثر انتظاماً ومنهجيةً لإعادة بناء "حديقة إنسانيتنا المشتركة"، إلاّ أن هذا الكتاب قد يكون مفيداً كنص تمهيدي وتأسيسي يقدم لمحة قيّمة عن تعقّد المسائل المطروحة.

رف الكتب

ضد البطالة لفك العزلة

❏ ليست البطالة حرماناً من الشغل فقط، بل هي محنة اجتماعية من جرائرها في الغالب عزلة وتهميش. لذلك تحدث علماء الاجتماع عن "تظاهر بعيد الاحتمال" عندما قرر المعطلون عامي 1997 و1998 احتلال المؤسسات وتعطيل نشاطها. غير أن عالمي الاجتماع كزافيي دونزا وفاليري كوهين يفندان تلك الفرضية في كتابهما "عندما يتجند العاطلون". من خلال بحثين إثنوغرافيين أكدا أن مجموعات العاطلين كانت مؤلفة من أشخاص ذات سمات متباينة، وهو ما يفند النظريات القائلة إن الاحتشاد يضع وجها لوجه المناضلين بدافع الضمير والمستفيدين من العمل المشترك. فمن العمل النضالي إلى احتلال مراكز العمل وتناول الكلمة لا يتجلى تقسيم العمل فقط وإنما أيضا توتر دائم يرين على المجموعات ذات المطالب المتناقضة أحيانا، كمطلب الشغل لدى هذا الطرف ومطلب الترفيع في الأجر لدى الطرف الآخر. ويستخلص الباحثان أن التظاهر والاحتشاد ضروريان للعاطلين لأنهما وسيلة لفك العزلة والتهميش وما يتولد عنهما من أمراض.

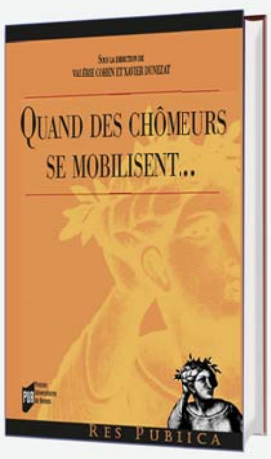

ولادة الواقع

❏ منذ زمن طويل والفلسفة تروي حكاية محبطة، تقول إن ثمة أنا يبني العالم عبر اللغة والفكر، فيما تبني الأنوات الأخرى الماضي. هذه الحكاية حزينة لأن هذا الموقف الذي يزعم الثورية هو في الواقع محافظ بشكل عميق: بل هو رجعية خالصة، ونفي لكل حدث. يعلمنا ألا جديد يمكن أن يصيبنا، سواء في شكل تهديد أو وعد، بدعوى أن العالم كله بداخلنا. في لغة حداثية مبتكرة وبراهين ساخرة ومُرغمة يروي لنا الفيلسوف الإيطالي موريسيو فيرّاريس في كتابه "بروز" حكاية أخرى. الواقع والفكر الذي يعرف ذلك الواقع متأتية من العالم، عبر مسارات وانفجارات وصدمات وتفاعلات ومقاومات وغيريات لا تنفك عن مفاجآتنا. من البيغ بانغ إلى الأرضة، ومن الإنترنت إلى المسؤولية الأخلاقية، ما يعطينا إياه العالم (أي كل ما هو موجود) يظهر ويتجلى بمعزل عن الأنا وخوفها من الأماكن المغلقة.

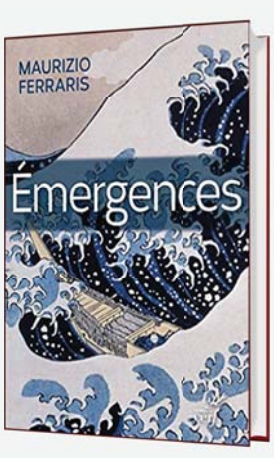

كذبة زيمبارو

❏ ظلت "تجربة ستانفورد حول السجن" التي أجراها عالم النفس الأمريكي فيليب زيمباردو مثالا علميا ودليلا قاطعا على أثر السجن في نفوس المساجين، وكيف يتحول الإنسان المسالم فيه إلى شخص عدواني عنيف. غير أن عالم الاجتماع الفرنسي تيبو لوتيكسيي أثبت بالدليل في كتابه "حكاية كذبة" أن تلك التجربة كانت أكبر خدعة فكرية في القرن العشرين. ذلك أن التجربة التي أجراها زيمبارو عام 1971 كانت عبارة عن مسرحية رديئة الإخراج، لأن "المساجين" هم طلبة متطوعون، و"السجن" هو جناح في جامعة ستانفورد، والتجربة التي كان يفترض أن تدوم أسبوعين توقفت بعد ستة أيام، بدعوى أن الحراس (وهم طلبة أيضا) مارسوا عنفا ساديا ضد "المساجين". أما النتائج التي انتهى إليها زيمبارو فكانت محررة مسبقا، والبروتوكول الذي استعمله لا صلة له بالعلم إطلاقا. وبين لوتيكسيي بالوثائق والأدلة الملموسة كيف أن الدافع كان ناتجا عن تنافس أكاديمي، في مرحلة برز فيه الصراع بين الثقافة المضادة والمركب العسكري الصناعي الجامعي.

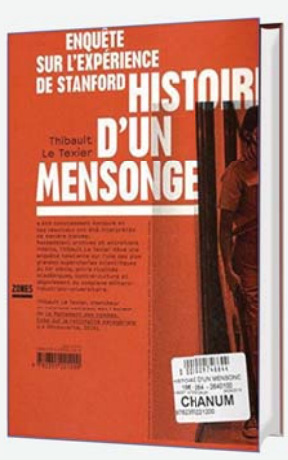

المتشظي والساخر والمتأمل..

ثلاثة رسامين مجددين من سوريا

أهم ما يجمع بين الثلاثة هو تمرّدهم على إرث الحداثة الفنية في سوريا. وإذا ما عرفنا حجم وسعة وتنوع مرجعيات ونتائج ذلك الإرث الجمالية يمكننا أن نحكم بصعوبة المهمة التي أنجزها الرسامون الثلاثة وهم يتصدون للقيام بمغامرة خلق وعي حداثوي جديد من شأنه أن يفتح آفاقا عالمية أمام المحترف السوري الذي ظل زمنا طويلا سجين هويته الأحادية.

فاروق يوسف
كاتب عراقي

❑ ما يجمع بين الثلاثة أيضا أنهم تشخيصيون. بل هم أشد حرصا على أن يباشروا الرسم بأدوات تقليدية من أن ينخرطوا في التيارات العدمية التي انتشرت في السنوات الأخيرة رافعة شعارات التعبير الانفعالي من خلال التجريد المتشظي غير المحكوم بضوابط معينة. وهو ما لم يتعرف عليه الفن التشكيلي السوري في مختلف مراحله السابقة.

هوية شخصية

ما يفرق بين الثلاثة هو أكثر عمقا مما يجمع بينهم. طريقة النظر إلى الفن والتفكير فيه. إنهم أبناء عصور أسلوبية مختلفة. كل واحد منهم يقف على كوكبه الخاص. له مصادره ومرجعياته ومواده وتقنياته وهو ما قاد بالتالي إلى أن يكون لكل واحد منهم عالمه الخاص.

وهو إنجاز صار صعبا في عصرنا، حيث تتداخل الأساليب فيضيع ما هو شخصي في ما هو عام. في أسلوب كل واحد منهم تجتمع تأثيرات فنانين ينتمون إلى عصور متباعدة وهو ما يعدّ مؤشرا على سعة الاطلاع لدى الفنانين الثلاثة.

> هناك شعور بالفجيعة قد تخلل رسوم الثلاثة بما جعله أشبه بالنبوءة. لم تكن رسوما كئيبة بقدر ما كانت صادمة في ذهابها إلى التقاط مواقع ألم غض ونافر

في هذا المجال يمكننا أن نلاحظ تحررهم من المنطق السائد الذي يُغلب المحلية على العالمية بذريعة الحفاظ على الهوية وما يُسمى بالخصوصية القومية. لقد حرص الثلاثة على البعد الشخصي في مسألة الهوية فلم يعالجوها إلا باعتبارها جزءا من مزاج الرسم. فكان لكل واحد منهم هويته القائمة على عناصر مستقاة من التجربة الشخصية في التذوق والشغف وطريقة النظر والمعالجة التي تجمع بين الحرفة والخيال.

نبوءة الفجيعة

قبل أن تقع الحرب في سوريا (2003) كان هناك شعور بالفجيعة قد تخلل رسوم الثلاثة بما جعله أشبه بالنبوءة. لم تكن رسوما كئيبة بقدر ما كانت صادمة في ذهابها إلى التقاط مواقع ألم غض ونافر، لم تكن الحياة في سوريا قد انكشفت عليها بطريقة شفافة وعلنية. ذلك الاستشراف أضفى على تجارب يازجي ويكن ودلول معنى المحاولة التي لا تقلد الواقع بقدر ما تسعى إلى تفكيكه من أجل التعرف على مآلاته التي لم تكن مرئية. إنها تجارب تذهب إلى محاولة استجلاء أسئلة المصير وهو الذي صار اليوم ملتبسا. كان البعد الاستفهامي حاضرا بقوة في محاولات الفنانين الثلاثة استدراج الوقائع الجمالية إلى الاعتراف الهامس بما تنطوي عليه من مفاجآت غير سارة. لقد أخلص الفنانون إلى الطابع التشنجي لجمال، هو في طريقه إلى الهلاك. بهذا المعنى يمكننا القول إن مدائح الجمال لدى هؤلاء الفنانين هي في وجهها الآخر مراث لمصيره. كانت الفجيعة كامنة ولم تكن في حاجة إلى الظهور إلا لأصابع تنبش في أرضها بحثا عن صورها.

تجريبية مضادة

سوريا هي بلد الانقلابات العسكرية التي لم تهنأ بالاستقرار إلا بعد انقلاب حافظ الأسد عام 1970. أنهى الأسد عصر الانقلابات (لا يزال ابنه بشار يحكم اليوم سوريا بعد وفاته عام 2000). في ظل ذلك الاستقرار الذي تميز بالعنف. وهو عنف سوري بامتياز لما اتصف به من سرية وخفاء وتنوع في حيله. كان ذلك العنف درسا عظيما في الغموض. يومها كانت الثقافة السورية ومن ضمنها الرسم في مكان آخر. مثّلت تجربة الرسام نذير نبعة يومها معادلا موضوعيا لتجربة الرسام فاتح المدرس. الأيقونية الرمزية مقابل رموز الترف المحلي. وهو ما استهجنه رسامو مرحلة ما بعد الستينات وفي مقدمتهم يوسف عبد لكي (1951) الذي أسس لفن سياسي، مادته الحرية المغيبة سواء

لوحة: سعد يكن

داخل السجون أو في الحياة المباشرة. كان واضحا حينها أن أيّ تجريبية في المجال الفني لا بد أن تتخطى عقدة الهوية التي اشتبك من خلالها السياسي بالثقافي من أجل الوصول إلى استقرار مموه، شبيه بذلك الاستقرار الذي عمّ البلاد بعد مرحلة مضطربة من الانقلابات. وكما أرى فإن تجريبية الرسامين الثلاثة (هناك رسامون سوريون آخرون يقاسمونهم المحاولة) كانت بمثابة انقلاب في تاريخ الحداثة الفنية بسوريا. تمثل ذلك الانقلاب بتبني أسلوب التعبيرية التشخيصية باعتباره محاولة للتعرف على الذات واختراق مجاهيلها بعيدا عن التجليات الجمالية لمحاولات معالجة المشكلات الاجتماعي. وبسبب طابعها الشخصي الخالص فإن تلك التعبيرية التشخيصية لا تخلو من لحظات تجريد صاف، هو تجسيد لنوع من التماهي الذي يقع بين الفنان وبين ما يصوّره. وهو ما يكسب التجريد طابعا إنسانيا يجعله في غنى عن الأشكال الإنسية.

فادي يازجي

تحولات كائن متشظ

تعرفتُ عليه أول مرة رساما، لكنه الرسام الذي يقف في منطقة تقنية ملتبسة لا تنتسب إلى الرسم تماما. لم تكن المادة التي استعملها وحدها هي السبب بل وأيضا سلوكه الذي يتخطى السطح باعتباره حيّزا نهائيا لما ينتج عن فعل الرسم.

مسيرات جنائزية

قبل حوالي عشرين سنة، حين رأيتُ أول عمل له تكوّنت عبارة في رأسي ستكون بعد سنوات عنوانا لكتابي عنه وعن تجربته الفنية "خبز الآلهة".

الرسام القادم من النحت وهو اختصاصه الأكاديمي لا يفكر في الرسم باعتباره مساحة للإلهام الصوري، فكائناته لا تقبل أن ترى صورتها ملساء في المرآة. لذلك تحضر مجسدة من خلال طبقات من الأصباغ التي لا يلغي بعضها البعض الآخر بل يقف إلى جانبه مثلما تفعل تلك الكائنات الخرافية التي استعارها الفنان من مخيّلة أزمنة سحيقة.

يوم كنتُ أتردد على مشغله الواقع في الحي اليهودي بدمشق القديمة كانت تسليني أسئلته الوجودية وتعذبني. دائما كنت أرى في لوحاته مسيرات جنائزية، الضياع عنوانها والتيه هو مجالها الحيوي. "إلى أين نحن ذاهبون؟" سؤال ينتقل مثل عدوى من الإنسان إلى ديكته وخرافه وأرانبه وثعالبه ووحوشه التي استحضرها فادي يازجي من كوابيسه اليومية التي لا تزال تطل من عينيه كلما جلس متأملا.

كانت الحرب التي لم تقع بعد في سوريا نبوءته التي لم يجد لها تفسيرا. في عالمه الفني كما في العالم الذي يعيشه بطريقة استثنائية ليس هناك ما يدعو إلى الاطمئنان والثقة. غير أن ذلك لم يكن مدعاة لانهيار البنى الشكلية في ذلك العالم الذي يسعى إلى إخفاء هشاشته.

فمهما بالغ يازجي في تحطيم أشكاله فإنها تظل تحتفظ بقدر لافت من التماسك وهو ما ورثه من عادات النحات الذي لم يفارقه.

في حضرة الألم

فادي يازجي رسام ونحات. ولكنه في الحالين لا يصف ما يراه كما يفعل الرسامون ولا يحاكي أبخرة الحكايات التي تتشكل في أعماقه كما يفعل النحاتون.

من يتأمل رسومه ومنحوتاته لا بد أن يدرك أن كائناته لا تملك وقتا للوصف أو الكلام أو الإنصات.

لقد ألهمه ذلك الوضع البشري المربك والحائر القدرة على مواجهة الألم والهلع والذعر والفزع الإنساني وهو ما ميّزه عن سواه من الفنانين العرب. ذلك لأن أسلوبه الفني وإن كان قريبا من التعبيرية الرمزية غير أنه لا يلتزم إيقاعا مدرسيا بعينه بسبب إخلاصه للسؤال الوجودي الذي تتعثر به كائناته.

فنه هو خلاصة تجربته في العيش في صحراء وجدت تلك الكائنات فيها معنى لتيهها الأبدي.

إنساني بعمق

ولد فادي يازجي في اللاذقية عام 1966. أنهى دراسة النحت في كلية الفنون الجميلة بدمشق عام 1988. بدأت مغامرته في الحياة كما في الفن حين اختار المشي في طريق موحشة وصعبة. لقد اكتشف مبكرا أن الفن لا يقبل منافسا لذلك تفرّغ له في تجربة لم تكن مضمونة النتائج. ما لا توحي به رقته الشخصية أن يكون فادي مقبلا على شظف العيش بقوة الكادح الذي يسكنه. يومها اكتشف صلابته وفي الوقت نفسه ذلك الفيض الهائل من الرؤى التي صار يحوّلها إلى أعمال فنية. لذلك لم تكن غزارة إنتاجه مفاجئة إلا لمَن يقدّمون الإلهام على العمل. يازجي من جهته يؤمن بالعمل وحده طريقا للقبض على شعلة الإلهام ولأنه ليس رجل علاقات عامة فقد انصبّ جهده على قيمة ما ينجزه.

ما كان لفنه الصعب أن يُعرض في قاعات عرض راقية بنيويورك ولندن وباريس وبيروت وأبوظبي وقبلها كلها في دمشق لو لم يكن ذلك الفن يمثل لحظة فريدة من نوعها في تاريخ الوعي الجمالي العربي. مثل فنه لم يكن يازجي على المستوى الشخصي سهل القياد ولا تتشكل قناعاته إلا بصعوبة. يمكنني الحكم بيسر أن كائناته النافرة اكتسبت الكثير من صفاتها منه وربما اكتسب هو في ما بعد شيئا من صفاته منها.

لقد وضع الرجل نفسه في خلاف مع فكرة الهوية السورية للفن. وهو ما كان مزعجا بالنسبة لأتباع تلك الفكرة المتوارثة عن فن سوري بأبعاد شكلية وفكرية متفق عليها. حيوية يازجي وانتشار فنه هما ظاهرتان تقعان خارج ما هو مسموح به بالعودة إلى تلك النظرية. هناك مسحة إنسانية في فن يازجي حاول الكثيرون تضييق الخناق عليها من خلال ربطها بالأحداث التي تشهدها بلاده اليوم. وهو ما لا يمكن نفيه غير أنه لا يمثّل الحقيقة كاملة. فادي يازجي هو فنان إنساني النزعة وهو ما يجعله في موضع المدافع عن قضايا الإنسان في كل مكان. المواطن السوري الذي يسكن يازجي هو ليس هويته المطلقة، وهو ما يسّر لفنه أن يكون عالميا.

كنزه الخيالي

من الطين إلى المعادن النفيسة نقل فادي يازجي أصابعه الحساسة كمَن يعزف على لوحة مفاتيح البيانو عينها. تربطه بالمواد المختلفة علاقة ساحرة، هي من بقايا افتتان الإنسان بالطبيعة الحيّة وهو ما يقرب فنه من مفهوم الفن الخام الذي اخترعه الفرنسي جان دوبوفيه. غير أن ما يميّز فن يازجي يكمن في تلك الأصرة التي تجمع اليومي بالأسطوري كما لو أنهما الشيء نفسه. هناك نوع من الانسجام الكوني الذي تتفاعل من خلاله الأشياء بعضها مع البعض الآخر لتنتقل من حيّزها الاستعمالي البسيط إلى حيّز، تكتسب من خلاله هالة اللقى النادرة. كل شيء تمسه يدا الفنان يتحوّل إلى لقية. ومن تلك اللقى يتألف قاموس يازجي الذي هو كنزه الخيالي.

أتذكر منحوتاته التي استلهم من خلالها (الملعقة والسكين والشوكة). لقد وهب الفنان تلك الأدوات الاستعمالية الجاهزة شيئا

لوحة زياد دلول

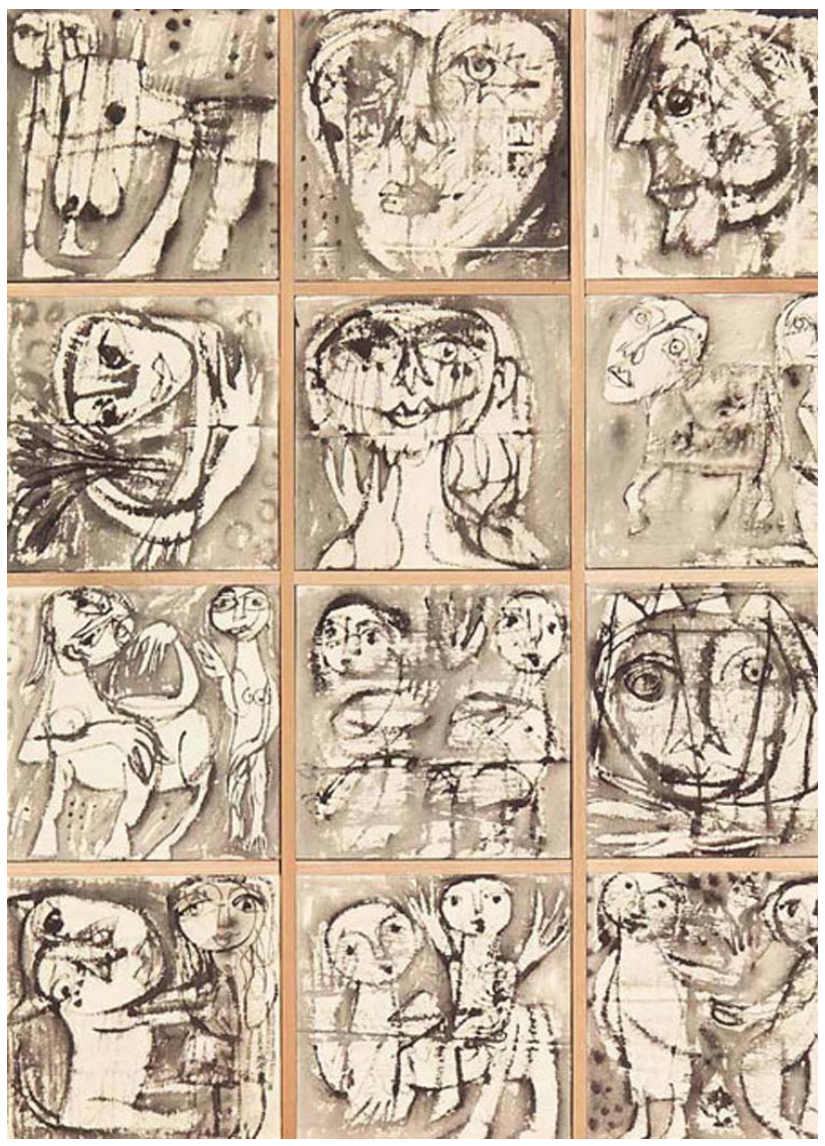

لوحة: فادي يازجي

تجمع ما بينهم الهوية وتتقاسمهم الأساليب

من خيال الطبيعة حين تجعلها تزهر وتورق وتتبرعم وتثمر. لعبة يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية. وهي لعبة فيها الكثير من الإلهام المرح غير أن يازجي وهو صاحب مخيلة واسعة لا يطيق البقاء في مكان بعينه. وهو ما يدفعه إلى الانتقال إلى مناطق جديدة تاركا وراءه مناطق لا تزال نضرة. عادته التي لن يتخلى عنها وهي سر تجدّده الإبداعي الذي أنقذه من الوقوع في فخ المعنى الشائع لمفهوم الأسلوب الذي يعتمد على تكرار المفردات نفسها. لا يكرر يازجي ما رسمه في وقت سابق وإن مد يده إلى المفردات نفسها فإن تلك المفردات ستظهر كما لو أنها لم تُستعمل من قبل بسبب طريقة الفنان المتجددة في النظر والتفكير تأمليًا. عادة صارت بمثابة أسلوب.

هوية كونية للكائن

يملك فادي يازجي كل مؤهلات الفنان العالمي. إنه ينتمي إلى ذلك النوع من الفنانين الذين يتآلف معجمهم التصويري من مفردات وجودية ثبتت في الوجدان والعقل البشريين باعتبارها تلخيصا للوضع البشري في مختلف تحوّلاته. وإذا ما كان مولعا في العودة إلى التماثيل والأفاريز التي أنجزت في وادي الرافدين عبر حضاراته فلأنها تمثل بالنسبة له خلاصات لوعي الإنسان الجمالي في واحدة من أهم ذرى تفوقه.

لم يكن قصده من وراء ذلك التماهي أن يعلن عن هويته.

> ما يفرق بين الثلاثة هو أكثر عمقا مما يجمع بينهم. طريقة النظر إلى الفن والتفكير فيه. إنهم أبناء عصور أسلوبية مختلفة

كائناته المعذبة بهروبها وخوفها وذعرها ويأسها لا تكترث بسؤال الهوية الذي ظل زمنا طويلا يلحّ على ما سمي بـ"المحترف السوري". فادي اليازجي مثل كائناته يعرف أنّ هويته الكونية تكفي للتعريف به ولكنها لا تكفي لدفع الكارثة. وهو سؤاله الذي ينفتح به على حقول شاسعة من التجارب التي يليق بالإنسان المعاصر أن يعيشها.

فادي يازجي رسام معاصر بكل ما ينطوي عليه مفهوم المعاصرة من معان.

سعد يكن

انتحال الألم والسخرية معا

لم يعد معنيا بقياس المسافة التي تفصل بينه وبين الواقع الذي صار يقلد لوحاته. كانت كوابيسه تقع في مكان آخر، مكان لا يصل إليه أحد لأنه جزء من وهم عظيم اسمه الفن فإذا بها تستولي على الحياة وتنشر كائناتها بين مفترقات الطرق. كلما فتح عينيه رأى واحدا منها.

سؤال الفجيعة

"أي فائدة لي وسط الخراب والبؤس؟".

وجه آخر للمأساة ذلك السؤال فهو لا يتعلق بمصير فرد يعاني الوحدة والعزل والنبذ وشعورا عميقا باللاجدوى، بل هو الصرخة مجتمعة في لحظة واحدة. تلك الصرخة التي كانت كائناته تكتمها بالرغم من أن كل شيء يوحي بها.

بعد أن نُهب مرسمه وحُرقت مكتبته في ريف حلب وتشظت تجربته بين المتاهات اكتملت مأساته الشخصية بحادثة الخطف التي صار عليه أن يواجهها بضحكة الشبيح المنتحل. لقد خطفه الإرهابيون ذات يوم باعتباره شبيحا وهو التعبير الذي صار متداولا بين السوريين المعارضين تعبيرا عن كون الشخص متعاونا مع القوات الحكومية. حادثة مثيرة للألم والسخرية في الوقت نفسه. ذلك لأن سعد يكن لم يكن يوما قريبا من مؤسسة أو حزب.

قبل هجرته إلى بيروت كان الفنان السوري يحاول اللعب مع أشباحه في وقت ضائع ومستقطع من حياة صارت زهورها تذبل ومصابيحها تنطفئ.

هل كان يراهن على الفن باعتباره مخلصا ومنقذا ومبشرا بلحظة الأمل؟

هذا ما كان وما لم يعد ممكنا بالقوة نفسها. لذلك حمل يكن مصيره وأدار ظهره لحلب التي صارت مدينة أشباح.

الفنان الذي لم يخذله خياله حين رسم نبوءاته على القماش خذله الواقع حين سبقه إلى عنف متخيّل طرده من جنة حلبه التي ما كان في إمكانه أن يتخيّل زوالها. وها هو اليوم يقيم معرضا جديدا للوحاته التي فارقتها السخرية في غربته ببيروت بتنظيم من صالة قزح الدمشقية.

لقد تبدّل كل شيء. تبدّل العالم من حوله. وتبدلت فكرته عن الرسم. فـ"الفراشة" هو عنوان معرضه الجديد وهو اسم ذو دلالة مقارنة بما يشهده بلده من خراب.

بين المسارح والحياة الحية

ولد سعد يكن عام 1950 في حلب من أب تركي وأم سورية. في وقت مبكر درس الفن في مركز الفنون التشكيلية بحلب وتخرج منه عام 1964. أقام معرضه الشخصي الأول عام 1969 قبل أن يلتحق بكلية الفنون الجميلة بدمشق بسنتين. قضى في دراسة الفن سنتين "غادرت في إجازة أسبوعية وحتى الآن لم أعد إلى كلية الفنون الجميلة" يقول يكن.

مصانع شركة بوما الحالية في مدينة هيرتسوجيناوراخ شمال ألمانيا

مباراة التصالح بين قابيل وهابيل

هل ينتهي الصراع بين اديداس وبوما

محمد حياوي
كاتب من العراق

❑ الصدفة وحدها قادتني إلى مدينة هيرتسوجيناوراخ شمال ألمانيا عندما كنت مارًا في الطريق الحولي عند أطراف مدينة هامبورغ الكبرى في الطريق إلى الدنمارك، حين توقفت في إحدى محطات التعبئة لأحتسي القهوة وأدخن سيجارة، عندها اتّصلتُ بصديقة تعيش في المقاطعة منذ خمس سنوات لألقي عليها التحية وأمضي في طريقي..

- مدينتي تدعى هيرتسوجيناوراخ.. ضعها في الـ'جي بي أس وسيقودك مباشرة إلى شقّتي.

جاءني صوت لينا عبر الهاتف واثقا رقيقا، لكنّني لم أكن متأكدا من أنّني حفظت الاسم الصعب في الحقيقة. وعندما سألت إحدى العاملات في محطة التعبئة، ضحكت وتطوّعت لتعبئة الاسم بالأحرف الألمانية الصحيحة في الجهاز الصغير الذي قادني فعلا إلى شقة لينا مباشرة.

- ما الذي يجعل من مدينتك استثنائية كي يقضي فيها المرء يوما للتجول والاستكشاف؟

سألتُ لينا التي تدرس تاريخ الفن والتي تركت بلدها الأصلي سوريا منذ سنوات هربا من الحرب هناك. ضحكت وهي تقدّم لي فنجان القهوة وقالت:

- حرب التجهيزات الرياضية.. لن تصدّق الأمر!

كان تعليق لينا كافيا لإثارة فضولي وتأكيد رغبتي في قضاء اليوم في المدينة، ناهيك عن رغبتي بالاطلاع على آخر تجاربها في الرسوم المتحركة ومناقشة بعض الأفكار الخاصّة بسيناريو مؤجل بيننا طالما تحدثنا في شأنه، وما هي سوى ساعة قضيناها في الدردشة وشرب القهوة، حتّى وجدت نفسي أتجول في المدينة بصحبة لينا التي تلفعت بشال صوفي طويل في يوم شتائي بارد، ومن فوق جسر متحرّك التقطتْ صورا لجانبي النهر وأشارتْ بيدها موضحة:

- انظر هذا الجانب من المدينة لأديداس وذاك المقابل له في الجهة الأخرى من النهر لبوما!

***

تعود الحكاية إلى عشرينات القرن الماضي، عندما قرر الأخوان داسلر تأسيس مصنع صغير للأحذية في الفناء الخلفي للمصبغة التي كانت تملكها والدتهما بولين، وكان والدهما كريستوفر فون ويلهلم داسلر، يعمل في مصنع للأحذية، ثم سرعان ما انضم ابنه الأكبر رودولف إليه كعامل في مصنع الأحذية أيضا بعد أن ترك المدرسة، قبل أن يشارك كجندي في الحرب العالمية الأولى، وبعد انتهاء الحرب عمل في تجارة الجلود في نورمبورغ قبل أن يعود في العام 1924 إلى مدينة هيرتسوجيناوراخ وينضم إلى أخيه الأصغر أدولف الملقب بـ"أدي" الذي كان قد أسس مصنعا للأحذية الخاصّة.

كان المدّ النازي في تصاعد ملفت خلال تلك الفترة التي نشط فيها الأخوان داسلر، وكانت الأعمال تواجه صعوبات متزايدة بعد أن أخذ النفوذ النازي والحماس القومي يتزايدان في ألمانيا، فانضم كلا الأخوين إلى الحزب النازي من دون قناعة حقيقية، على الرغم من أن رودولف كان أقرب قليلا إلى التطرف. وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية، بدأ الخلاف يدب بين الأخوين، حتّى وصل إلى نقطة الانهيار خلال هجوم جوي لطائرات الحلفاء على المدينة في العام 1943، عندما حاول أدي وزوجته دخول الملجأ وكانت عائلة أخيه رودولف قد سبقتهما إليه، فقال أدي عبارة "هاهم الأوباش قد عادوا من جديد"، وكان يقصد، على ما يبدو، طائرات الحلفاء، لكن شقيقه رودولف كان على قناعة تامّة بأنه يقصده هو وعائلته، وازداد الأمر سوءا بينهما عندما اعتقل الأميركان رودولف بتهمة الانضمام إلى وحدات الأس أس النازيَّة، بعد أن اتهم الأخير شقيقه أدي بالإخبار عنه.

وما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في العام 1948 حتّى كان الأخوان داسلر قد قسّما أعمالهما وموظفيهما كرجلي أعمال، وانتقل أدي إلى الجانب الآخر من نهر أوراش الذي يقسم المدينة، ليبدأ شركته الخاصّة بصناعة التجهيزات الرياضية، بعد أن اختار لها اسما هو عبارة عن المقطع الأول من اسمه أدي والمقطع الأول من اسم عائلته "داس لتعرف لاحقا بالاسم الشهير "أديداس، بينما أسس أخوه رودولف شركة خاصّة به أطلق عليها أوّل الأمر اسم "روداس المشتق أيضا من الشق الأوّل لاسمه والشق الأوّل لعائلته، قبل يتغير الاسم لاحقا إلى "بوما شوفابريك رودولف ديسلر".

لقد شبّه بعض المؤرخين العداء الذي نشب بين الأخوين لاحقا بقصة هابيل وقابيل، أو رومولس وريموس، بعد أن تحوّل التنافس بين أكبر اثنتين من العلامات التجارية الشهيرة في عالم صناعة التجهيزات الرياضية، إلى ما هو أبعد من مجرّد منافسة شركات، كان صراعا مريرا في الحقيقة بين عائلتين كبيرتين ونزاعا قانونيا في المحاكم استمر على مدى أكثر من 60 عاما وأدى إلى انقسام المدينة بأكملها ما بين مؤيد لهذا ومناصر لذاك، وكان الناس ينظرون إلى شكل الحذاء الذي يرتديه بعضهم البعض قبل الخوض في نقاش معهم ليتأكدوا إلى أي الفريقين ينتمي.

وصعد نجما الأخوين داسلر قبل ذلك في العام 1933 عندما تمكنا من إقناع نجم الألعاب الأولمبية الأسطوري آنذاك، الأميركي من أصول أفريقية جيسي أوينز، باستخدام حذاء خاص من صنعهما يمكّنه من الميلان بدرجة 45 من دون أن يسقط، عندها فاز أوينز بأربع مسابقات جري على التوالي وحصد أربع ميداليات ذهبية في دورة الألعاب الأولمبية في العام 1936، (تعاقد رودي لاحقا مع لاعب التنس الألماني الشهير بوريس بيكر للترويج لمنتجاته)، الأمر الذي أدى إلى انتشار سمعة منتجات مصانع "داسلر" على النطاق الدولي وانفجرت مؤشرات المبيعات الخاصّة بها بطريقة مهولة.

لكن هذا النجاح خلق توترات جديدة في علاقة الشقيقين، المتوترة أصلا بسبب حقيقة أن أسرتيهما تعيشان في الفيلا نفسها وأن زوجتيهما في خلاف متواصل بسبب الحسد وازدياد الأعمال، وجرت سلسلة من الأحداث التي قيل إنها قد فاقمت الصراع الناشب بين الأسرتين، حتى حدثت واقعة الملجأ آنفة الذكر التي أدت إلى تفجر الخلاف وانهيار الشراكة كلّيا.

لقد أسهم فارق الخبرة بين الشقيقين بحدة التنافس بين شركتيهما، ففي الوقت الذي كان فيه رودي واحدا من أفضل موظفي المبيعات والتوزيع، كان شقيقه أدي واحدا من أفضل التقنيين في صناعة الأحذية الرياضية والأقرب إلى الرياضيين المشهورين الذين كان يصغي لمقترحاتهم لتطوير منتجاته.

> استمر الصراع والتنافس حتّى العام 2009 عندما قرر موظفو الشركتين وضع حدّ للحرب التجارية المستعرة بينهما وإنهاء عقود من العداء

هربرت هاينر مدير شركة أديداس (يسار) وجوش زينز مدير شركة بوما (يمين) أثناء افتتاح بمباراة السلام بين الشركتين في العام 2009، لاحظ أن الكرة اختيرت من ماركة "نايك" كي لا يختلف الطرفان

لقد كان التنافس بين الشركتين، لا سيّما في خمسينات وستينات القرن الماضي، سببا في تطور التجهيزات الرياضية واستحواذ الشركتين على السوق، تاركتين ما يقل عن ثلاثة بالمئة منه فقط لأقرب منافسيهما شركة "نايك" الأميركية.

لقد استمر الصراع والتنافس حتّى العام 2009 عندما قرر موظفو الشركتين وضع حدّ للحرب التجارية المستعرة بينهما وإنهاء عقود من العداء. كان ذلك بواسطة تنظيم مباراة بكرة القدم بين فريقي الشركتين انتهت بالتعادل بهدف واحد لكل منهما، لكن لا أحد يعلم في الحقيقة مشاعر الأخوين داسلر اللذين دفنا في مقبرة واحدة أواخر الثمانينات بتلك النتيجة الوديَّة. وكان رودي داسلر قد توفي في 27 أكتوبر 1974 بسبب سرطان الرئة في سن الـ76، تلاه شقيقه أدي بعد أربع سنوات، ويتراوح عمرهما بين 74 و78. ودفنا في باحة كنيسة البلدة تفصل بينهما مسافة أكثر من 800 متر كرمز للعداء بينهما.

لكن في تلك المباراة، تصافح كل من هربرت هاينر مدير شركة أديداس الحالي وجوش زينيز مدير شركة بوما قبل صافرة البداية. كان ذلك اليوم يوم السلام العالمي وكان الآلاف من موظفي الشركتين وجمهور غفير من سكان المدينة العريقة يترقبان ذلك الحدث التاريخي، على الرغم من أن الكثير من سكان المدينة الكبار، الذين كانوا شهود عيان على تفصيلات ذلك الصراع والتنافس المرير بين الشركتين يعتقدون بأن الأمر يلزمه أكثر من مباراة بكرة القدم لمحو عقود من الكراهية.

احتسيتُ قهوتي في مقهى كريملر كافيه وأنا أنظر لمبنيي كلا الإمبراطوريتين من بعيد، قبل أن تنتبه لينا لحذائي الأزرق ذي الشسع الأبيض المطاطي:

- لا بدّ أنّه حذاء باهظ الثمن.. هل هو أديداس أم بوما؟

ضحكتُ وأنا أتأمّل انكسار أشعة شمس الغروب على شعرها الأشقر المبهر الذي زادها تألقا.

تيشاني دوشي: الإنكليزية موطني

شاعرة وراقصة صوفية لأب هندي وأم ويلزية

تحسين الخطيب
شاعر ومترجم من فلسطين

تيشاني دوشي: بحر الأدب العربي في غاية الرحابة

❑ تيشاني دوشي (Tishani Doshi) شاعرة وروائية وراقصة بريطانية/هنديّة. ولدت بمدراس في التاسع من ديسمبر 1975، لأم ويلزيّة وأب هنديّ. نالت جائزة "إريك غريغوري" في العام 2001، التي تمنحها "رابطة الكتاب" إلى كاتب لم يبلغ الثلاثين من عمره بعد. كما فاز كتابها الشعري الأول "أقاليم الجسد" بجائزة فوروارد البريطانية العريقة لأفضل مجموعة شعريّة أولى في العام 2006. ترشحت روايتها الأولى "الباحثون عن المتعة"، ضمن القائمة الطويلة، لجائزة أورانج في العام 2011، وجائزة دبلن العالمية في العام 2012، وضمن القائمة القصيرة لجائزة القَصّ الهندوسي في العام 2010. من كتبها الأخرى "المواطن الداعر: قصائد وحكايات ومقالات" (2015)، و"الصبايا يخرجن من الغابة" (2017). تعيش حاليا في منزل على شاطئ بين قريتين، في تاميل نادو، مع زوجها وثلاثة من الكلاب.

■ الجديد: لست شاعرة فحسب، وإنما راقصة أيضا. ألا تعتقدين بأنّ الشعر نوع من الرقص؟ ما الذي يأخذه فنّ الكلمات- على حدّ قول زادي سميث- من الفنّ الذي لا يحتاج إلى كلام البتّة؟

● تيشاني دوشي: أعتقد بأنّ القاسم المشترك بين الشعر والرقص يكمن في صلتهما العميقة بالزمن. فثمّة توقيت داخليّ، يصعب وصفه، ولكنّه موجود لا محالة؛ يوجد هذا "الوقت" حيث تكمن الكلمات والحركة والإيقاع والسكون. لقد كنت شاعرة قبل أن أصبح راقصة، ولكنّ الرقص— يا للغرابة!— قد مارس التأثير الأعظم عليّ. تعلّمتُ من الرّقص الانضباط والتمهُّل والرّعب. وتعرّفت، عبر الرّقص، على جسدي؛ الذي أشعر بأنه ضروريّ بالنسبة إلى الشعر أيضا، ولكنني أعتقد بأنني لو لم أكن شاعرة، فلربّما لم يخطر ببالي أن أصبح راقصة وأنا في السادسة والعشرين. لذا، فالمسألة حوار متواصل.

■ الجديد: بأيّ معنى تعتقدين أنّ "معرفتك لجسدك، عبر الرقص" قد كان ضروريًا بالنسبة إلى الشعر، على حّد قولك؟

● تيشاني دوشي: ثمّة شْلُوْكَا (shloka) (دور شعريّ من أربعة أبيات) يدرّسونها في البهاراتاناتيام (الرقص الهندي الكلاسيكي) حيث جسدك هو كونك الذي يحتوي في داخله على أنهار وجبال ومجرّات، وبأنك إذا استطعت التحكم بهذه العناصر في داخلك، فسوف تكون قادرا، حينئذ، على ربط نفسك بالكون الأعظم. إنها فكرة رائعة من الناحية التصوّرية. ربط الأصغر بالكليّ الجامع. وهذا يعني بأنّ كلّ ما سوف تحتاجه موجود في داخلك. ولذلك، فإنّ الجسد مغامرة، إنّه موطن الرغبة، إنه القوّة، إنه الجسد المكبوح واللّامعصوم، إنه تاريخ وجغرافيا. يسمح لك الجسد بأن تتناسل. ومن خلال تجربتي، وبعد خمس عشرة سنة من التعامل بحميميّة مع جسدي، في حالاته الأسمى، فإن الجسد يستطيع أن يتجاوز الجنوسة، وينتابه شعور بأنه قد أصبح، في الواقع، شيئا بدائيا وسرمديّا. أن تكون وحيدا، في هذا الحال، هو شيء يشبه حالي وأنا أكتب القصيدة. لقد كانت معرفتي لجسدي، على نحو أكثر حميمية، طريقة للاقتراب من ذلك الحال الذي تبدأ منه القصيدة.

■ الجديد: أنت "راقصة بالصّدفة"! أصبحت كذلك، بعد لقائك العابر مع تشاندراليخا، الراقصة الأسطورة التي ركّزت في سنواتها الأخيرة على دمج الرقص مع عناصر أخرى، كالفنون القتالية والأدائيّة. هلّا ذكرت المزيد عن هذا "اللقاء العابر؟" وكيف يمكن للرقص "الكلاسيكي" أن يستفيد من "عناصر" الفنون المابعد حداثية تلك؟

● تيشاني دوشي: أنا راقصة بالصدفة. كنت في السادسة والعشرين حين قابلت تشاندراليخا في أثناء قيامي ببعض الرياضات الجسدية، كاليوغا، ولكنني لم أكن قد تمرّنت على الرقص الكلاسيكيّ، في ذلك الوقت، ولم أعوّل كثيرا على أن أصبح راقصة. بيد أنّ مهمتي الصحافية الأولى قادتني— يا للغرابة!— إلى تشاندراليخا وشعرها، فكان الشعر آصرتنا الأولى، وليس الرقص. لقد طلبت منّي في الليلة التي قابلتها فيها، أن أقوم ببعض الحركات في غرفة معيشتها— كتمارين انحناء الظهر، إلخ— ثم سألتني إن كنت راغبة في أن أعمل معها، فوافقت على الفور. حينئذ، تغيّرت حياتي. أعتقد، في الحقيقة، بأنّ تشاندراليخا، فضلا عن دمجها للفنون المابعد حداثيّة في الرقص، كانت أكثر اهتماما بالعودة إلى الجذور، إلى الرقص الماقبل تقليدي، كما هو، في حدّ ذاته، لقد كانت تقرأ النّاتياشاسترا، النص السنسكريتي البديع حول الفنون الأدائيّة، حيث ثمة تداخل شديد بين الطرائق جميعها. كانت قد بدأت، في ذلك الوقت، بدمج اليوغا والكالاريبّايات (أحد الفنون القتالية الهنديّة)— وكلاهما فنّان ممعنان في القدم— في البهاراتاناتيام. لقد أذهلت المجتمع المعنيّ بالرقص، حين فعلت ذلك، وأبهجته. رجال بلحى على خشبة المسرح! كانت الحكايات تُروَى، والدهشة تتحقق. كان الجسد هو القوّة البدئية، بكل جبروته وسطوته. لقد نزعت ما سمّته "الابتسامات التجميليّة" عن البهاراتاناتيام، وأدخلت صرامة اليوغا والفنون القتالية، فأوجدت أسلوبها التعبيريّ الخاصّ الذي كان، بالنسبة إليّ، أسلوبا حديثا وقديما، بصورة مدهشة، على حدّ السواء.

■ الجديد: إذن، فالمسألة كلّها مرتبطة "بالجسد، بوصفه قوّة بدئيّة"- أنت الراقصة الأولى في فرقة تدعى "شاريرا" (أي: الجسد، في اللغة السنسكريتيّة)، وعنوان أوّل كتبك الشعريّة (الذي فاز بجائزة فوروارد البريطانية المرموقة في العام 2006) هو "أقاليم الجسد"! نعرف أنّ الجسد البشريّ يتكوّن، في الهندوسيّة، من ثلاثة أجساد "الكارانا شاريرا (الجسد الطارئ/العابر)، والسوكشما شاريرا (الجسد الخفيّ/الهاجع)، والكاريا شاريرا (الجسد الماديّ/المحسوس)". ترتبط هذه الأجساد الثلاثة بعضها مع بعض، فلا يستطيع المرء العمل على أكمل وجه، إلّا حين تكون هذه الثلاثة في تناغم تام! نشهد في "أقاليم الجسد"، هذا البحث عن "الجسد الآخر"، لدرجة أنّنا "نبدّد أنفسنا/ كُرمى له". . حين "ينزلق الجسد خارج الجسد"، وعميقا في داخله، كما لو أنّ القصيدة تصبح، في حدّ ذاتها، حياة "جديدة"، أو بذرة (كارانا شاريرا) لِـ"لاتناهي الجسد/العروق، والدم؟".

● تيشاني دوشي: نعم، أنت على حق. الجسد هاجس جوهري، ولقد حاولت عبر دواويني الشعرية الثلاثة، أن أفهم طبقات الجسد الثلاث، هذه، وأن أجابهها. كنت، حين شرعت في كتابة "أقاليم الجسد"، قد بدأت في تعلّم الرقص، وكنت أخضع لحالة من الصرامة الجسدية التي تحتّم على الجسد أن يجد طريقه إلى القصائد على نحو مركزيّ تماما— الجسد بوصفه استعارة للجغرافيا، والرغبة، والخوف، والمرض، والغلبَة.

وفي الكتاب الثاني، "كل شيء يبدأ في مكان آخر"، كان الجسد لا يزال في البؤرة، ولكنّ الاستكشافات هي ضدّ محور المكان/الزمان، على نحو أكثر— أن تتعامل مع الجسد المقسّم، في ضوء المعنى الذي تحدث عنه نيرودا، جامعا جميع أجزائه المفقودة، حين يرجع إلى مستقرّه ومثواه. وأخيرا، في الكتاب الجديد "الصبايا يخرجن من الغابة"، فإنّ الجسد شرس، مرّة أخرى، مشوه ولكنه يدبّ عائدا.

سألني أحد الأصدقاء، ممّن شاهد أعمالي الراقصة، وأدرك بأنّها تحتفي بالجسد الذي لا يموت، عمّا إذا كانت القصائد نوعا من قصائد ضدّ الجسد، لأنّ بعضها قد بدا في صراع مع بعض، على نحو ما، ولكنّني أعتقد، في الحقيقة، بأنني قد كنت أشتغل بالجسد، طيلة خمس عشرة سنة، كامتداد لذلك العمل، زاعمة بأنّ الجسد قادر على التجدّد والتزوّد بالطاقات، ولكنّ هذا العمل يحاول، في الوقت ذاته، أن يضع كل ذلك في داخل السياق الأوسع للأخبار والأحداث: اغتصاب النساء وتعنيفهنّ، ولانهائية حدوث ذلك.

تتحاور هذه الأشياء بعضها مع بعض، عبر الرقص، ومن خلال القصائد، فثمة أمل، عبر ذلك كله لإيجاد بعض التوازن وبعض التناغم.

■ الجديد: ذكرت بأنك قد حاولت في كتابك الشعري الثاني، التعامل مع "الجسد المقسّم"، وكيف حاولت جمع "أجزائه المفقودة أن يرجع إلى مستقرّه ومثواه.. في ضوء المعنى الذي تحدث عنه بابلو نيرودا في قصائده!" لقد أخبرت شهناز سيغانبوريا (في المقابلة التي نشرتها مجلة "فوغ"، عدد يناير 2017) بأنّ نيرودا كان أول شاعر قرأته، وبأنه الذي قادك إلى طريق الشعر، من خلال تلك النسخة العتيقة من "قصائده المختاره" التي منحتها لك خالتك حين كنت في السادسة عشرة؛ ولكنّك تحدّثت في تلك المقابلة عن الـ"تباين الكبير في قصائد نيرودا!" هلّا توسعت في الحديث عن هذه "الرحلة" لصبيّة تقرأ شاعر الحب والرغبة الأعظم، لأول مرة؟ وماذا تقصدين حين أشرت إلى "التباين الكبير" في قصائد نيرودا؟

> تعرّفت، عبر الرّقص، على جسدي؛ الذي أشعر بأنه ضروريّ بالنسبة إلى الشعر أيضا

● تيشاني دوشي: إنّ نيرودا من طينة الشعراء الذين يجعلونك راغبا في أن تصبح شاعرا. تقرأه في مرحلة معينة من حياتك، فيغمرك فيض الجمال. لا أعرف، بالضّبط، ولكنّ الأمر نفع معي. لقد كان نيرودا ذا تأثير عظيم عليّ، وأذكر بأنني قد قرأت مقالته ويومياته أيضا، فأدركت إحساسه بالوطن والمنفى. الحنين إلى البحر، جذور تشيلي، في الوقت الذي كان لا يزال يشعر فيه بالفضول (المعرفي) تجاه العوالم التي كان يرتحل إليها. بيد أنني أجد "تباينا" في أعماله، ربما لأنه كتب كثيرا جدا، دون الكثير من التنقيح والتجويد، وحين ينهمك المرء في قراءة مجموعاته الشعرية، يجد بأن ثمة قصائد ضعيفة، على نحو ما، ومتسرّعة. بديعة قصائد الحُبّ (التي كتبها)، ولكنني أشعر بأنّ بعض قصائده السياسية لا تصلح إلّا لزمانها. ولكنه، كشاعر ذي أهمية في حياتي، يظل شاعرا محوريّا، ولا أكف عن العودة إلى أشعاره.

بعض أعمال الشاعرة

ينشر الحوار بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

تاريخ فوتوغرافي لوحشية البشر

المصور الأميركي جيمس ناشوي يستعيد المآسي التي شهدها في معرض باريسي

عمار المأمون
كاتب من سوريا

قضى المصور الأميركي جيمس ناشوي أكثر من أربعين عاما من حياته كمصور صحافي لأبرز الصحف والمجلات العالمية، قام خلالها بتغطية العديد من الحروب في مختلف البلدان، مخاطرا بحياته عدة مرات، إذ تعرض لإطلاق النار في تايلاند وأصيبت سيارته بقذيفة في بغداد، كما كان حاضرا في شرق آسيا حين ضربها إعصار تسونامي، كذلك شهد الحرب في راوندا والمجاعة في الصومال، كما أن عدسته التقطت العديد من الصور المميزة في نيويورك أثناء أحداث الحادي عشر من سبتمبر في أميركا، إلى جانب ذلك ترشح لأوسكار أفضل فيلم وثائقي عام 2001 عن فيلمه "مصور حرب"، كما نال العشرات من الجوائز عن صوره الفوتوغرافية، ما أكسبه شهرة عالمية بوصفه شاهدا مثاليا على المآسي البشرية وعنف الإنسان.

يشهد المنزل الأوروبي للتصوير الفوتوغرافي في العاصمة الفرنسية باريس، معرضا استرجاعيا لأعمال ناشوي بعنوان "تذكار"، نشاهد فيه 17 مجموعة من الصور التي تدور حول موضوعة الحرب، وما وثّقه ناشوي من مآس في مناطق مختلفة من العالم، يتحول فيها الفرد إلى مجرد لحم ينتهكه الحديد والرصاص، إذ يحضر ما يزيد عن مئتي صورة فوتوغرافيّة عن الصراعات البشريّة المعاصرة، ومقدار الوحشية التي يمكن أن يصل إليها الإنسان، فعدسة ناشوي كانت ضمن مساحات القتال في بعض الأحيان، لتوثيق المعارك أثناء حدوثها.

> شهد ناشوي غزو العراق، وكان لصوره تأثير كبير على الرأي العام، إذ التقطت عدسته مآسي الحرب وما سببته من دمار للعراق والعراقيين، فصوره تعكس وحدة الضحايا والخوف الذي يسكن أعينهم، لنكتشف الوحشية التي تعرض لها المدنيون العراقيون

شهد ناشوي غزو العراق، وكان لصوره تأثير كبير على الرأي العام، إذ التقطت عدسته مآسي الحرب وما سببته من دمار للعراق والعراقيين، فصوره تعكس وحدة الضحايا والخوف الذي يسكن أعينهم، لنكتشف الوحشية التي تعرض لها المدنيون العراقيون بين الغبار، ويصف ناشوي تجربته حين انهار البرج الثاني بقوله "علمت مباشرة أن لدي خمس ثوان كي أهرب، وأن فرص نجاتي ضئيلة جدا.. كان المنظر مذهلا من حيث كنت أقف، لكنه كان سيقتلني، ولم يكن لدي الوقت لالتقاط صور أكثر".

لحظة انهيار برجي التجارة العالميين

ويقول روبيرت كوتش، أحد منظمي المعرض، إن ناشوي يسعى لالتقاط أخطاء العالم، وتوثيق ما يجب أن يتم إصلاحه، التي التقطها ناشوي أثناء هجمات الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة، وأشهرها تلك التي نشاهد فيها "النقطة صفر" في نيويورك، حيث انهار البرجان، والصدمة التي تعلو وجوه من يبحثون عن ناجين بين الغبار، ويصف ناشوي تجربته حين انهار البرج الثاني بقوله "علمت مباشرة

يحوي المعرض أيضا مجموعة الصور

وهذا نابع من ثقته في المشاهد، وقدرة الناس على التغيير في حال تمكنوا من رؤية القسوة المحيطة بهم، متجاهلا الخطر الذي قد يصيبه جسديا ونفسيا، وكأن كل صورة يلتقطها تترك فيه ندبة أو جرحا، إلا أن إيمانه بأن من يشاهد قادر على التماهي مع من يراهم في الصورة، يشكل نوعا من العلاج بالنسبة إليه.

مساحات اللعب المرتجل

معرض فوتوغرافي إسباني يكتشف احتمالات الفن في المكان

يختزن أي فضاء معماري في داخله مجموعة من السياسات والجماليات التي تؤثر في تشكيله بصريا، إلى جانب تأثيره على طبيعة الموضوعات التي تشغله، وآلية ظهورها وحركتها، ما يجعل كل مساحة معمارية مضبوطة بسلسلة من القواعد، تحدد أدوار من هم داخلها، سواء كانت هذه الأدوار جديّة أم لا، ليأتي العمل الفنيّ لاحقا بوصفه جهدا "للعب" ضمن الفضاء، وإعادة تكوينه، وارتجال مقاربات جديدة تغيّر من طبيعته، ما يتيح لمن يشغله أو يشاهده اكتشاف احتمالات أهملتها المخططات الأصلية ونفت إمكانيّة حضورها.

يستضيف المنزل الأوروبي للتصوير الفوتوغرافي في العاصمة الفرنسية باريس، معرضا فرديا بعنوان "تدخلات" للفنان والمصور الإسباني نيكولا كومبارو، والذي يلتقط بعدسته التدخلات التي يقوم بها ضمن الفضاءات المعمارية المختلفة، عبر توظيف النحت والتجهيز والتشكيل، لخلق مساحات فنّية، تغيّر الطبيعة الأصلية للفضاء، ليتحول إثرها إلى جزء عضوي من العمل الفني، بحيث تتلاشى الحدود بين مكان العرض والعمل الفني، ليكون الواحد منهما نتاج الآخر، إذ لا إطار يحدد "اللوحة" المنفصلة عما حولها، وكأن الجهد الفني هنا أشبه بـ"حدث" يعيد تكوين ما حوله.

التقطت المجموعة الأولى من الصور في المعرض خصيصا لمناسبته، وذلك إثر إقامة كومبارو الفنيّة في باريس، إذ نشاهد صورا لأعمال تجهيز مختلفة، تبدو مجرّدة للوهلة الأولى أو دون معنى، إلا أن المثير للاهتمام أن على المشاهد أن يتعامل معها بداية بوصفها صورا فوتوغرافية مجردة، بعيدا عن التعريفات المسبقة للفضاء وخصائصه الوظيفيّة، كمجموعة الأعمدة التي تحضر ضمن فراغ بين جدارين، هي ليست درجا، بل يمكن اعتبارها ضربات ريشة، تملأ المساحة القابلة للتشكيل، وهذا ما يجعل التصوير الفوتوغرافي وطبيعة الزاوية التي تلتقط منها الصورة مسؤولة عن تكوين العناصر الجماليّة، فما هو تجهيز بالأصل يتحول إلى لوحة تشكيلية بعد التقاط الصورة.

تحضر في المعرض أيضا سلسلة من الصور بعنوان "عمارة عفويّة"، والتي توثق مجموعة التدخلات التي قام بها الفنان ضمن الفضاءات المهجورة والمحكوم عليها بالدمار، محولا إياها إلى أعمال فنيّة، إذ نشاهد في أحدها كيف جعل من الضوء إطارا، مستعيدا مفهوم البارغرون بوصفه الخط الفيزيائي الفاصل بين المحتوى الفنيّ وما حوله، فهشاشة الضوء تعكس وهمية مفهوم الإطار والسياسات المرتبطة به، بوصفه يعزل العمل الفنيّ عن محيطه، مكسبا إياه هالة، وهنا تبرز القيمة النقديّة لهذه التدخلات، كونها تضيف إلى ما هو محكوم عليه بالنفي قيمة فنيّة، تعكس السياسات التي يخضع لها "الفن" ذاته والتي تحدد قيمته ونوعيته.

يُحفّز المعرض الزائر على طرح تساؤلات عمّا حوله، والاحتمالات التي تختزنها الفضاءات التي يتحرك ضمنها يوميا أو تلك التي يتجاهلها، فكومبارو لا يسعى للإتقان أو المثاليّة، بل يتدخل في الفضاء كطفل صغير يبني لعبة من مجموعة من الأخشاب، أو يطلي نصف جدار، أو يقرر أن يلطّخ الجدار ذاته، إلا أن هذه "الألعاب" تختزن مرجعيات واقعية وفنيّة كصورة باسم "خط الظل"، والتي رسم فيها باستخدام الطلاء ظلا لجسم وهمي، لا نعرف ماهيته، إلا أنه ترك أثرا خفيا بعد تلاشي الأصل، وهنا تبرز خصوصية تدخلات كومبارو، بوصفه يبحث في ما هو ممحي، ويحاول تعيين ما هو غائب، والتقاط آثار ومعالم تكوينات منفية من المخططات الرسميّة.

الجدير بالذكر أن كومبارو أخرج فيلمه

> توظيف النحت والتجهيز والتشكيل، لخلق مساحات فنّية، تغيّر الطبيعة الأصلية للفضاء، ليتحول إثرها إلى جزء عضوي من العمل الفني

الوثائقي الأول "Shadow line" العام الماضي، والذي يتحدث عن سيرة المصور الفوتوغرافي الإسباني ألبيرتو غارسيا أليكس، إذ رافقه كومبارو في رحلته إلى تشيلي، متتبعا إياه وهو يكتب ويصور ويصنع الأفلام، ليكون الفيلم نفسه أشبه باحتفاء بصري بألبيرتو، صاحب الصور السوداء والبيضاء، التي تتناول بسخرية موضوعات الجنس والعنف والمخدرات.

* ع.م

إطارات من ضوء

ظل لكيان مجهول

ديزني تجتذب محبي رسومها المتحركة بمعرض مفتوح

«عواجيز ديزني التسعة» يرحل بزائريه إلى عوالم فن التحريك

تدعو شركة والت ديزني أكبر شركات وسائل الإعلام والترفيه في العالم، محبيها إلى زيارة معرض مفتوح بمدينة سان فرانسيسكو الأميركية، تكريما لمبدعي الرسوم المتحركة التسعة، ويمثل "عواجيز ديزني التسعة: أساتذة فن التحريك" فرصة لاكتشاف خفايا عالم صور متحركة لطالما عرف رواجا كبيرا، والاستمتاع بجولة بين قاعات تجمع بين الفن القديم والمعاصر.

عرض من كانوا نجوما بحق وراء كواليس أشهر الصور المتحركة

❑ **سان فرانسيسكو** – قرر متحف أسرة والت ديزني بسان فرانسيسكو إقامة معرض بعنوان "عواجيز ديزني التسعة: أساتذة فن التحريك" تكريما للفنانين التسعة، وسيظل مفتوحا للجمهور حتى يناير 2019.

وعلى الرغم من أن مبدعي الرسوم المتحركة في عالم ديزني وسبب النجاح الكبير الذي حققته أعمال مثل "الغزالة بامبي" أو "سنوايت والأقزام السبعة"، وغيرهما، كانوا في الحقيقة أصغر سنا من مبتكر شخصية أشهر فأر في التاريخ وأصغر من والت ديزني نفسه، بخمس سنوات على الأقل، فإن والت ديزني كان يدعوهم بـ"العواجيز التسعة".

أعمال خالدة

استعار والت هذه المزحة من الرئيس الأميركي آنذاك، فرنكلين روزفلت، والتي كان قد أطلقها للسخرية من قضاة المحكمة العليا التسعة في الولايات المتحدة، إلا أنه في حالة ديزني كان الأمر يعتبر نوعا من المديح لإنجاز عباقرة التحريك في ذلك الوقت.

وقال دون هان، منتج أفلام ديزني، "لقد كانوا نجوما بحق، باستثناء أنهم لم يكونوا مشهورين. وكانوا أساتذة فعلا لأنه من بين خطوط ريشاتهم خرجت كلاسيكيات ديزني التي أبهرت العالم مثل (الجميلة النائمة) أو (100 مرقط ومرقط)".

وتجدر الإشارة إلى أن هان أنتج أعمالا خالدة في تاريخ ديزني الحديث والمعاصر مثل "الملك الأسد" أو "الجميلة والوحش"، وكان قد عمل في شبابه مساعدا لواحد من التسعة وهو فولفجانج ريترمان.

ويتذكر هان معلمه ذا الأصول الألمانية "كان وولي (فولفجانج) مثل جون وين ولكن غير تقليدي. كان معتادا على ارتداء القمصان المشجرة على أسلوب هاواي ودائما يعلق بزاوية فمه سيجارا كوبيا ضخما. كان من أعظم من رسموا شخصية بندق أو جوفي، وكان يبتكر مشاهد رائعة للأكشن والمغامرات. كما رسم شخصيات لفيلمي 'بينوكيو' و'دومبو الفيل الطائر'، ولما كان الذراع الأيمن لوالت ديزني فقد اعتمد عليه في إخراج روبين هوود وكتاب الأدغال".

ويخصص المعرض قاعة لكل واحد من فناني التحريك التسعة، متضمنا اسكتشات ومسودات رسوم ولوحات أكواريل وصورا ومتعلقات شخصية مستعارة من أرشيفات ومن هواة جمع المقتنيات أو من أفراد الأسرة. على سبيل المثال قدم أحد أبناء ريترمان الثلاثة نموذج طائرة من تصميم والده عندما كان طيارا أثناء الحرب العالمية. وقد رحل الفنان عن عالمنا عام 1985 عن عمر يناهز 75 عاما جراء حادث سيارة. كان الرجال الأساطير التسعة يتمتعون بشخصيات متألقة انعكست في بريق رسوماتهم، وهي الروح التي يستلهمها المعرض.

فنانون حقيقيون

لم يكن وارد كيمبول (1914–2002) مجرد فنان رسوم متحركة موهوب وواعد، بل كان عازف موسيقى جاز بارع على آلة الترومبيت، ومن الأمور الغريبة التي تروى عنه أنه كان يحتفظ بقاطرة بخارية ضخمة في حديقة منزله.

أما مارك ديفيز (1913–2000) وفق هان "فقد كان ميريل ستريب مجموعة فناني الرسوم المتحركة التسعة"، نظرا إلى أنه ابتكر العديد من الشخصيات المؤنثة في عالم ديزني، ومن بينها الأميرة أوروا، في "الجميلة النائمة"، وشخصية تنكر بيل في "بيتر بان" والشريرة "كرويلا" في (101 مرقط ومرقط).

فرانك توماس (1912–2004)، كان في الرابعة والعشرين من عمره حينما قام ببراعة وحساسية مفرطة الأقزام السبعة حول تابوت "سنوايت" حينما تناولت التفاحة المسمومة.

وتابع هان بالمثل كان أولي جونستون خبيرا في تحريك المواقف العاطفية التي خلدها في أفلام مثل "بامبي" أو "كتاب الغابة" في مواقف بين موغلي وبالو. كان آخر من بقي على قيد الحياة من التسعة حيث رحل عن عالمنا عن 95 عام 2008.

وأكد "كانوا فنانين حقيقيين صنعوا من الرسوم المتحركة أسلوبا للإبداع وامتعوا العالم أجمع طوال عقود".

صنعت أناملهم الرقيقة الآلاف من الاسكتشات، العديد منها للأسف لم ير النور وانتهى به الحال إلى القمامة، إلا أن هان وجد أنه يمكن تكريم هؤلاء الفنانين واستعادة ذكراهم بصورة لائقة، مستعينا بأندرياس ديجا، أحد فناني ديزني السابقين ومالك العديد من الاسكتشات الأصلية "للعواجيز التسعة"، والتي يمكن أن يطلع عليها الجمهور للمرة الأولى بعد عرضها في متحف أسرة ديزني في سان فرانسيسكو، ليس هذا فحسب بل إعادة إنتاج لموقع عمل أحد الفنانين بطاولته وأقلامه وريشته والمحبرة وعلب الألوان وحتى مطفأة السجائر التي كانوا يستخدمونها أثناء علمهم.

> زائرو المتحف يمكنهم أن يطلعوا على العديد من الاسكتشات الأصلية للمرة الأولى، إلى جانب القيام بجولة في موقع عمل أحد الفنانين بطاولته وأقلامه ومطفأة السجائر التي كان يستخدمها

تظهر على شاشات العرض الموزعة بين أرجاء المعرض، مشاهد لتلاميذ التسعة الكبار أمثال تيم برتون وجلين كين وبيت دوكتر صاحب فيلم "عاليا في الفضاء"، يشيدون بأساتذتهم الذين علموهم، ومن بينهم أيضا هان الذي يؤكد "أدين بالفضل في نجاح مشواري إلى معلمي فولفجانج ريترمان".

وجهات سياحية مثالية

دنفر.. بوابة العالم للفنون

❑ **دنفر (الولايات المتحدة)** – تعتبر دنفر بمثابة مدينة الفنون؛ حيث تزخر عاصمة ولاية كولورادو الأميركية بالعديد من الأعمال الفنية ومتحف فريد من نوعه، فضلا عن كونها بوابة الوصول إلى جبال روكي ماونتنز الشهيرة.

تمتاز بعرض اللوحات والمنحوتات الباهظة

دنيزلي.. أستوديو لالتقاط صور الزفاف

❑ **دنيزلي (تركيا)** – أصبحت منطقة "باموق قلعة" بولاية دنيزلي (جنوب غربي تركيا)، وجهة المقبلين على الزواج، حيث تحولت هذه المنطقة المُدرجة على قائمة اليونسكو إلى أستوديو طبيعي، تشد العرسان والمخطوبين بهدف التقاط صور.

تخليد ذكرى الزفاف والخطبة

جديد السياحة

❑ ذكر مسؤولون أن تايلاند تدرس تحويل الكهف المحاصر بداخله فريق كرة قدم من المراهقين لمدة أسبوع ونصف إلى مزار سياحي.

وذكرت كارونا ديتشاتيونج، مسؤولة السياحة في إقليم تشيانج راي، أنه "بعد أن عثر فريق الإنقاذ على 12 لاعب كرة قدم ومدربهم، أصبح الكهف مصدر اهتمام للمسافرين المحليين والأجانب".

وأضافت "سيعمل مكتب السياحة المحلي مع القطاع الخاص لتنفيذ طريق استكشافي والترويج للموقع فور انتهاء مهمة الإنقاذ".

❑ سيتسنى لزوار العاصمة الفرنسية باريس وضواحيها، اعتبارا من سبتمبر المقبل، الحصول على بطاقة جديدة للفسحة والتنقّل، بحسب ما أعلنت فاليري بيكريس رئيسة منطقة إيل-دو-فرانس.

وهذه البطاقة المسماة "باريس ريجيون باس" التي تتخذ شكل بطاقة ائتمانية تُتيح للسياح المشاركة في أنشطة ثقافية، فضلا عن استخدام القطارات والحافلات.

التكنولوجيا لا تعرف المستحيل

كرة دايسون ضرب من «جنون» التكنولوجيا الممكن

سرب افتراضي من الأقمار لتوفير الطاقة الشمسية يحتاج مئات السنين

مع الثورة التكنولوجية وتطور الذكاء الاصطناعي أصبحت كل أفلام الخيال العلمي واقعا حقيقيا، حتى أضحى الإنسان يخشى أن يصبح عبدا لاكتشافاته التكنولوجية، ومع تطور الأجهزة التكنولوجية الجديدة التي تحتاج إلى المزيد من الطاقة، ومع ازدياد الكتلة البشرية وتناقص كميات النفط المهدد بالنفاد، باتت البشرية في حاجة إلى استغلال الطاقة الشمسية التي لا تنضب بشكل أفضل يلبي احتياجاتها المتزايدة، حتى الآن لا توجد حلول عملية، لكن عالم فيزياء بريطاني اقترح نظرية مفادها أنه بإمكان ابتكار أجهزة عائمة في الفضاء تستطيع توفير الطاقة الشمسية التي لا نستغل منها إلا جزءا ضئيلا، مبينا أنها نظرية صعبة التحقيق في الوقت الحاضر، وغاب عنه أن الإنسان يمكن أن ينخرط في أعمال طويلة المدى كما الحال بالنسبة إلى سور الصين الذي أخذ من الوقت ما يقارب ثمانية عشر قرنا.

❏ **لندن** – يعرف أنصار الطاقة المتجددة أننا لا نستخدم إلا جزءا ضئيلا من الطاقة الشمسية التي تصل إلى كوكب الأرض، لذلك يتوقع البعض أن التكنولوجيا المستقبلية قد تكون قادرة على تسخير قوة الطاقة من كواكب أخرى قد تكون غريبة علينا اليوم.

وبحلول عام 3100 ستكون الكتلة السكانية قد ازدادت بشكل مطرد وازدادت معها احتياجاتها من الطاقة لتشغيل أجهزة الواقع الافتراضي وحقائب الظهر النفاثة وأنظمة هايبرلوب للنقل، وهو ما قد تعجز عن تلبيته الطاقة المتوفرة حاليا.

يتوقع العلماء أن يأتي اليوم الذي ستستنفد فيه البشرية كل النفط المتوفر لديها وحتى كل اليورانيوم المتاح لتشغيل محطات الطاقة النووية، حينها ستلتفت البشرية إلى الطاقة الشمسية لكن ذلك يطرح مشكلة أخرى فبعد مئات السنين لن نجد سنتيمترا مربعا واحدا شاغرا على الأرض لنضع فيه لوحة شمسية إضافية واحدة. وعليه فإن الفرضية الممكنة هي وضع هذه الألواح الشمسية في الفضاء وهذا يبدو حلا نظريا باعتبار أن هذه الألواح ستلتقط إضافة إلى أشعة الشمس، الإشعاع المهدور المنتشر في الفضاء بشكل طبيعي. إحدى هذه الطرق التي تبدو غريبة حتى على العلماء اليوم هي كرة دايسون، وهي سرب افتراضي من الأقمار التي تحيط بالنجوم كي تسخّر طاقتها، وقد تم اقتراحها لأوّل مرة من قبل عالم الفيزياء النظريّة البريطاني فريمان دايسون عام 1960.

ولو أننا حسبنا مقدار إجمالي الطاقة التي تنطلق في كل الاتجاهات من الشمس، لوجدنا أن كوكبنا الأرضي الصغير لا يتلقى سوى نصف الجزء الواحد من المليار من هذه الطاقة، ولو أننا أحطنا الأرض بسرب من هذه الألواح، سيكون لدينا مصدر مذهل للطاقة، والأفضل من ذلك أن تقع جميعها على مسافة واحدة من الشمس ومن الأرض حيث تكون درجة الحرارة مثالية للمياه كي تبقى في حالة سائلة.

وتقوم نظرية دايسون على إقامة جهاز هائل يعمل كمجمع للطاقة، وقد بيّن أنه عندما تقوم الحضارة البشرية باستهلاك جميع مصادر الطاقة على كوكب الأرض، فإن البشرية ستقوم بعدها بوضع أجهزة تجميع للطاقة الشمسية بعيدا في الفضاء لتعمل على توليد الطاقة من النجوم، ولأن مصادر الطاقة تحتاج إلى الزيادة المستمرة ستتم إضافة الكثير من أجهزة التجميع (الكرات)، حتى تتم إحاطة النجم بالكامل ليحصل البشر على ما يقارب المئة بالمئة من طاقته. ويتخيل البعض أن كرة دايسون ربما تكون مجرد هيكل صلب من المادة، إلا أن دايسون نفسه اعتقد أن هذا سيكون مستحيلا، وأن الكرة ستكون في مجملها عبارة عن مجموعة من الأجهزة المنفصلة المحيطة بالنجم.

واقترح دايسون أنّ هذه الكرات ستقوم بإشعاع كميات كبيرة من الأشعّة تحت الحمراء التي ستتمّ ملاحظتها حتّى من كوكب الأرض.

وعلى الرغم من متعة تخيّل لوجستيّات كرة دايسون، فإنّها تشكّل هدفا بعيد المنال، فإذا أخذنا فكرة القوقعة الصلبة بعين الاعتبار، فإنّ بنيتها ستكون رفيعة، وربّما يبلغ سمكها بضع عشرات أو مئات الأمتار، وتكون مغطّاة بلوحات شمسيّة، لكن مع ذلك، ستكون أثقل من الأرض بعدّة مرّات، وعند وضعها بالقرب من النجم، ستحظى بفرصة ضئيلة للحفاظ على متانة بُنيانها.

وإذا تمّ صنعها بطريقة ما كي تدور حول النجم لتستطيع البقاء في مداره، فإنّ المساحات المحيطة بخط استوائها الاصطناعي ستكون مستقرّة، لكن عند القطبين، حيث لا تدور، سيستسلم بنيانها أمام قوى الجاذبيّة وستنهار.

> كوكبنا الأرضي الصغير لا يتلقى سوى نصف الجزء الواحد من المليار من هذه الطاقة التي تنطلق في كل الاتجاهات من الشمس

لهذا السبب، يفضّل دايسون فكرة السرب، فبحسب هذه الفكرة، سيتمّ وضع الآلاف من الأقمار التي تجمع الطاقة حول النجم، ثم إرسال الطاقة إلى محور مركزي ليتمّ استخدامها من قبل حضارة ما. فباستخدام أقمار منفصلة، تقع كلّها في مدار النجم، سيتمّ الحفاظ على متانة الكيان ونقل كميات هائلة من طاقة النجم. وقد يبدو هذا الكيان بالتحديد غير عملي، لكنّه يستطيع القيام بمهام مماثلة بشكل عملي على مدى أصغر.

فعلى سبيل المثال، تقترح بعض النظريّات أنّ وضع مركبة فضائيّة كبيرة تقوم بجمع أشعّة الشمس بين الأرض والقمر سيمكّنها من امتصاص كميات كبيرة من الطاقة نستطيع إرسالها إلى كوكبنا، وهي ما تُعرف بالمحطّة الفضائية للطاقة الشمسيّة، التي تعتبر الخيار الذي يقوم كتّاب قصص الخيال العلمي بتفضيله، وهذا الخيار واعدٌ أكثر من كرة دايسون بأكملها.

لكن، ربّما بعد عدّة آلاف من السنين، عندما نصبح مكتشفين عبر النجوم، قد يكون من الضروري العثور على مصادر هائلة من الطاقة، وبحسب ما نعلمه، لا يوجد مصدر أفضل من نجم بأكلمه.

في الواقع، وفي حال وجود منظومة كواكب تشبه منظومتنا، قد يتطلّب ذلك تفكيك كلّ ما هو موجود في النظام الشمسي ما عدا الشمس، وإعادة بنائه لتكوين كرة عملاقة تتناسق مع حجم الشمس الكبير.

وُضع اقتراح دايسون المبدئي كطريقة تستطيع بها الحضارة المستقبليّة إشباع حاجاتها الواسعة المتوقّعة من الطاقة، فإذا ازدادت احتياجات حضارة ما من الطاقة قد لا تُحلّ هذه الكارثة إلّا بتسخير طاقة النجوم.

إنّه شيء ممكن فقط في إطار حضارة أكثر تطوّرا من حضارتنا، ويعتقد المؤيدون لهذه الفكرة أنه لا مفر لأي حضارة متقدمة من امتلاك هذه الكرة وبالرغم من ذلك، فقد حاز الموضوع اهتماما كبيرا بسبب اعتباره نظريّة ممكنة التحقيق.

واستطاع دايسون حساب المدة التي سيستغرقها مثل هذا المشروع، فوجد أنه يحتاج إلى ثلاثة آلاف سنة، لكن البشر قادرون على الانخراط في أعمال طويلة المدى بدليل أن سور الصين العظيم استغرق استكمال بنائه ما يقرب من 1800 سنة.

نوافذ ذكية تقوم بدور المكيفات

❏ **بكين** – طور باحثون نوافذ ذكية تحافظ على برودة المنازل صيفا وتبقيها دافئة شتاء، ما قد يساعد على خفض تكاليف التدفئة وتكييف الهواء، عن طريق حجب أشعة الشمس وتسخير الطاقة لتوليد الكهرباء.

يقول المهندسون الباحثون في هذا المجال إن التصميم الثوري سيضاعف كفاءة الطاقة مع تخفيض الفواتير إلى النصف.

كما لا تسبب النوافذ أي تلوث وتتطلب القليل من الصيانة، وفقا لما قاله كبير الباحثين، البروفيسور هين-لاب يب، من جامعة جنوب الصين للتكنولوجيا.

> نافذة افتراضية يمكنها محاكاة السماء المشمسة، في أي مكان من العالم

ويتضمن تصميم النوافذ نسخة عضوية من الألواح الشمسية الكهرو- ضوئية المدمجة، التي تتميز بخفة الوزن، وهي مثالية لتحويل النوافذ إلى مولدات كهرباء وعوازل حرارية.

وصمم المهندسون نموذجا أوليا قادرا على توليد الكهرباء والحد من الحرارة العالية في الوقت نفسه.

ولقد تحقق ذلك من خلال تنفيذ عملية توازن ثلاثية بين امتصاص الضوء لتوليد الكهرباء، وحجبه لتحقيق العزل الحراري وتحويله ليعمل كنافذة طبيعية.

ويقدر أن تركيب نوافذ مزودة بخاصيتي توليد الكهرباء والعزل الحراري، يمكن أن يقلل من اعتماد أفراد الأسرة على مصادر كهربائية خارجية بأكثر من النصف. وهذا يطرح فكرة تغطية كل لوحة مربعة من كل نافذة بخلايا شمسية متعددة الوظائف.

وأوضح البروفيسور يب، أن صنع خلايا شمسية بوليمرية شبه شفافة متعددة الوظائف عازلة للحرارة، هو مجرد بداية لاستكشاف تطبيقات جديدة من الخلايا الكهرو- ضوئية العضوية.

وفي وقت سابق من هذا العام تمكنت جامعة "إنسوربيا" الإيطالية، من تطوير نظام إضاءة اصطناعي عبر نافذة افتراضية في السقف، يمكنها محاكاة السماء المشمسة، في أي مكان من العالم وفي أي وقت، من أجل إنتاج ضوء طبيعي.

وقالت جورجيت تاريديفو، المتحدثة باسم شركة "كويلوكس" الإيطالية، إن نظام الضوء الاصطناعي الخاص بالشركة، الذي يقوم بدور السماء المشمسة، يُتيح للمرة الأولى تكوين المؤثرات الفيزيائية والظواهر البصرية للضوء الطبيعي.

مطورو غوغل يقرأون رسائل جي ميل

❏ **كاليفورنيا** – تسمح شركة غوغل للمئات من مطوري تطبيقات الطرف الثالث بفحص صندوق الوارد لملايين المستخدمين لخدمتها من البريد الإلكتروني، جي ميل.

يأتي ذلك بعدما أعلنت غوغل العام الماضي أنها ستمنع أجهزتها من مسح صناديق البريد الوارد لمستخدمي جي ميل للحصول على معلومات لتخصيص الإعلانات، قائلة إنها تريد أن يظل المستخدمون على ثقة من أن غوغل ستحافظ على خصوصية بياناتهم.

ومن الشركات المعنية بالإجراء "ريتارن باث"، وأديسون للبرمجيات، وتقول كلتاهما إن هذه الممارسة تغطيها اتفاقيات المستخدم الخاصة بها، وأنها تستخدم بروتوكولات صارمة للموظفين الذين يقرأون رسائل البريد الإلكتروني.

وتقول شركة "إي داتا سورس" إنها سمحت في السابق للموظفين بقراءة بعض بيانات البريد الإلكتروني، لكنها أنهت في الآونة الأخيرة هذه الممارسة لحماية خصوصية المستخدم بشكل أفضل. ومن جهتها قالت غوغل، إنها توفر هذه الميزة لمطوري تطبيقات الطرف الثالث الموثوقين فقط، وقالت الشركة في بيان مكتوب إن "موظفي غوغل يقرأون رسائل البريد الإلكتروني فقط في حالات محددة جدا نطلب فيها موافقة المستخدم، أو حين نحتاج إلى الفحص لأغراض أمنية مثل التحقيق في خلل أو سوء استخدام".

وتستخدم الشركات الجامعة للبيانات عبر البريد الإلكتروني برنامجا لمسح الملايين من الرسائل يوميا، بحثا عن بيانات المستهلكين التي يمكن بيعها إلى جهات التسويق والأنشطة التجارية الأخرى، وتتضمن هذه البيانات عناوين البريد الإلكتروني للمستلمين، في حين ترتبط الأسماء وعناوين البريد الإلكتروني التي تستبدل بأرقام الرموز بالمعلومات الديموغرافية مثل العمر والموقع، وتتبع وقت فتح الرسالة ليُظهر ذلك أفضل الأوقات لإرسال العروض الترويجية، أما بالنسبة إلى محتوى الرسائل فتُمسح الأسماء والأرقام والعناوين، وتُضاف إلى قواعد البيانات، مثل التطبيقات التي تساعد المستخدمين على تنظيم جهات الاتصال وغيرها.

أخبار تكنولوجية

قلم غالاكسي نوت 9 يشتغل بالبلوتوث

❏ زودت سامسونغ قلمها الذكي "أس بان" في هاتف النوت 9 القادم بتقنية البلوتوث، حيث سيتاح للمستخدمين عدد من التطبيقات الجديدة بعيدا عن الرسم والكتابة على شاشة الهاتف مباشرة.

تزويد القلم بالبلوتوث سيجعله متصلا عن بعد بالهاتف، بحيث يمكن للمستخدم مثلا أن يكتب أي شيء من مكان بعيد وسيتم تسجيل حركة القلم في الهاتف وفهم أن المستخدم يكتب، وبالتالي كل ما سيكتبه أو يرسمه سيتم تسجيله أوتوماتيكيا على هاتفه.

نبضات القلب تحدد وجهتك السياحية

❏ طور فندق فرنسي برنامجا يعتمد على الذكاء الاصطناعي يقيس معدل نبض الزوار ومدى استجابة الجلد ليرشدهم إلى أفضل وجهة سياحية.

ويعمل البرنامج الذي أطلق عليه اسم "سيكر" على قراءة الأفكار والدماغ لمعرفة بعض الإشارات، من ضمنها نبضات القلب وتخطيط موجات الدماغ وردة فعل الجلد كهربائيا، وذلك بواسطة كاميرا الهاتف الأمامية أو كاميرا الويب للكمبيوتر المكتبي.

بندقية ليزرية تصيب أهدافا بعيدة

❏ طور علماء صينيون بندقية ليزرية جديدة ذات مواصفات استثنائية، يمكنها حرق أي هدف من مسافة تزيد عن كيلو متر واحد.

ويمكن لبندقية "زد كيو زد أم 500-" أن تطلق شعاع طاقة لا يمكن رؤيته بالعين المجردة، يحرق الأنسجة البشرية على الفور. ويزن السلاح الجديد ثلاثة كيلوغرامات، ويعمل على بطارية ليثيوم قابلة للشحن، تماثل البطاريات المستخدمة في الهواتف الذكية.

«واتساب» يعيد الصور المحذوفة

❏ من المتوقع أن يتم تطبيق إعادة تحميل وظهور كافة الوسائط، التي يتم حذفها من تطبيق "واتساب" من خلال تحديث جديد تم دعمه لنسخة "البيتا"، وسيتم توفيره للنسخة العامة من "واتساب" خلال شهر أو شهرين على أقصى تقدير.

ويسمح التحديث الجديد، الذي أطلق عليه تقنية "الذاكرة الأبدية" بإعادة تحميل مختلف الوسائط التي تم حذفها، حتى لو مرت سنوات على حذف تلك الوسائط من "واتساب".

التمارين الاهتزازية تدرب العضلات دون إجهادها

الأجهزة الهزازة تنشط الدورة الدموية وتحرق السعرات الحرارية

التمارين الاهتزازية أحد أنواع التدريبات التي تشغل منطقة بعينها من الجسم أو كل العضلات في الآن نفسه دون أن تعرضها للإجهاد أو الشد، مثلما يحدث عند التدرب باستخدام الكثير من الأجهزة الرياضية الأخرى.

❑ **لندن** – تحرك الأجهزة الهزازة الجسم وهو في حالة ثبات أو أثناء قيام المتدرب ببعض الحركات، بشكل متزامن، فتزيد بذلك من كفاءة العضلات.

ويقوي التدريب الهزاز الألياف العضلية عن طريق عمليتي الإطالة والانعكاس التواتري، وهو ما يعني بأنه خلال استمرار هذا التدريب تتقلص العضلات بترددات عالية جدا. ويعتقد بأن هذه القوى الاهتزازية تتمتع بفائدة كبيرة لدعم الألياف العضلية سريعة التقلص. لهذا النوع من التدريبات قدرة على تحفيز تيار الدم العضلي والذي يعمل على زيادة سرعة الاسترخاء، بعد الجهد، والشفاء من الإصابات الرياضية لأن زيادة سرعة تيار الدم تحمل معها المواد المغذية المخزّنة لخلايا العضلات وتعالج الأنسجة المتضررة بسرعة كبيرة.

الاهتزازات تقوي الألياف العضلية

أشار تقرير، نشر بموقع المكتبة الرياضية الشاملة، إلى أن ظاهرة الإطالة والانعكاس التوتري الناتج عن الاهتزاز، تتداخل وتتفاعل مع تردد التقلص العضلي نفسه. وكمثال على ذلك، تتقلص عضلة الألياف السريعة بمعدل(30–70) مرة بالثانية عندما تحفز بواسطة حمل تدريب الأثقال العالي وتدريب السرعة وعند ازدواج هذه الترددات مع تدريب الاهتزاز فإن تلك الألياف العضلية ستعمل بشكل أقوى بسبب تقوية ألياف عضلية أكثر.

يرى أخصائيو اللياقة البدنية أن كثافة الاهتزازات واتجاهها هما اللذان يحددان فعاليتها، مع العلم وأن بعض الأجهزة تنتج اهتزازات عمودية فقط، بينما ينتج بعضها الآخر اهتزازات صاعدة وهابطة، وأمامية وخلفية، وعلى الجانبين.

يعتقد أن الاهتزازات العمودية (الصاعدة والهابطة) تكون أكثر فعالية لإنتاج تقلصات عضلية سريعة.

قامت مجموعة من الباحثين الإيطاليين بدراسة تأثير تدريب الاهتزاز على كل الجسم وبمختلف القياسات لبطلات رياضيات إناث، مع مراعاة أن هذا النوع من التدريب للجسم كله يتطلب وقوف الرياضي على لوح جهاز الاهتزاز لفترة معينة أو لعدد معين من التكرار لتمارين مختارة بإضافة مقاومة أو من دون مقاومة. تم تقسيم الرياضيات إلى مجموعتين: المجموعة الأولى هي مجموعة تدريب الاهتزاز(13 لاعبة) والتي تدربت ثلاث مرات في الأسبوع ولمدة ثمانية أسابيع، أما المجموعة الثانية فهي مجموعة السيطرة(11 لاعبة). وفي نهاية هذه الفترة تم اختبار الجميع باختبارات القفز المعاكس للحركة وقوة مد الرجلين وضغط الرجلين الأفقي واختبار المرونة.

واكتشف الباحثون، بعد تحليل النتائج، تطورا معتبرا في قوة مد الرجلين والقفز المعاكس للحركة والمرونة لصالح مجموعة تدريب الاهتزاز، في حين، لم يجدوا أي تغيير مهم في اختبار قابلية مجموعة السيطرة.

كما اكتشف باحثون من جامعة "أوبردين" في داكوتا الشمالية التأثير الكبير لتدريب الاهتزاز، عن طريق التمرن لحوالي 60 ثانية على اللوح و60 ثانية خارج اللوح الهزاز، على تقوية الألياف العضلية لعضلة الفخذ. ووجدوا بأن التردد الأكبر لن يقود إلى ردود أفعال معتبرة وكانت العينات في هذه الدراسة من الإناث البطلات في كرة الطائرة، حيث كن يقفن على لوح الاهتزاز بالوقوف مع ثني الركبتين بزاوية 100 درجة.

يعتبر تدريب الاهتزاز معادلا في تأثيره لطريقة التدريب المقاوم عند تطوير قوة مد الرجلين وسرعة الحركة والقفز المعاكس للحركة عند النساء كبار السن.

وقد تأكد ذلك بعد إجراء التجربة على 48 امرأة شابة قسمن إلى مجموعتين: المجموعة الأولى هي مجموعة تدريب الاهتزاز والتي نفذت تمارين ثابتة ومتحركة من دون حمل فوق اللوح الهزاز وهي مجموعة اللياقة البدنية التي تابعت برنامجا تدريبيا معادلا للياقة القلبية التنفسية والتدريب المقاوم والمجموعة الأخرى هي مجموعة السيطرة. وقد نفذت المجموعتان 3 وحدات تدريب في الأسبوع. وخلال 24 أسبوعا من البرنامج التدريبي لم تحصل أي متغيرات معتبرة على الوزن ونسبة الشحوم ولا حتى في رقة الجلد في المجموعتين ولكن كانت هناك زيادة في كتلة العضلات بالنسبة إلى مجموعة تدريب الاهتزاز.

وقد عزى الباحثون ذلك إلى قدرة تدريب الاهتزاز على تقوية ألياف عضلية أكثر وعلى الخصوص الألياف العضلية سريعة الانقباض، كذلك استفادت هذه المجموعة من زيادة معتبرة في القوة كما هو الحال عند مجموعة التدريب المقاوم.

وأكد علماء أن أجهزة التمرينات الرياضية العصرية التي تُحَرِّك الجسم عن طريق الاهتزاز تحظى بنفس فعالية رياضة الركض في ما يتعلق بالمساعدة على حرق الدهون.

وأشار العلماء إلى حقيقة تنامي شعبية تلك الأجهزة بين الأفراد البالغين الذين لا يمتلكون الوقت أو الدافع لممارسة رياضة الركض، أو ركوب الدراجات أو الذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية. وأظهرت أحدث الدراسات أن تلك الأجهزة تشبه أجهزة المشي من حيث الدور الذي تقوم به لمساعدة الأشخاص في أهدافهم المتعلقة بإنقاص الوزن الزائد في الأخير.

نشأة التدريب الاهتزازي

قالت البروفيسور ميغان ماكغي لورانس، من جامعة أوغوستا في جورجيا، إن تلك الدراسة هي الأولى التي تُظهر أن اهتزاز الجسم بأكمله أمر قد يكون فعالا كما التمرينات الرياضية في ما يتعلق بالتصدي لبعض التداعيات السلبية لمرضى السكري والبدانة.

يذكر أن مفهوم التدريب الاهتزازي نشأ وتطور من خلال العلماء الروس كجزء من برنامجهم في الفضاء للبقاء بأحسن حال من اللياقة البدنية. ففي عام 1867 قام الطبيب والمخترع الروسي غوستاف زاندر بتطوير سلسلة من الأجهزة التي تستخدم أنظمة من الأوزان والبكرات لتوليد إحساس بالاهتزاز، حيث كان الغرض من هذا الجهاز علاجيا. وفي العام 1895 قام الدكتور جون هارفي كيلوغ بتطبيق المعالجة بالاهتزاز في ممارسات المعالجة. وقد جرب كرسي الاهتزاز على نفسه، وصرّح بأن هذه المعالجة جيدة لتحسين التروية الدموية، والدوران، ويمكنها أيضا أن تخفف من الإمساك.

لاحظ الأطباء خلال برامج الفضاء الروسي، أن رواد الفضاء العائدين يعانون من فقد في كتلة العظام، مترافق مع كسور عظمية في أعمار مبكرة جداً، بخلاف العمر الاعتيادي لظهور مثل هذه الأمراض.

وقد بدؤوا باستخدام أجهزة اهتزاز على كامل الجسم للمساعدة في تقوية عضلات وعظام رواد الفضاء. واليوم تستخدم وكالة الفضاء الدولية (ناسا) المعالجة بالاهتزاز للمساعدة في الوقاية من ضمور العضلات لدى رواد الفضاء.

تمارين الاهتزاز تدريب وعلاج

الاستلقاء على الآلة المزودة بمنصة الاهتزاز يعد أحد الأشكال الشائعة التي تساعد على تخفيف آلام العضلات، وعند استخدامها يطلب من المصاب الوقوف بوضعية نصف القرفصاء، والانحناء بزاوية مقدارها 100 درجة لمدة 60 ثانية. وهي طريقة توهم الدماغ بأن الشخص مهدد بالسقوط، الأمر الذي يؤدي إلى تقلص سريع للعضلات.

كما يمكن أن تستخدم هذه التقنية على مناطق محددة من الجسم. وقد أظهرت الكثير من الدراسات أن لتدريب الاهتزاز فوائد في التخفيف من أعراض بعض الأمراض المزمنة:

● تقليل أعراض داء باركنسون: أظهرت دراسة أجريت عام 2009، أن المعالجة بالاهتزاز يمكن أن تمتلك تأثيرات مفيدة قصيرة الأجل على الاعتلالات الحركية التي يسببها داء باركنسون، والتي تتضمن إنقاص الارتجاف، والصلابة أو التيبس المترافقة مع هذا المرض. كما أفادت دراسة أميركية حديثة، بأن ممارسة الرياضة لمدة 150 دقيقة أسبوعيا، تحافظ على الصحة البدنية للأشخاص الذين يعانون من مرض باركنسون أو الشلل الرعاش.

الدراسة أجراها باحثون في مركز العلوم الصحية في جامعة نورث ويسترن الأميركية، ونشروا نتائجها في دورية "باركنسون ديزيز" العلمية.

وللوصول إلى نتائج الدراسة، تابع الباحثون أكثر من 3 آلاف و400 مريض مصاب بالشلل الرعاش يعيشون في 21 مدينة بثلاثة بلدان على مدى عامين.

وجد الباحثون أن المرضى الذين مارسوا أنشطة بدنية لمدة ساعتين ونصف أسبوعيا حافظوا بصورة كبيرة على صحتهم البدنية ونوعية حياتهم، وانخفضت لديهم أعراض المرض، بالمقارنة مع مرضى لم يمارسوا أنشطة بدنية.

● زيادة قوة العضلات والعظام: توصلت دراسة أجريت عام 2011 أن المعالجة بالاهتزاز لا تحسن كثافة العظام عند الأشخاص المسنين، ولكن ربما تحسن قوة عضلات الساقين لدى البالغين الذين لا يمتلكون القدرة على ممارسة التمارين الرياضية.

فقد خلصت الدراسة التي نشرت في مجلّة "جورنال اوف بون أند مينيرال ريسورتش" إلى أنّ الانتظام في ممارسة بعض أنواع الرياضة في العشرينات من العمر يزيد من كتلة العظام وصلابتها، ويحمي بالمحصّلة من هشاشتها مع التقدّم في السن، المرض الذي يصيب الرجال والنساء بعد سنّ الخمسين ويتسبّب بترقّق العظام وزيادة قابليّتها للكسور، والتي قد تكون بعض أنواعها خطرة على حياة المسنين.

يحتاج الحصول على هذا التأثير ممارسة الرياضة لمدّة أربع ساعات على الأقلّ أسبوعياً، كما أنّه يقتصر على بعض أنواع الألعاب الرياضيّة التي تتضمّن القفز، وزيادة الحمولة على عظام الجسد.

● تقليل حدة أعراض التصلب المتعدد: أظهرت دراسة محدودة أن المعالجة بالاهتزاز ربما تساعد في تحسين أداء العضلات لدى الأطفال الذين يعانون من هذا الاضطراب. كما أفادت دراسة حديثة بأن أسلوب الحياة الصحي، مع ممارسة الرياضة بصورة منتظمة وعدم التدخين، يساهم بتراجع حدة الألم لدى مرضى التصلب المتعدد.

وقالت كلوديا مارك أستاذة الأمراض الروماتيزمية بجامعة ملبورن في أستراليا "دراستنا اكتشفت وجود ارتباطات قوية بين نمط الحياة والألم لدى مريض التصلب المتعدد".

وأضافت أن المرضى من المدخنين الأكثر عرضة للإصابة بالألم، كما أن المرضى الذين يمارسون الرياضة بانتظام أقل تعرضا للألم.

قام الباحثون بالتحقيق في كيفية ارتباط عوامل نمط الحياة القابلة للتعديل بالألم لدى مرضى التصلب العصبي المتعدد، وشملت الدراسة أكثر من 2500 شخص مصاب بالتصلب المتعدد من جميع أنحاء العالم.

وجدت الدراسة أن المدخنين يعانون من آلام أكثر من غير المدخنين الذين يعانون من مرض التصلب المتعدد.

وأظهر التحليل أيضا أن المصابين بالتصلب المتعدد والذين يشاركون في المزيد من النشاط البدني أقل عرضة للشعور بالألم.

وكانت دراسة طبية سابقة قد توصلت إلى أن الرياضة تعالج الأمراض المزمنة، حيث أشار مجموعة من الخبراء والأطباء بجامعة "بوند" الأسترالية إلى أن ممارسة التمارين الرياضية تعتبر علاجا فعالا للأمراض المزمنة كالقلب والسكري وآلام المفاصل والعمود الفقري. فقد قام الأطباء بوصف ممارسة الرياضة كعلاج لمرضاهم بدلا من الأدوية والعقاقير. ووصف الأطباء، لكل مريض ما يتناسب معه ومع حالته من التمارين. ثم تابعوا جميع المرضى ودرسوا كيفية أدائهم للتمارين. وفي نهاية الدراسة، توصلوا إلى أن ممارسة الرياضة لها نفس الأثر الفعّال لتناول الأدوية والعقاقير ولكنها أقل ضررا على صحة الإنسان من الأدوية. وشددوا على ضرورة رفع الوعي لدى المرضى المصابين بالأمراض المزمنة بأهمية ممارسة التمارين الرياضية قبل وصفها لهم.

كما أوصى باحثون بضرورة أن يطلع الطبيب المعالج للمصاب على التمارين الرياضية التي سيمارسها المريض.

> تدريب الاهتزاز يحفز تيار الدم العضلي الذي يعمل على زيادة سرعة الاسترخاء، بعد الجهد، والشفاء من الإصابات

أشار الطبيب تامي هوفمان، المشرف على هذه الدراسة، إلى أن لكل مرض تمارينه الرياضية الخاصة بعلاجه، فمثلا تمارين تقوية العضلات وتحريك الجسم مثل الأيروبكس مفيدة لمن يعاني من التهاب المفاصل ومشكلات الركبة فهي تحد من الآلام والالتهابات، أما المرضى الذين يعانون من آلام الظهر، من الأفضل لهم ممارسة التمارين لمدة تتراوح ما بين شهرين وحتى ثلاثة أشهر، تحت إشراف طبيب العلاج الطبيعي، حتى يتأكد من أدائهم بشكل سليم وبعد ذلك يصف لهم تمارين خفيفة يمارسونها في بيتهم. وبالنسبة إلى من يعانون من عدم القدرة على الاتزان يفضل أن يمارسوا تمرينات التوازن وتنسيق القوام أما مرضى السكري والقلب فعليهم أداء تدريبات حذرة حفاظاً على صحتهم.

أكد الأطباء في نهاية الدراسة على ضرورة أن تكون التمارين الرياضية محددة بوقت معين وبقوة محددة حتى تتمكن من أن تعطي نفس نتائج الأدوية والعقاقير.

وحتى الاضطرابات العقلية والنفسية لها نصيب كبير من فوائد التمارين الرياضية، حيث أفادت دراسة بريطانية حديثة، أن التدريبات الرياضية يمكن أن تساهم في علاج فقدان التركيز وضعف الإدراك والذاكرة الناجم عن الإصابة بمرض انفصام الشخصية.

أوضح الباحثون بجامعة مانشستر البريطانية، أن "الرياضة ترفع كفاءة أدمغة مرضى انفصام الشخصية"، ونشروا نتائج دراستهم في دورية "سكيزوفرينيا بولتان" العلمية. وانفصام الشخصية هو اضطراب نفسي مزمن يصيب المخ، ويؤثر على طريقة تفكير وتصرف المريض، ويؤدي إلى ضعف الذاكرة، وفقدان التركيز، وضعف التفاعل الاجتماعي، والإدراك والسلوكيات الاستكشافية، وارتفاع مستويات القلق وعدم القدرة على تمييز المعلومات غير الضرورية.

الدراسة في الغرب بوابة شباب العرب للهروب من واقعهم

احترام الحقوق والحريات سبب كاف لجعل قرار الدراسة بالخارج محسوما

لا يختلف الشباب العرب في رؤيتهم إلى حجم التطور الكبير للجامعات الغربية والنوافذ التي تفتحها للطلاب، مقارنة بالجامعات العربية، إلا أن هذا ليس السبب الوحيد لاتخاذ قرار الدراسة في الخارج، فهي بوابة لهؤلاء الشباب لتغيير واقعهم ومستقبلهم ونهج حياة مختلف عما يعيشونه في بلادهم.

أيمن محمود
صحافي مصري

القاهرة – شهدت المنطقة العربية مؤخرا إقبالاً متزايدًا من الشباب الخريجين على استكمال الدراسة في الخارج، حتى أن السعودية احتلت التصنيف الخامس بين أكثر الدول إرسالاً لطلابها إلى الخارج، بحسب بيانات صادرة عن منظمة اليونيسكو عام 2016.

وازداد عدد الطلاب الوافدين من الشرق الأوسط إلى الولايات المتحدة بنسبة تجاوزت ثلاثة أضعاف منذ العام 2000، فيما شهد العام الدراسي 2013–2014 ارتفاعا ملحوظا في أعداد الطلاب القادمين من الشرق الأوسط بنسبة تجاوزت 21 بالمئة عن العام السابق، وجاءت معظم الزيادة من طلاب سلطنة عمان في المقام الأول، ثم طلاب الكويت، تلاها العراق وسوريا والإمارات العربية المتحدة، بحسب ما ذكره مسؤولون بمعهد التعليم الدولي.

وبدا ارتفاع نسب الطلاب العرب المهاجرين لبلدان أوروبية والولايات المتحدة الأميركية وكندا، ظاهرة تثير الجدل، حول أسباب هجرة الشباب والاغتراب بحثا عن تعليم أجنبي مختلف عن كل ما درسوه لفترات طويلة.

ورغم حجم الإقبال على الدراسة في الخارج إلا أن الطلاب القادمين من دول نامية يصابون بالصدمة جرّاء الاختلاف الكبير في طريقة ومنهاج التدريس في الجامعات الغربية.

نظام مختلف بالكامل

اجتمع طلاب الصف الأول لمادة أخلاقيات الإعلام وسبل تنفيذها بكلية الإعلام والصحافة بجامعة وستمنستر البريطانية، الجميع بدا متوترا في المحاضرة الأخيرة للمادة والتي سيخرج فيها الأستاذ الجامعي معلنا عن موعد امتحان نهاية العام والكتب المقررة للامتحان. أنهى الأستاذ محاضرته شاكرا طلابه خاتما حديثا بأنه لا يوجد امتحان للمادة. وقال "اذهبوا إلى مكتبة الجامعة، واكتبوا لي مقالا عما تعلمتوه طوال العام معتمدين على مصادر موثقة، هذا يكفي كي أعلم لأي درجة فهمتم المادة".

أمجد ساهر، كان أحد الطلاب المصدومين بالاختلاف في عامهم الأول، عندما بدأ دراسته في الخارج للمرة الأولي فور إتمامه شهادة الثانوية العامة المعقّدة في مصر، والتي تعتمد بالأساس على امتحانات نهاية العام لتحدد مصير ومستقبل مئات الآلاف من الطلبة كل عام.

ويقول في تصريح لـ"العرب" رأيهم، "التعليم في أوروبا لا يمكن مقارنته بنظيره في البلاد العربية، فالنظام بالكامل مختلف، بداية من طريقة شرح المادة مرورا بتعليمها ونوعية الاختبارات فيها".

ويضيف "تعلّمت في الخارج أن الامتحانات ليست أهم شيء في حياة الطالب، وعرفت قيمة المكتبة، وكيفية عمل بحث علمي موثّق والتفكير في كافة القضايا بشكل نقديّ، كل ذلك لم أجده طوال سنوات دراستي في جامعة القاهرة، فكل ما تعلّمته أن الامتحان هو الحاكم وحده والحفظ أساس المذاكرة".

ويتفق الطلاب حول الفرق الهائل بين المنظومة التعليمية الغربية وعمّا يوجد في البلدان العربية، لكن الكثير منهم اختلفوا في أسباب أخرى دفعتهم لترك بلدانهم والذهاب إلى الخارج. ويبدو الاستقلال عاملا أساسيا من منظور الشباب الطالبين للعلم.

تقول آثار عزالدين، شابة مصرية، أنهت دراستها في كلية تربية قسم لغة إنكليزية بجامعة طنطا (شمال القاهرة)، إن ما دفعها لفكرة الدراسة في الخارج هو طموحها في رفع مستواها العلمي والحصول على وظيفة في الخارج، فحصلت على منحة دراسية مجانية في جامعة فالدوستا الأميركية عن طريق أحد المواقع الإلكترونية المختصة في هذا الشأن.

تقول آثار إن المنحة أضافت لها الكثير على مختلف المستويات سواء العلمي أو المهني أو حتى الشخصي، لكن أكثر ما مثل فرقا ضخما لها كان التطور الشخصي.

وتوضح لـ"العرب"، أن ذلك يعود إلى أنها فتاة شرقية لم تعتد الإقامة والعيش في دولة أجنبية بمفردها، لذلك أضافت لها تلك التجربة المزيد من الثقة والاعتماد على النفس، والتدرب على حسن التصرف في المواقف الصعبة التي يفرضها الاغتراب، كما أن السفر منحها فرصة الاطلاع على ثقافة شعب بعيدة عن الثقافة التي نشأت فيها، وهو ما كان له أثر بالغ في توسيع مداركها.

ويمثّل عامل السفر والاطلاع على الثقافات الأخرى، سببا آخر للكثير من الطلاب العرب للبحث عن منح تدعمهم للتعلم بالخارج. التعليم ليس مقترنا فقط بالقراءة في الكتب وحضور المحاضرات، لكنه جزء متأصّل بالاعتماد على النفس، وتعلم كيفية دعم الذات على مستويات مختلفة.

يبدو عامل الاستقلالية مثاليا للعرب، بالتحديد الذين يختلفون بشدة عن غيرهم، فيعيش الشاب العربي في بيت أسرته حتى زواجه، ولا يعرف كيف يؤدي المهام المعيشية اليومية، على خلاف الشاب الغربي الذي يستقل عن بيت أسرته تماما مع بلوغ سن السادسة عشر، ليبدأ رحلة صعبة في العمل والاعتماد على النفس.

ويخلق خروج الشباب واستقلاليتهم لهم فرصا أفضل للتعلم والاحتكاك، بداية من تعلم الطبخ وحتى إعداد الرسالة العلمية.

وأشارت آثار إلى أن "العيش بمفردها لا يخلو من الصعوبات، من مواجهة الحياة في بلد غريب، مرورا باصطدام الثقافة والطباع مع بعض زملاء الدراسة الوافدين من مختلف أنحاء العالم، ما كان يضعني في مضايقات وسخرية من البعض، ومع الوقت نجحت في تكوين صداقات قوية واجتزت هذه الصعوبة".

وأكدت أنها عقب عودتها إلى بلدها، ارتفع سقف طموحها بشكل ملحوظ، حتى أنها حاولت السفر مرة أخرى لإعداد رسالة علمية أخرى، لأنها شعرت هناك بنتيجة ما بذلته من مجهود في الدراسة والعمل.

بوابة الهجرة

يمثّل حسين علي، شاب سوداني درس الحقوق، عيّنة أخرى من الشباب الطامحين للدراسة بالخارج، فهو لا يضع العلم كهدف أساسي، لكنه يراه وسيلة مثلى للهروب من واقع بلاده المؤلم.

ويرى علي وآخرون، أن الهجرة هي الحل الأفضل للبحث عن فرصة عمل حقيقية لتوفير حياة آمنة وفرصة أفضل للنجاح وتحقيق الطموح. لكن في ظل باب الهجرة المغلق أمام الجميع، بدا باب التعليم في الخارج الطريق الأسلم والأكثر شرعية لدخول البلاد المتقدمة والبحث من خلالها على وظيفة هناك.

نجح علي في ذلك بعد أن استمر في مراسلة المئات من الجامعات، وحصل على منحة ماجستير في جامعة آيندهوفن في هولندا، ثم على وظيفة محكم دولي في أحد مكاتب المحاماة الكبيرة هناك.

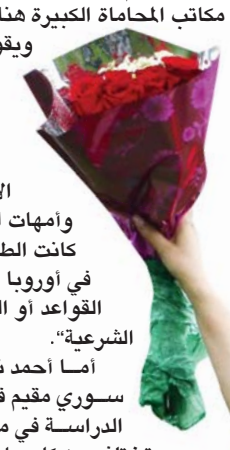

ويقول علي لـ"العرب"، "تعلّمت طرقا تعليمية جديدة خلال دراستي وأيقنت قيمة الأبحاث والدراسات وأمهات الكتب، والأهم أنها كانت الطريق الممهد للإقامة في أوروبا دون حاجة لمخالفة القواعد أو اللجوء للهجرة غير الشرعية".

أما أحمد نحاس، فهو شاب سوري مقيم في روسيا، اختار الدراسة في موسكو، لأسباب تختلف عن كل سابقيه، فهو لم يرغب في الهجرة ولم يبحث عن تعليم أفضل، وأجبر عليها بسبب عدم حصوله على معدل درجات كاف في دراسته الثانوية في سوريا، مما دفعه للسفر إلى روسيا للسعي وراء حلمه في دراسة الهندسة المدنية.

ويشير نحاس، إلى أنه سعيد بتجربة الدراسة والإقامة في روسيا، لأنها أضافت له الكثير من حيث إتقان لغة أجنبية جديدة، واكتساب أصدقاء جدد، وتغيير بعض المفاهيم، ما زاده مرونة في شخصيته، فضلا عن الحصول على شهادة معترف بها دوليا من جامعة "مادي" الروسية، لكن هذا لا ينفي مواجهته لبعض الصعوبات في بداية فترة إقامته، مثل تعلم اللغة الروسية والحصول على مكان للإقامة.

ويرى نحاس، أن سرّ إعجابه بنظام التعليم الروسي يكمن في سلاسة المناهج، وكثافة الدروس العملية والتطبيقية خلال عملية الدراسة النظرية وبعدها سهولة التواصل مع أساتذة الجامعة وإتاحة إمكانية طرح الأسئلة عليهم عند الحاجة، الأمر الذي يقابل فيه الطلاب صعوبة في الجامعات العربية.

وتلعب الظروف المضطربة التي تعيشها البلدان العربية، من فوضى وحروب وإرهاب، دورا كبيرا في دفع الشباب العربي للهروب بشتى الطرق وعبر كافة الوسائل إلى أوروبا والولايات المتحدة، وحمل الكثير من الطلاب العراقيين والسوريين تلك الأسباب في جعبتهم عند سؤالهم عن أسباب الدراسة بالخارج.

ويرى طلاب كثر أن الحياة الراقية واحترام الحقوق والعيش في مجتمع متحضّر ونظيف كل تلك الأسباب كافية لأن تجعل قرار الدراسة بالخارج سهلا ومحسوما، وأضيف إلى ذلك مؤخرا تدهور مستوى التعليم إلى أدنى المستويات.

ويقول عادل السباعي، خبير تربوي ومراجع لدى هيئة ضمان جودة واعتماد التعليم قبل الجامعي في مصر، إن أبرز دوافع الشباب العربي للدراسة في الخارج تتمحور حول الشعور بالحاجة لتنوع مصادر المعرفة العلمية والثقافية، فضلا عن حاجة بعضهم للتخلّص من الضغوط المجتمعية بعد التخرّج، سواء من الأهل أو من نظرة المجتمع بشكل عام، إن لم يعثر على فرصة العمل المناسبة.

مؤسسات علمية

تابع السباعي، أن تلك النظرة السلبية للخريج العربي في مجتمعه تتحول من النقيض إلى النقيض عند عودته إلى بلاده بشهادة من إحدى الجامعات ذات الترتيب العالمي، في تخصصات قد تكون نادرة في العالم العربي أو تخصصات موجودة بالفعل، لكنها لا تزال حديثة العهد لدى العرب، وتفتح فرص العمل بشكل أكبر، ناهيك عن مميزات مثل تعلم لغة جديدة ومتعة السفر التي يسعى لها الإنسان في سن الشباب.

وأرجع في تصريحات لـ"العرب"، أسباب وجود فارق شاسع بين الترتيب العالمي لمعظم الجامعات العربية وغيرها في أوروبا وأميركا، إلى تخصيص ميزانية ضخمة للتعليم في الدول المتقدمة، والتي يذهب جزء لا بأس به إلى رعاية البحث العلمي والباحثين، وإن كانوا وافدين من الدول النامية، وهو ما أثبتته تجربة الكثير من هذه الدول، وأن الاهتمام بالتعليم والبحث العلمي قاطرة تنمية حضارية لشعوبها، واستفادت هذه الدول من ثورة تكنولوجيا الاتصالات في تناقل المعلومات والخبرات في ما بين جامعاتها.

وينوّه البعض من الخبراء بضرورة أن تقوم المؤسسات التعليمية العربية بزيادة تنظيم المؤتمرات العلمية للوقوف على أحدث الأساليب والنظم في التعلم، كوسيلة لجذب الشباب، كذلك يحتاج التعليم العربي إلى إصلاح منظومته الإدارية وعلى وجه الخصوص طريقها لتقديم والتنسيق والقبول في الجامعات والامتحانات.

كما ينبغي اختيار المناهج الدراسية القريبة من عقل وتفكير الشباب، بعد أخذ رأي المعلمين الذين يحتكون بالطلاب بصورة مباشرة، لا من خلال أفراد بعيدين عن تدريس هذه المناهج على أرض الواقع، وبذلك يمكن تجنّب أن تكون المناهج موضوعة لقياس الحفظ والتذكر بل قائمة على نظام التقييم والمتابعة المستمرة.

ويوضح السباعي، أن التعليم ينبغي أن يكون في بلادنا العربية أسلوب حياة، لأن هذا ما صنع الفارق بيننا وبين الغرب، الذي رفع من قدر العلم والمعلم فكانت النتيجة واضحة برفع قدر تلك المجتمعات ككل.

ما يضطر البعض من المهاجرين غير الشرعيين لركوب قوارب الموت، لا يقل خطورة عن دوافع هروب الكثير من الشباب والعلماء من أوطانهم، بحثا عن أرض جديدة تقدّر مواهبهم وتمنحهم المزيد في كل شيء، لكن إن كان المهاجرون غير الشرعيين يغامرون بحياتهم هم فقط، فإن الموهوبين يغامرون بحياة أوطان قد تستيقظ يوما ما لتكتشف أن مصدر قوتها الناعمة والأساسية أصبح في خدمة مجتمعات أخرى.

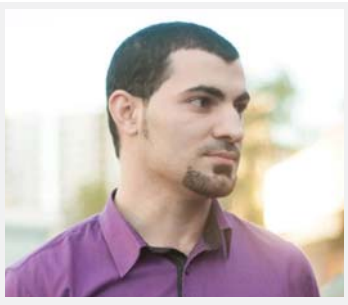

أحمد نحاس:

سهولة التواصل مع أساتذة الجامعة وإمكانية طرح الأسئلة عليهم، غير متاحين للطلاب في الجامعات العربية

آثار عزالدين:

السفر يمنح فرصة الاطلاع على ثقافة بعيدة عن الثقافة التي نشأت فيها، وهو ما له أثر بالغ في توسيع المدارك

عادل السباعي:

النظرة السلبية للخريج العربي في مجتمعه تتحول من النقيض إلى النقيض عند عودته من جامعة غربية

تاء التأنيث ما زالت تفصل مهن النساء عن الرجال في الجزائر

الموروث الاجتماعي يعيق التحاق المرأة ببعض المهن والحرف

المجتمع الجزائري يرفض تقلد المرأة مناصب صنفت على أنها ذكورية، ما يجعل الحضور النسوي مرتكزا على مهن تقليدية، ويجبر الكثيرات على حصر طموحاتهن في مجالات التعليم والزراعة والحرف اليدوية، في حين يسيطر الرجال على القطاعات الصناعية الكبرى وريادة الأعمال، أما النساء اللاتي يتمكن من كسر الحضر الذكوري والوصول إلى مناصب هامة في الدولة، فحضورهن يكاد يكون رمزيا، أو تقف خلفه مآرب سياسية، أكثر مما هو تتويج لقدراتهن وكفاءاتهن المهنية.

صابر بليدي
كاتب جزائري

مجتمع يرفض عمل المرأة بمناصب صنع القرار ويزج بها في أعمال ذكورية

❑ **الجزائر** – رغم اختراق المرأة الجزائرية لبعض المهن التي ظلت حكرا على الرجل طيلة العقود الماضية، إلا أن حضورها يبقى رمزيا ولا يكفي إلا للتسويق السياسي ومضامين التقارير المختصة، فالإرادة السياسية لسلطات البلاد في فتح جميع الأبواب أمام المرأة، لا تزال تصطدم بسلطة اجتماعية ترفض إلى الآن عمل المرأة في الليل أو في سلكي الجيش والأمن أو ممارسة بعض الحرف الخشنة كالميكانيك والنجارة.

رفض قطعي تعقبه حسرة

تتحسر آمنة رنان، التي تخرجت منذ سنوات من الجامعة، على رفض أهلها فكرة انتسابها إلى سلكي الشرطة والجمارك، رغم الفرص التي أتيحت لها، ورغم حاجتها الماسة إلى عمل لمساعدة أسرتها على النفقات اليومية، وذلك بسبب أفكار وأحكام نمطية لدى والديها عن المرأة العاملة في القطاعين المذكورين.

> الجزائري لا يزال يرفض انتساب زوجته لمهن يعتقد أنها محل ريبة، فالأعراف تصنف العاملة في بعض القطاعات في خانة الاسترجال

وذكرت رنان (28 عاما) في حديثها لـ"العرب" أن "المجتمع الجزائري خاصة في ما يعرف بالمناطق المحافظة (الداخلية والريفية)، لا يزال ينظر بعين مغمضة للمرأة العاملة في بعض القطاعات والحرف، بسبب أفكار وأحكام نمطية، تعتبر انتساب البنت إلى سلكي الأمن والجيش أو العمل في الليل، هو تمرد على التقاليد والأعراف المتوارثة".

وأضافت "هناك اعتقاد راسخ لدى معظم العائلات الجزائرية بأن عمل المرأة لا بد أن يتواءم مع طبيعتها ومجتمعها وتقاليدها، فهي حسبهم يمكن أن تكون في التعليم والإدارة والصحة.. مثلا، ووفق دوام معين، ولا يمكن بأي حال الانتساب لغير ذلك مهما كانت الفتاة محافظة على شرفها وأخلاقها، ورغم الوضع الاجتماعي للعائلة المتواضع، وحاجتي إلى عمل لتأمين مستقبلي، إلا أنني فشلت في إقناع والدي بالانتساب لمهنة الجمارك أو الأمن".

وتابعت "هناك بعض المهن والحرف لا تزال حكرا على الرجل، ولا تتواجد فيها المرأة إلا بشكل محدود رغم قدرتها على أدائها بكل امتياز، وتبقى النظرة الاجتماعية هي العائق الأول في المشكلة، فكل امرأة تشتغل في الليل أو تنتمي إلى قطاع نظامي، هي امرأة متمردة و'مسترجلة'، ولا تصلح لبناء أسرة بحسب تلك الأحكام".

وترى فاطمة بوبكري، أستاذة علم الاجتماع، أن "عمل المرأة في الجزائر لا يزال يحتكم للتقاليد ولاعتبارات اجتماعية، أكثر من احتكامه لتكافؤ الفرص والقدرة على الأداء والكفاءة والإبداع، وهو ما جعل نسبة المرأة العاملة في البلاد دون المستوى المأمول مقارنة بالتعداد الكلي للنساء الجزائريات، فهي لا تتعدى حدود 20 بالمئة".

ولفتت بوبكري في حديثها لـ"العرب" إلى أن "الظروف الاجتماعية وتعقد الحياة المعيشية في العقود الأخيرة، دفعا باتجاه إقبال المرأة الجزائرية على العمل، وعلى الاختراق التدريجي لبعض القطاعات والمهن، مستفيدة في ذلك من الإرادة السياسية لقيادة البلاد، فصرنا نراها سائقة تاكسي وقطار وفي الأسلاك النظامية، إلا أن ذلك يبقى استثنائيا رغم الترويج المتعمد له من طرف دوائر سياسية".

تمرد واسترجال

لا يزال الرجل الجزائري يرفض في غالب الأحيان انتساب زوجته أو أخته أو أمه لقطاعات ومهن يعتقد أنها محل ريبة وسبب من أسباب الإيماءات المبيتة في الحي والقرية، فالتقاليد والأعراف لا تزال تفرض منطقها، وتصنف المرأة العاملة في بعض المهن والقطاعات في خانة التمرد والاسترجال وجلب العار لأهلها.

وشدد عبدالنور (30 عاما)، موظف في شركة اقتصادية، على رفض مبدأ عمل المرأة بدعوى التفرغ لشؤون البيت وتربية الأولاد، والسهر على رعايتهم ومساعدتهم في تعليمهم، لأن خروج المرأة للعمل أصلا سبب عدة مشاكل للمجتمع، حيث استشرت مختلف المظاهر السلبية في الشارع وتراجعت قيمة الأخلاق والقيم، بسبب التزامات الأب والأم في الشغل وإهمال الأبناء.

وقال لـ"العرب"، "لا توجد امرأة عاملة تستطيع التوفيق بين التزاماتها العملية والأسرية، والأبناء هم الذين يدفعون الثمن، فمهما كان دور دُور الحضانة إلا أنه لا يعوض مهمة الأم في البيت.. هذا في الحالات العادية، فكيف يكون الوضع بالنسبة للمرأة التي تشتغل في الليل أو تداوم بشكل نظامي ومنضبط؟".

ويرجع المعارضون لعمل المرأة في بعض المناصب رفضهم إلى ما يرونه "احترام طبيعة وأنوثة المرأة التي لا تتواءم مع بعض المهن والحرف، وتقديس دورها في المجتمع، وليس لخلفيات أخرى"، وهو ما لا يقنع ضحايا المجتمع من النساء اللائي يملكن مؤهلات وكفاءات كبيرة في بعض المجالات، إلا أن نظرة المجتمع والأعراف لا تزال تحول دون تموقعهن اللازم في تلك القطاعات".

وأضاف عبدالنور "لا أتصور أن أرى زوجتي أو أختي في ورشة ميكانيك أو سباكة.. الأمر يتنافى مع طبيعتها ليس لأنها زوجتي أو أختي، بل لأن رقة المرأة وأنوثتها لا تحتملان تلك المشاهد، ولكل مجتمع أحكامه ومعاييره، ونحن جزء من هذا المجتمع".

وعلى النقيض ترى منى (ضابطة شرطة رفضت الكشف عن هويتها)، أن السبب في الحضور المحتشم للمرأة الجزائرية في بعض القطاعات المهنية والحرف، عائد إلى التراكمات الاجتماعية والمفاهيم الخاطئة عن الأخلاق والشرف، وإلى التوظيف السيء للقيم والدين، لأن الانحراف موجود في كل مكان، حتى داخل البيوت وليس في أماكن العمل فقط، والعفة أيضا موجودة في كل مكان كذلك.

وتذكر أنها "تحظى بكل الاحترام والتقدير من طرف زملائها الرجال في العمل، حتى خلال مداوماتها الليلية، وأن التزامها بعملها وشخصيتها أحاطاها بوقار لدى محيطها المهني والعائلي، خاصة مع ميولها الشعبية والاجتماعية، مما ساهم في كسر حواجز كانت تشعر بها خلال بداية مسارها العملي".

حجب التراكمات الاجتماعية

مع اختلاف الوضع بين الحواضر والأرياف حسب الذهنيات الاجتماعية، حيث يسهل اختراق المهن الرجالية من طرف المرأة في المدن الكبرى، وتصعب في المناطق الداخلية والأرياف، تأتي الزراعة على رأس المهن التي تمارسها المرأة هناك رغم طابعها الخشن، حيث تظهر بكل أريحية في الحقول والبساتين وفي مواسم جني المحاصيل، جنبا إلى جنب مع الرجل وحتى احتكارها أحيانا في بعض المناطق، كما هو الشأن في منطقة القبائل.

وهو ما يؤكد أن ذرائع حماية خصوصيات وأنوثة المرأة في بعض المواقع المهنية، هي شعارات من أجل حجب نفوذ التراكمات الاجتماعية، فالمهن الزراعية تمارس بشكل واسع في الجزائر من طرف المرأة، رغم خصوصيتها المميزة، ودون حرج من الرجل الجزائري الذي يشاركها المهنة ويتركها لها وحدها في الكثير من الأحيان.

ويرى ناشطون اجتماعيون أن إقرار السلطات الجزائرية تخصيص حصة الثلث للمرأة في المناصب النيابية والسياسية، بقدر ما هو اعتراف بدور المرأة الجزائرية في المجتمع، وخطوة للارتقاء بها، بقدر ما هو اعتراف ضمني بأن الرفض لا يزال يطاردها في بعض المواقع، فما يفرضه القانون ليس كما الذي تفرزه القناعات.

ولا تزال العديد من الأصوات السياسية في البلاد، كما هو الشأن لبعض الأحزاب المحافظة والإسلامية، غير مقتنعة بحصة الثلث التي أقرها قانون الانتخابات العام 2012، وتعتبر ذلك تمييعا للمشهد السياسي، بسبب ما تصفه بـ"عزوف المرأة الجزائرية عن الممارسة السياسية والحزبية، وتفضيلها لمنصب العمل والبيت على حساب النضال".

وهو ما يتنافى مع ما حققته في الميدان حيث أثبتت جدارتها في مختلف المجالات المهنية، بما فيها الانخراط في سلك ومدارس الجيش، رغم أن الرتب السامية لا تزال حصرية على الرجل، ويقتصر وجودها على حضور رمزي لأهداف سياسية، أكثر مما هو تتويج لقدراتها وكفاءاتها المهنية.

طموح الجزائريات في الوصول إلى مناصب عليا خاضع لمزاج المجتمع

❑ يعكس ارتفاع نسبة البطالة في صفوف الجزائريات وخاصة من خريجي الجامعات والمتعلمات تناقض المجتمع الجزائري الذي وإن آمن بتعليم المرأة، إلا أنه لم يفسح أمامها المجال لأخذ نصيبها من سوق الشغل ولم يتخل عن الأفكار التي تكرس اللامساواة بينها وبين الرجل في العمل.

ويرجح علماء الاجتماع أن أهم أسباب هذا التمييز ضد المرأة راجع إلى وضعيتها القانونية في الدستور الجزائري، حيث خيّم قانون الأسرة ومكانتها داخل المجتمع لمدة طويلة على قضايا حقوق المرأة.

إلا أن هذا القمع لطموحات الجزائريات المهنية لم يمنع ظهور نساء خلد أسماءهن التاريخ ورفعن علم الجزائر في المحافل المحلية والإقليمية والعالمية.

والأسماء عديدة، من بينها الروائية آسيا جبار، وهي الشخصية العربية الأولى التي دخلت الأكاديمية الفرنسية كروائية جزائرية تكتب باللغة الفرنسية، وقد ورد اسمها في لائحة المرشحين لجائزة نوبل، وهناك لويزة حنون، وهي أول امرأة عربية تترأس حزبا سياسيا، وقد تمّ إدراج سيرتها في الطبعة الثلاثين من الموسوعة الأميركية "هوز هو عبر العالم" التي تضم السير الذاتية لأشهر الشخصيات العالمية في مجالات عدّة.

ولاقت الكاتبة والأديبة أحلام مستغانمي شهرة عربية واسعة، علما وأنها حائزة على جائزة نجيب محفوظ 1998 عن روايتها "ذاكرة الجسد".

وكانت اللاعبة حسيبة بولمرقة، أول امرأة عربية تفوز بلقب عالمي عندما حققت المركز الأول في سباق 1500م بمدينة طوكيو في اليابان في ألعاب القوى عام 1991. كما لا تخلو قوائم مناضلي الجزائر على مر السنين من أسماء نسائية تركت بصمة عميقة في تاريخ الجزائريين النضالي.

وعلى الرغم من نقص التمثيل النسائي في البرلمان الجزائري، إلا أن الجزائر كانت أول بلد عربي تتخطى فيه نسبة مشاركة المرأة في الحياة السياسية 30 بالمئة، وهو ما وصفه التقرير السنوي الصادر عن الاتحاد البرلماني الدولي لسنة 2012 بـ"الإنجاز المهم"، بالإضافة إلى أن الجزائر تحتل المرتبة 126 من حيث مشاركة المرأة السياسية، فالمجتمع الجزائري ومن خلال الدستور ولا سيما المادة 31 منه، يعطي اهتماما كبيرا لمشاركة المرأة في السياسة.

لكن نسبة العاملات الجزائريات البالغة حوالي الـ20 بالمئة من مجموع عدد السكان الناشطين؛ أغلبهن يشغلن وظائف في مجال التعليم والصحة والقضاء. ومع ذلك يبدو المشوار مازال طويلا أمام الجزائريات ليتخلصن مما اقترن بجنسهن من صور نمطية تحصر حضورهن في مهن ذات صلة بالدور التقليدي للمرأة، وتبعدهن عن وظائف مثل السياسة والاقتصاد.

ولا تكاد المرأة الجزائرية تختلف عن نظيرتها في المغرب العربي، فحضورها في الحياة السياسية لا مجال لمقارنته بالحضور الرجالي في المناصب العليا في الدولة وفي الأحزاب السياسية وفي المقاعد البرلمانية وغيرها، حيث لا تكلف النساء إلا بحقائب وزارية تنحصر في الثقافة أو التضامن أو الشؤون الاجتماعية أو التعليم، أما الحقائب الأهم مثل رئاسة الوزراء أو وزارة الداخلية أو الخارجية فإنها حكر على العنصر الرجالي.

وغالبا ما يتم التفويت في الحقائب الوزارية المتعلقة بالثقافة والأسرة والتعليم والسياحة وغيرها من المناصب الشكلية، مقارنة بمراكز صنع القرار، للعنصر النسائي بشكل ممنهج يهدف إلى الظهور أمام الرأي العام المحلي والأجنبي بمظهر الانفتاح وإشراك أحد قطبي المجتمع في حياة سياسية مشروطة ومحدودة.

وعلى هذا النحو يبقى تفعيل النصوص القانونية الضامنة لحق المرأة في المساواة من قبيل الخطاب النظري والوعود.

الافتتان بين الزوجين ليس حالة طويلة الأمد

العاطفة وحدها لا تحصّن العلاقة الزوجية من الانهيار

الحياة الزوجية ليست مجرّد مشروع أو اتفاق أو تقاليد نعايشها، ولذلك لا بد من الحرص في اختيار الشريك والتفاهم معه ووضع الخطط المستقبلية التي تضمن حياة آمنة يستطيع فيها الزوجان أن يعيشا في سلام دائم لتربية الأطفال في بيئة صحية تتميز بالعطاء والاحترام والتقدير.

سلمى جمال

❏ أكدت دراسة أميركية حديثة أن المودة الثابتة والمتزايدة بين الزوجين تعد مفتاح الزواج الناجح ومهمّة جدا لتأسيس رابطة زوجية مستقرة، مشيرة إلى أن الأزواج الذين يتبادلون المشاعر الجياشة من البداية، أي الذين يظهرون مستويات غير مفهومة من العاطفة، هم الأكثر عرضة للطلاق. وشملت الدراسة المنشورة في مجلة الشخصية والنفسية الاجتماعية 168 من الأزواج مدة 13 عاما لاكتشاف الإشارات التي تتنبأ بالطلاق، وما يشير إلى وجود زواج صحّي طويل الأمد.

وقال المشرفون على الدراسة "تبيّن أن المتزوجين الذين تطلقوا بعد 7 سنوات أو أكثر من الزواج، يشعرون بعاطفة كبيرة ويظهرون فائضا من المودة في البداية".

وأوضحت عالمة النفس مادلين ماسون رانتري قائلة "إذا فكرت في الأمر، فقد تراه منطقيا جدا. ويذهب البعض إلى أبعد الحدود في العلاقة الرومانسية، وبالتالي فإن مصطلح الحب الأعمى أو ما يعرف بالافتتان، ليس حالة طويلة الأمد. وبمجرد أن يختفي ذلك، يجب على المرء أن ينظر إلى ما تبقى بين الشخصين، وإذا لم تكن هناك رابطة أخرى غير العاطفة، فمن المرجح أن تنهار العلاقة".

> المودة المتبادلة بين الأزواج ليست علامة سيئة دائما، حيث تؤثر على العلاقة الزوجية فقط عندما تكون قوة المشاعر غير صحيحة

وأوضح معدو الدراسة أن الرغبة في التحرر من هذا الوهم تؤدي في نهاية المطاف إلى الطلاق، ولكن هناك استثناءات للقاعدة، خاصة في ما يتعلق بالعواطف المتبادلة يوم الزفاف، لذا يمكن القول إن المودة المتبادلة بين الأزواج ليست علامة سيئة دائما، حيث تؤثر على العلاقة الزوجية فقط عندما تكون قوة المشاعر غير صحيحة. كما توجد علامات إضافية على الطلاق، تتمثل في عدم بذل الجهد لنجاح العلاقة وغياب التقدير والاحترام المتبادل.

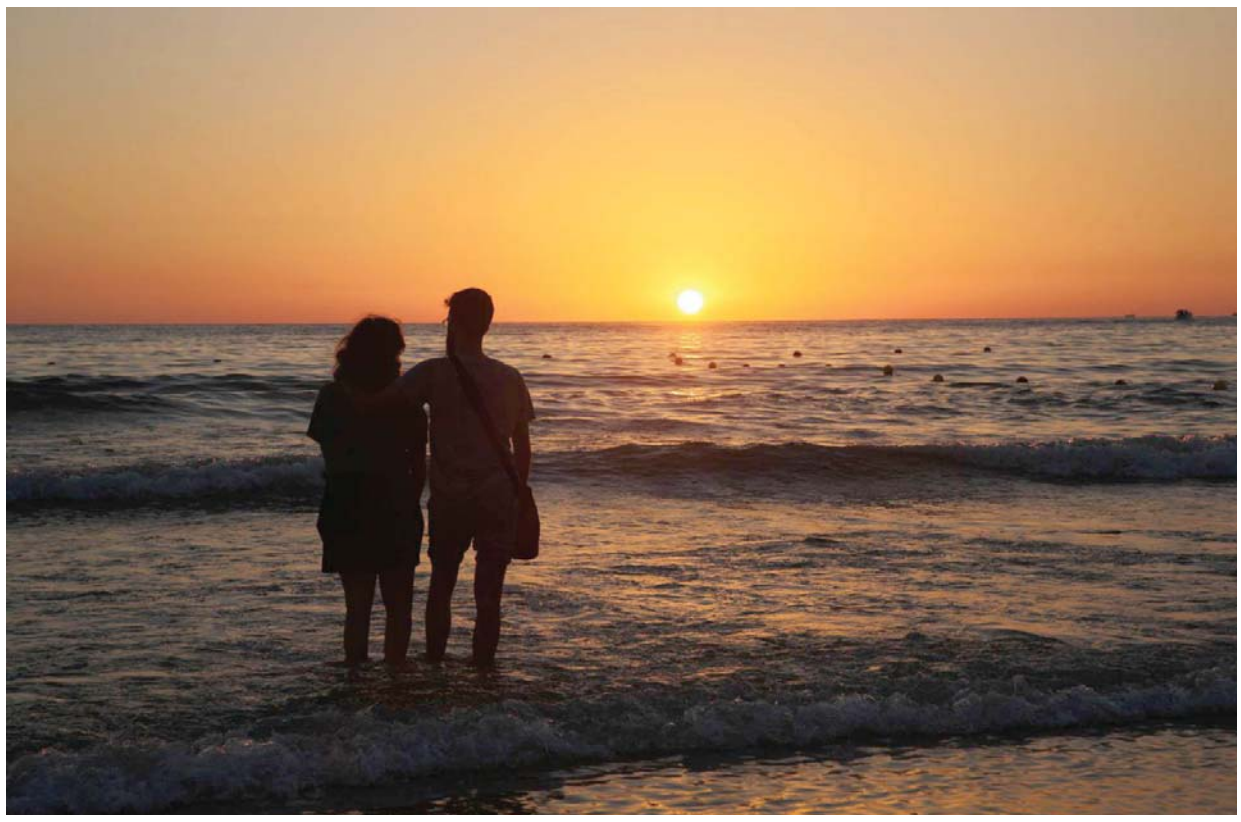

بحث عن حياة زوجية آمنة

ومن جانبها تطرقت أمل فهمي، أستاذ الأمراض النفسية بجامعة القاهرة، إلى أهمية الجانب الجنسي لنجاح العلاقة الزوجية، وتقدمت بنصيحة للزوجين في العام الأول للزواج بأن يكونا على علم باختلافهما الجسماني والنفسي وأنه يستلزم بعض الوقت كي يحدث تناغم بينهما في لقاءاتهما الحميمية.

ويجب على الزوج أن يدرك أن لزوجته حقوقا، وأن لها رغبة تريد أن تشبعها مثله، أما الزوجة فيجب أن تتخلص من سلبيتها المعهودة في لقاءاتها الجنسية مع زوجها، وأن تشارك فيها.

كما تنصح فهمي أي زوجين خصوصا في عامهما الأول بأن يقيّما كل لقاء يتم بينهما وأن يتحدثا معا بصراحة ودون خجل عن السلبيات والإيجابيات التي تحدث أثناء المعاشرة كي يصلا إلى صيغ تفاهم حول الأمور المحببة إلى كل منهما كي يتمسكا بها ويتجنبا بعض السلوكيات المنفرة التي قد تسبب لهما الإزعاج أو الضيق.

وتضيف فهمي أن العلاقة الحميمة هي علاقة توحد والعطاء فيها يؤتي ثماره بشكل مباشر، وأن نجاح بين الزوجين في خلق حوار للوصول إلى قمة الإشباع الجنسي هو الطريق لحياة زوجية سعيدة، بالتفاهم الجنسي الذي يخلق تفاهما في شتى أمور الحياة الأخرى، أما الفشل في هذه الناحية فهو يخيّم بالضرورة على حياة الزوجين.

وأكدت أنه لا مانع من أن يبحث الزوجان معا في حالة افتقادهما للثقافة الجنسية عن مصادر لهذه الثقافة سواء بالاستشارة الطبية أو من خلال الكتب العملية التي تناقش العلاقة بين الزوجين، كما أنه من الأمور الحتمية الآن أن يدرك كل طرف الطبيعة البيولوجية للطرف الآخر ويعرف كل ما هو ممكن عن الجهاز التناسلي للآخر، وهي أمور لا حرج فيها بين الأزواج.

ويقول سعيد البدري، أستاذ أمراض النساء، "يجب على الزوج أن يفهم طبيعة زوجته، ونظام الدورة الشهرية لديها والآثار الجانبية التي قد تحدث لها أثناء هذه الفترة، وقد يحدث الحمل في العام الأول مما يتطلب من الزوجين فهم ما يحدث أثناء شهور الحمل وأن يتقاسما المسؤولية لرعاية الجنين، وأن يدركا التغييرات النفسية والبيولوجية التي قد تحدث للزوجة خلال هذه الفترة".

وعن السنة الأولى للزواج يقول فتحي عبدالفضيل، أستاذ علم الاجتماع بجامعة الزقازيق، إنها الفترة المثالية لوضع دستور الحياة الزوجية؛ فبعد أن تنتهي مشاغل الزفاف، وبعد أن يتخلص الطرفان من معاناة وتعب المرحلة السابقة للزواج، ويدركا أنهما قد شكلا معا أسرة جديدة تنضم إلى البنيان الاجتماعي للوطن، يجب أن يتفهما أنهما أسرة واحدة، أي كيان واحد يصح أن يوجد بداخله الاختلاف، لكن لا يصح أن يسير بهما الركب في ظل اختلاف الاتجاهات.

وأشار إلى أن العام الأول للزواج هو فرصتهما الذهبية لإذابة هذه الاختلافات الطبيعية للتوحد، ورؤيتهما لأمور الحياة المختلفة، مقدما نصيحة للزوجين بأن يتفهما فلسفة العمل الجماعي، وهو إحدى أهم أدوات التفاعل الإنساني داخل المجتمعات، وهناك العديد من الدراسات والأبحاث التي تطرقت لهذا الأسلوب وتطبيقاته على الأسرة.

وتقوم فلسفة العمل الجماعي على انطلاق أفراد العمل في علاقتهم من مسافة الاتفاق ثم جدولة الاختلافات ومناقشتها بأسلوب متحضر، يتيح لكل أطراف العمل حرية إبداء الرأي، ويسمح للمنهج الديمقراطي بأن يطبق داخل إطار جماعة العمل.

ويضيف عبدالفضيل موضحا "إن المنهج الليبرالي القائم على الديمقراطية والحوار هو الأساس الصحيح الذي يجب أن تقوم عليه الأسرة كي يستقيم حالها، ويصلح بها المجتمع كله، ونشأة الأطفال في هذا الجو الليبرالي يقدم لنا مواطنين يدركون إنسانيتهم لا عبيدا مستغلين، ولهذا أنصح كل زوجين وقبل أن تشغلهما دوامات الحياة بأن يبتكرا أسلوبا اجتماعيا لإدارة شؤون حياتهما، أي أسلوب مرن قابل للتطور مع مرور الزمن، وأن يلزما أنفسهما على اتباعه".

مطبّات الزيجات الحديثة

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❏ يكاد يكون طرح المواضيع ذات الأبعاد العائلية والاجتماعية موسميًا، وذلك لأهميتها البالغة من ناحية ولارتباطها بأزمنة محدّدة تأصّلت عن طريق التجربة المتكرّرة والتي اتّخذت سمة العرف أو العادة الاجتماعية السائدة.

في الأيام الماضية طُرح موضوع أسري دفع جميع أفراد العائلة إلى المشاركة في الخوض فيه، انتصارا لموقف أو تبريرا أو بحثا عن مخرج للمشكلة المطروحة، وهو وقوع خلاف بين فتاة وفتى مقبلين على الزواج في هذه الصائفة، اختلفا خلافا كاد يعصف بالعلاقة التي تجمعهما وتؤجّل أو ربّما تلغي موعد الزفاف الذي تقرر موعده فعلا.

دون الخوض في تفاصيل الخلاف وحيثياته، تعترض المقبلين على الزواج عدّة مشكلات قد تبدو تافهة بالنسبة للآخرين على اعتبار أن حلها يسيرا أو أن مجرّد طرحها ليس سوى مضيعة للوقت. قد يختلفان في جزئيات بسيطة جدّا من قبيل شكل فستان الفرح، نوع السيارة التي ستنقل العروسين ولونها أو شكلها، مكان قاعة الأفراح التي ستحتضن المدعوّين، المرطبات والمأكولات، حجز الفندق، نوع المجوهرات وثمنها.

هذه المسائل على بساطتها لا تجد طريقها إلى الحل بالسرعة المطلوبة والنجاعة الضرورية، ولذلك سببان أساسيان وهما؛ أولا نقص الخبرة في التعامل السلس مع الآخرين، وثانيا تدخل الأهل والأقارب لفرض الرأي والتأثير في أحدهما لغايات تدخل ضمن الصراع المبكر لعائلتي العروسين لإثبات الذات والسعي إلى السيطرة.

ما ينقص هؤلاء المبتدئين تسلّحهم بما يكفي من المعرفة بخبايا العلاقات الزوجية والتي من المفروض أنهم تلقوها عبر عائلاتهم وأصدقائهم ومعارفهم عموما، وإن لم يحدث ذلك فهو تقصير مزدوج من كلا الطرفين؛ سواء من المقبلين على الزواج أو من محيطهم الأسري والاجتماعي.

وإلى جانب نقص معرفتهم فإنهم -بحكم اندفاعهم وطموحهم ورغبتهم الملحّة في القيادة وإثبات الذات- لا يزنون الأمور بميزان العقل والتروّي وإنما يبحثون دائما عن الصورة التي تجعلهم في الواجهة الأمامية للأحداث، وعند ذلك يرتكبون "الأخطاء العلائقية" والتي قد تسبب توترا إما بين العروسين وإما بين أحدهما وطرف آخر من نفس العائلة أو من عائلة المصاهرة.

مثل هذه المشاحنات التي تقع قبل أو خلال أو بعد مناسبات الأعراس تنتج عن نقص الإحاطة الأسرية والاجتماعية التي من المفروض أن يتلقاها الشباب ذكورا وإناثا، وفي أحيان كثيرة تنعدم هذه الإحاطة أو المرافقة كليا ويُتركون إلى مصائرهم يجابهون أخطاءهم بمفردهم، ويُنظر إلى الأمر من زاويتين مختلفتين بل متناقضتين؛ أولاهما أن على الشباب أن يتحملوا مسؤوليات اختياراتهم بمفردهم لأنهم يجب أن يخطئوا ليتعلموا من أخطائهم، وهي نظرية اجتماعية تقوم على مبدأ "التقييم والتقويم الذاتي".

أما ثانيتهما فتتأسس على الدور الأسري والاجتماعي في الإحاطة والمرافقة إلى حين اكتساب المعرفة الجيدة عبر التجربة، وهذا التوجه -على ما ينعت به من تقليدية- يساهم إلى حدّ بعيد في تماسك الأسر وتوطيد العلاقات بين أفرادها وفق مبدأ التعليم والتعاون والتآلف وشدّ الأزر. ويعتقد البعض أن المساعدة المعنوية أهمّ بكثير من المساعدة المادية لأن الأخيرة ظرفية ومحدودة في الزمان والمكان، أمّا الأولى فهي مفتاح النجاح الأسري في المستقبل.

يحدو المقبلين على الزواج أمل كبير في تجاوز ما يعترضهم من مشكلات تبدو في أغلبها ماديّة نظرا للشروط المجحفة التي تُقام وفقها الزيجات الحديثة، إنه واقع اكتسب سمة المادية فيه انطلاقا من المآلات الاجتماعية والحضارية التي انتهت إليها البشرية في ظل التسارع الرهيب الذي فرضته حركة العولمة التصاعدية. ولكنّ المشكلات ذات الأبعاد النفسية والاجتماعية لا يعيرونها الاهتمام الذي تستحقه للاعتقاد السائد بأنها "بسيطة وتافهة"، يقوم الشبان والشابات بتضخيمها لعدم خبرتهم واندفاعهم غير المبرر، غير عابئين بتأثيراتها السلبية على حاضر ومستقبل علاقاتهم الزوجية.

وإذا كان المقبلون على الزواج مندفعين بفيض شبابهم ونقص خبرتهم، فإن الكبار أيضا يساهمون في خلق المشكلات، إما لأنانيتهم ورفضهم القبول باستقلالية أبنائهم، وإما لضمان سيطرتهم وقيادتهم لمنظوريهم. غير أن الأسئلة المطروحة في هذه المعادلة هي: هل نترك شبابنا يواجهون مطبات حياتهم بمفردهم ليتعلموا من أخطائهم وليكونوا فعلا مسؤولين عن حياتهم الزوجية المستقبلية؟ هل نفرض آراءنا ونسطر لأبنائنا الخيارات الكبرى والصغرى لحياتهم ونتدخل في كل كبيرة وصغيرة، حتى ألوان لباسهم وشكل تسريحات شعورهم وكل تفاصيل زفافهم، ثم نحملهم مسؤولية ما أخطأنا نحن فيه؟

الأفضل والأسلم أن تمثل كل الإجابات الممكنة عن مثل هذه الأسئلة الزخم الحقيقي لهذه المعادلة والتي يجب في نفس الوقت أن نترك المشعل لشبابنا ليعبّروا عن ذواتهم ويترجموا طموحاتهم ونظرتهم للحياة مع إحاطتهم ومرافقتهم بأسلوب سلس متفهّم لأوضاعهم النفسية والمادية، يجب أن نوجّههم عوض أن نفرض عليهم آراءنا وتدخلاتنا اللامشروعة في حياتهم الخاصة، كما علينا مساعدتهم على تجاوز الضغوط المادية المسلطة عليهم، وتعليمهم كيفية بناء العلاقات الزوجية انطلاقا من تجاربنا الناجحة فقط، وبذلك سيسطرون حياتهم المستقبلية بطريقة موضوعية صحيحة.

طبق اليوم

فطيرة التونة مع البازيلاء

* **المقادير:**
- 200 غرام من الدقيق لعجينة الفطيرة.
- 4 أكواب ماء بارد.
- 100 مليلتر حليب سائل.
- 200 غرام من التونة أو عبوة مصفّاة للحشو.
- 125 غراما من البازيلاء المسلوقة.
- حبة بيض.
- 200 مليلتر حليب سائل.
- ملح حسب الرغبة.
- فلفل أسود حسب الرغبة.
- رشّة بابريكا.

* **طريقة الإعداد:**
- لإعداد العجينة ينخل الدقيق في وعاء ثم يصب الماء فوقه، مع خلط العجن باليدين حتى تتشكل العجينة.
- تشكل العجينة على هيئة كرة ثم تغطّى وتترك جانبا لثلاثين دقيقة.
- تفرد العجينة على سطح طاولة منثور بالدقيق حتى تبلغ سمك سنتيمتر تقريبا.
- تنقل العجينة إلى صينية بحجم 35 سنتيمترا حتى يغطى القعر والأطراف عند ترتيبها فيها. وتوضع الصينية في البراد لثلاثين دقيقة.
- يسخن الفرن على حرارة 200 درجة مئوية.
- توخز العجينة في القعر بالشوكة لمرات ثم يوضع ورق الخبز ومجموعة من الحبوب الجافة فوق طبقة العجينة، وذلك حتى لا ترتفع أثناء الخبز. وتخبز في الطبقة العلوية للفرن، لعشر دقائق. ثم ينزع ورق الخبز ومجموعة الحبوب الجافة، وتخبز العجينة مجددا في الرف الشبكي الأوسط من الفرن لعشر دقائق.
- تفرد التونا والبازلاء على العجينة.
- تفقس البيضة في وعاء وتخلط مع الحليب و150 مليلترا من الماء. ثم يصب الخليط فوق التونا والبازلاء. وينثر الملح والفلفل والبابريكا.
- تخبز العجينة في الرف الأوسط من الفرن لفترة تتراوح بين 35 و40 دقيقة، ثم تخرج من الفرن وتترك جانبا. وتقدم دافئة مع السلطة.

موضة

أزياء هاني البحيري تخطف الأنظار

❏ خطفت أزياء مصمم الأزياء المصري هاني البحيري الذي يحظى بشهرة عالمية على مدى يومين متتالين أنظار مشاهير العالم خلال تقديمه لأحدث فساتين المناسبات وفساتين زفاف خريف وشتاء 2019 التي افتتح بها فعاليات "الأورينتال فاشون شو" ضمن أسبوع الموضة الذي أقيم مؤخرا في العاصمة الفرنسية باريس.

واعتمدت أزياء البحيري على التطريز عالي الجودة الذي تم اشتغاله باليد كما تم تطريز الفساتين بالكامل بالكريستال، "السواروفسكي" والخرز .

واستخدم البحيري خامات من أقمشة التفتا كما قدم فساتين مطرزة مع الفرو والقطيفة والورود والفساتين الفضفاضة على غرار موضة القرون الوسطى والأربعينات والخمسينات التي تبرز أناقة وأنوثة المرأة.

يشار إلى أن القائمين على تنظيم أسبوع الموضة الفرنسي قد أسندوا للبحيري منذ الموسم السابق مهمة تقديم عروضه منفردا دون أن يشاركه أي بيت من بيوت الأزياء باعتباره ضمن أبرز مصممي الأزياء العالميين مثل إيلى صعب وشانيل وديور.

وعقب حفل الافتتاح الذي تألق فيه قدم البحيري عرضا آخر في اليوم التالي بمشاركة عدد من بيوت الأزياء العالمية وجيجي لاروز.

نيمار.. من نجم السيليساو إلى رمز للخيبة

لوكاكو يدافع عن النجم البرازيلي ويبرّئه من التمثيل

سيتعين على البرازيل أن تنتظر خليفة بيليه، روماريو، رونالدو ورونالدينيو لأربع سنوات أخرى على الأقل، فنيمار الذي كان يؤمل منه أن يكون النجم المتوج لمنتخب السيليساو وقائده للقب العالمي السادس، فشل في مهمته بعد خروج الفريق من الدور ربع النهائي لكأس العالم في روسيا على يد بلجيكا 2–1.

❏ **قازان (روسيا)** – كان نيمار يرغب في السير على خطى "الملك" بيليه الموهوب الذي أحرز اللقب العالمي ثلاث مرات مع السيليساو، إلاّ أن نيمار (26 عاما) حاليا هو "زيكو القرن الحادي والعشرين"، لاعب متألق فشل في رفع كأس العالم.

وبعد مونديال 2014، عندما اضطر للتخلي عن زملائه في نصف النهائي بسبب إصابة في الظهر، فشل النجم حامل الرقم 10 في نسخة 2018، بعد خروج المنتخب البرازيلي أمام نظيره البلجيكي الجمعة من الدور الربع النهائي بنتيجة 2–1.

الأسوأ أن هذا الفشل يعني أن نيمار، أغلى لاعب في العالم، يكون قد أهدر فرصة نيل الكرة الذهبية لأفضل لاعب عالميا، والتي يهيمن عليها البرتغالي كريستيانو رونالدو والأرجنتيني ليونيل ميسي، وكانت فرصته أكبر هذه السنة بعدما ودع النجمان المونديال من الدور ثمن النهائي.

صفقة قياسية

خلافا لميسي (31 عاما) ورونالدو (33 عاما) سيكون نيمار في المونديال المقبل في الثلاثين من عمره فقط، والأرجح أمام فرصة جديدة للقب.

وفي انتظار ذلك، سيتحسّر نجم باريس سان جرمان الفرنسي على أدائه ضد بلجيكا، حيث بدا غير قادر على مقاومة اللعب البدني الذي فرضه عليه زميله في نادي العاصمة توما مونييه، وفي حين كادت تمريرته لفيليبي كوتينيو بعد توغل بين المدافعين، تثمر هدف التعادل في الدقيقة 86، إلاّ أن نيمار لم يكن بمظهر القادر على إنقاذ منتخب بلاده من خيبة الأمل.

وراهن نيمار على العودة في المونديال، ونجح إلى حد ما. ففي أواخر فبراير الماضي بدا أن حلم البطولة كاد أن يفلت منه، حيث أصيب بكسر في مشط القدم، وأجرى عملية جراحية، وغاب عن ناديه الباريسي ووضع المنتخب نصب عينيه والمونديال، وعاد مطلع يونيو الماضي.

كان الموسم عبارة عن فترات من الصعود والهبوط للبرازيلي. في أغسطس 2017، أصبح أغلى لاعب في التاريخ بانتقاله من برشلونة الإسباني إلى باريس سان جرمان مقابل 222 مليون يورو.

وأراده النادي الباريسي لهدف أساسي هو لقب دوري أبطال أوروبا، إلاّ أنه لم يتمكن من منع إقصائه المبكر من المسابقة القارية في ثمن النهائي أمام ريال مدريد الإسباني، علما وأنه غاب عن مباراة الإياب بسبب الإصابة.

ولدى عودته إلى المنتخب، بدا أن نيمار يبحث عن "الانتقام"، ففي أول مباراة له في أوائل يونيو، سجل نيمار هدفا رائعا في مباراة ودية ضد كرواتيا، استعدادا لكأس العالم انتهت بفوز السيليساو 2–0.

وقال بعدها "مرت ثلاثة أشهر على تعرضي للإصابة، أن أعود وأقوم بما أحب فعله أكثر، ألعب كرة القدم، بالإضافة إلى تسجيل هدف.. هذه فرحة كبيرة".

العزاء الخجول

مع انطلاق المونديال، استعاد نيمار ببطء قمة مستواه، على غرار منتخب بلاده بعدما عانده الحظ في المباراة الأولى أمام سويسرا 1–1، جثا على ركبتيه وبكى بعد هدفه في الوقت بدل الضائع في المباراة الثانية ضد كوستاريكا 2–0، ثم تألق نسبيا ضد صربيا 2–0، قبل أن يفرض نفسه بشكل لافت في الدور ثمن النهائي ضد المكسيك 2– صفر.

وبعد خيبة الأمل أمام بلجيكا، سيحتفظ عالم كرة القدم من مغامرة نيمار الروسية بمبالغته في السقوط أرضا عند كل احتكاك وتصنّع آلام على أرض الملعب في غالبية الأحيان، حتى أن القناة السويسرية "آر. تي.أس" أوضحت أن نيمار أضاع 14 دقيقة ببقائه على الأرض خلال المباريات الأربع الأولى التي خاضها في روسيا.

ومع ذلك، دافع عنه المهاجم البلجيكي روميلو لوكاكو قائلا "بالنسبة إلي، ليس ممثلا، يلعب مع منافسين أشداء جدا.. نيمار في المستقبل سيكون أفضل لاعب كرة قدم في العالم".

ولكن في هذه اللعبة، المستقبل غالبا ما يقترن بالحاضر، وحان الوقت بالفعل لإجراء تقييم، يتضمن بالتأكيد الكثير من المحطات المضيئة، لكنه على العموم محبط على الصعيد الدولي.

وإذا كان نيمار جزءا من إحراز البرازيل لقب كأس القارات 2013، فقد فشل في تجنب الإقصاء من ربع نهائي كوبا أميركا 2011 و2015. وفي مونديال 2014 على أرضه، كان على قدر التطلعات، إلاّ أنه أصيب في ربع النهائي ضد كولومبيا، وغاب عن الهزيمة التاريخية 1–7 أمام ألمانيا في نصف النهائي، وكان واحدا من القلائل الذين نجوا من هذه المذلة.

وقاد البرازيل إلى إحراز اللقب الوحيد الذي كان يغيب عن خزائنها، وهو الذهبية الأولمبية.

> أغلى لاعب في العالم يهدر بخروجه المبكر فرصة نيل الكرة الذهبية لأفضل لاعب عالميا، والتي يهيمن عليها البرتغالي كريستيانو رونالدو والأرجنتيني ليونيل ميسي

بعد خسارة البرازيل المباراة النهائية لأولمبياد لندن 2012، نجح القائد نيمار إلى جانب جيل من الشباب في إحراز اللقب في ريو دي جانيرو 2016، حتى أنه سجل ركلة الجزاء الترجيحية التي منحت البرازيل الفوز على ألمانيا في النهائي 5–4 بركلات الترجيح، بعد نهاية الوقت الأصلي والإضافي 1–1، قبل أن يجهش بالبكاء على أرض الملعب.

الاتحاد البرازيلي يثبت تيتي في مكانه

❏ **سوتشي (روسيا)** – أعلن الاتحاد البرازيلي لكرة القدم عن رغبته في استمرار تيتي بمنصب المدير الفني للمنتخب، رغم صدمة الخروج من دور الثمانية ببطولة كأس العالم 2018 لكرة القدم المقامة بروسيا، إثر الهزيمة أمام بلجيكا 1–2 الجمعة.

وقال عضو بارز بمجلس إدارة الاتحاد في تصريحات لصحيفة "أو إستادو" السبت "لا يوجد نقاش بهذا الأمر على الإطلاق".

ومن المفترض أن يستمر عقد تيتي (57 عاما) حتى نهاية يوليو الجاري، ولم يعلن عن قراره بشأن مستقبله بعد مباراة الجمعة أمام بلجيكا.

وقال تيتي لدى سؤاله بشأن استمراره أو رحيله عن المنصب "لا يمكنني الإجابة عن هذا السؤال، مازلت متأثرا بالمباراة".

وكانت بلجيكا محظوظة بتغلبها على البرازيل 2–1 في مباراة مثيرة في قازان الجمعة، وتقدمت بلجيكا 2–صفر بنهاية الشوط الأول، لكن البرازيل بدت الأفضل بشكل كبير في الشوط الثاني، وإضافة إلى هدف ريناتو أوغوستو قبل 14 دقيقة على النهاية، سدّدت البرازيل في إطار المرمى وأجبرت تيبو كورتوا حارس بلجيكا على التصدي للكرة بشكل رائع عدة مرات.

وقال تيتي، الذي أخفى هدوءه المعتاد ما وصفه هو بـ"شعور المرارة"، إنه من المبكر للغاية أن يتخذ قرارا بشأن مستقبله.

وأضاف للصحافيين "لن أقول أي شيء على الإطلاق بشأن مستقبلي، هذه لحظة عاطفية".

وأثار تيتي إعجاب العالم باعتباره أحد أكثر المدربين قوة واتزانا في كأس العالم، وسيواجه مشكلة بكل تأكيد بسبب ما حدث الجمعة، ومع ذلك، أخذ تيتي وقتا ليبتسم ويداعب الصحافيين، مع قيامه بما هو أكثر أهمية متمثلا في شرح مفاهيمه وأفكاره لوسائل الإعلام.

وعلى الرغم من أن أغلب أحاديثه يمكن أن تجد خلالها نفس الأفكار القائمة على مساعدة الذات، فإن صراحته ورحابة صدره جعلتاه محبوبا من الجماهير ووسائل الإعلام على حد سواء، كما أن أسلوب لعب فريقه بدا دوما في غاية الهجومية والإيجابية ممّا زاد من أسهمه.

ويمثل بقاء تيتي في منصبه الخيار الأول، وإذا ما قرر البقاء فإنه ليس لزاما عليه إعادة بناء تشكيلة البرازيل بشكل كامل نظرا لأن العديد من لاعبي الفريق لا يزالون صغارا في السن ويمكنهم اللعب في نهائيات 2022.

ولا يزال نيمار وفيليب كوتينيو وروبرتو فيرمينو وكاسيميرو في السادسة والعشرين من العمر، بينما يكبرهم بعام واحد دوغلاس كوستا، وهو الجناح الذي صنع الفارق عندما لعب أمام بلجيكا. ويبلغ المهاجم غابرييل جيسوس من العمر 21 عاما، بينما لا يزال عمر ماركينيوس، قلب الدفاع الذي تم استبعاده بشكل يتسّم بالقسوة بعد أن كان إحدى الدعائم في تشكيلة المدرب خلال التصفيات، أقل من 24 عاما. وعلاوة على كل هذا، فإن هذه هي البرازيل التي لا ينضب معين المواهب لديها على الإطلاق.

صحف البرازيل تودع اللقب السادس وبلجيكا تحتفل

فرح هستيري في بروكسل بثاني إنجاز تاريخي للشياطين الحمر في المونديال

❏ **ريو دي جانيرو** – بعبارة "وداعا نيمار"، اختصرت صحيفة "لانس" الرياضية البرازيلية خروج منتخب بلادها من الدور ربع النهائي لكأس العالم في كرة القدم أمام بلجيكا 1–2، وسط انتقادات إعلامية "للعرض المخيّب" في الشوط الأول.

وفي المقابل، لم تخف الصحف البلجيكية فرحتها بالمنتخب الذي بلغ الدور نصف النهائي للمرة الثانية في تاريخه، بعد مناسبة أولى كانت في مونديال 1986.

واختار أهم المواقع الرياضية البرازيلية "غلوبوسبورت" عنوان "يا له من شيطان" للحديث عن خسارة الجمعة أمام المنتخب البلجيكي في قازان، وهو تعبير يعني "يا للأسف" بالبرتغالية، إلاّ أنه أيضا يحمل إشارة إلى منتخب "الشياطين الحمر" البلجيكي الذي حرم البرازيل من سعيها لتعزيز رقمها القياسي في عدد الألقاب، والتتويج للمرة السادسة والأولى منذ 2002. وأضاف الموقع أن "الثلاثي كيفن دي بروين، إدين هازارد وروميلو لوكاكو دمّروا السيليساو في 45 دقيقة"، مذكرا بأنها المرة الأولى في عهد المدرب تيتي تستقبل فيها شباك البرازيل أكثر من هدف في مباراة واحدة.

وأعرب المهاجم الدولي السابق رونالدو، صانع اللقب الخامس للبرازيل عام 2002 في كوريا الجنوبية واليابان، خلال تعليقه على المباراة لقناة "غلوبو.تي.في"، عن أسفه كون لاعبي تيتي بدوا عاجزين بعد الهدفين البلجيكيين.

وقال رونالدو الملقب بـ"الفينومينو" (أي الظاهرة) "في الوقت الذي كنا متخلفين 0–2، كان يجب علينا أن نواصل اللعب كما لو أن شيئا لم يحدث، لقد كانوا يائسين.. تحسنوا قليلا بعد الاستراحة، ولكن ذلك لم يكن كافيا".

وبالنسبة إلى الموقع الإلكتروني للصحيفة اليومية "فوليا" في ساو باولو، فإن المنتخب البلجيكي "أوقف" البرازيل.

وأشارت الصحيفة أيضا إلى أن الخسارة "كانت لتكون أقسى وبدأت تشبه نتيجة 1–7، الخسارة المخجلة أمام ألمانيا في الدور نصف النهائي من كأس العالم 2014".

وتابعت أيضا "فعل الثلاثي، لوكاكو وهازارد ودي بروين، ما أراد بالدفاع البرازيلي الذي تلقت شباكه هدفا واحدا فقط خلال هذا المونديال قبل مباراة الجمعة".

ومن جهتها أعربت صحيفة "استادو دي ساو باولو" عن أسفها "للعرض المخيّب" في الشوط الأول.وعلى الرغم من خروج ألمانيا حاملة اللقب من الدور الأول لمونديال روسيا 2018، إلاّ أن الخسارة التي كبدتها للبرازيل على أرضها في 2014 لا تزال حاضرة. وعلق العديد من مستخدمي مواقع التواصل على التشابه بين ألوان العلمين البلجيكي والألماني (الأسود والأحمر والأصفر، مع اختلاف في ترتيبها وشكل العلم بين أفقي وعمودي)، وكتب أحد مستخدمي موقع تويتر قائلا "العدو لم يغادر، كان متنكرا".

وعلى الجانب الآخر من الكرة الأرضية في بروكسل، احتفى البلجيكيون بالإنجاز الذي حققه منتخبهم، بدءا من رئيس الوزراء شارل ميشال الذي غرد عبر حسابه على تويتر متوجها إلى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، في إشارة إلى لقاء المنتخبين في الدور نصف النهائي الثلاثاء، وقال ميشال "في الطريق إلى نصف النهائي.. إلى الأمام أيها الشياطين".

واحتفل العديد من المشجعين في شوارع العاصمة بروكسل وخارج المقاهي والحانات التي تابعوا فيها المباراة. وقالت فيرونيك ديفيلد، التي لوّنت وجهها بألوان العلم البلجيكي (الأسود والأصفر والأحمر)، "كنا قد توقفنا عن الإيمان بقدرتنا على هزيمة الفرق الكبرى".

وقالت صحيفة "نيوزبلاد"، إن مباراة الجمعة "لا يجب نسيانها أبدا!"، علما وأن الصحيفة نفسها كانت قد اعتبرت في عددها الصادر صباح اليوم نفسه، أن المباراة ضد البرازيل ستكون "موعدا مع التاريخ".

دموع الخيبة البرازيلية

ديشان يتطلع لصناعة التاريخ مع «الديوك» وسط توقعات بتعيين زيدان

مدرب المنتخب الفرنسي يسعى إلى الفوز بالمونديال لاعبا ومدربا

لم يحظ ديدييه ديشان المدير الفني الحالي للمنتخب الفرنسي، في أي وقت بمثل الحضور الذي يتمتع به زين الدين زيدان نجم المنتخب السابق والمدرب السابق لريال مدريد الإسباني، ولم يبد ديشان انزعاجا إزاء التوقعات التي تشير إلى أن زيدان سيخلفه في تدريب المنتخب، لكنه أكد أنه يركز في الوقت الحالي على تحقيق هدفه أولا.

❑ **نيجني نوفجورود (روسيا)** – بعد أن شق المنتخب الفرنسي طريقه تحت قيادة مديره الفني الحالي ديدييه ديشان إلى الدور قبل النهائي ببطولة كأس العالم 2018 لكرة القدم المقامة بروسيا، بات ديشان على بعد انتصار واحد من التأهل للنهائي وانتصارين من تحقيق إنجاز لم يسبقه إليه سوى البرازيلي ماريو زاغالو والألماني فرانز بيكنباور، وهو اعتلاء منصة التتويج كلاعب وكمدرب.

وكان ديشان قائدا للمنتخب الفرنسي المتوج باللقب الوحيد لفرنسا حتى الآن في المونديال في نسخة 1998 بفرنسا، والآن يتطلع المدرب إلى مواصلة انطلاقة الفريق في المونديال الروسي أملا في اعتلاء منصة التتويج.

> ديشان يأمل رغم الانتقادات في تحقيق إنجاز لم يسبقه إليه سوى البرازيلي ماريو زاغالو والألماني فرانز بيكنباور، وهو اعتلاء منصة التتويج كلاعب وكمدرب

ولم يكن طريق المنتخب الفرنسي ممهدا في البطولة الحالية، حيث واجه الفريق انتقادات تتعلق بالأداء خلال الدور الأول، ثم تجاوز دوري الستة عشر والثمانية بصعوبة على حساب الأرجنتين وأوروغواي.

ويواجه المنتخب الفرنسي تحديا هائلا في مباراته بالدور قبل النهائي المقررة الثلاثاء في سان بطرسبرغ، حيث يلتقي المنتخب البلجيكي المنتشي بنتائجه المبهرة في المونديال، خاصة انتصاريه على اليابان والبرازيل.

وتشير التوقعات إلى أن إخفاق المنتخب الفرنسي في تخطي عقبة بلجيكا، سيرفع الأصوات المطالبة بإسناد مهمة تدريب المنتخب إلى زين الدين زيدان الذي لم يرتبط بأي عقود منذ رحيله المفاجئ عن تدريب ريال مدريد الإسباني، عقب قيادة الفريق للتتويج بدوري أبطال أوروبا للموسم الثالث على التوالي. وتحلى ديشان بإيجابية هائلة إزاء التوقعات المتعلقة بزيدان، لدى سؤاله بهذا الشأن في حديث لصحيفة "البايس" الإسبانية قبل انطلاق كأس العالم، وقال "لا أرى حضوره (كمرشح) بمثابة تهديد أو ضغط إضافي، في يوم ما ستقع هذه المسؤولية الهائلة على كاهله، ولكن في الوقت الحالي، أنا من يشغل هذا المنصب".

وتأتي تلك التوقعات رغم تكرار التأكيد على أن الرحيل المفاجئ لزيدان عن الريال، لم يكن بهدف إزاحة ديشان وتولي تدريب المنتخب بدلا منه، ولدى سؤال نول لو غراي رئيس الاتحاد الفرنسي للعبة بشأن زيدان، في مايو الماضي، صرح قائلا "لا يوجد نقاش بهذا الشأن، رحيل زيدان عن منصبه لم يكن ضمن مشروع مستقبلي لدينا، وديدييه ديشان لديه عقد حتى 2020".

ورغم ذلك، لا تزال ذكريات ثنائية زيدان في شباك المنتخب البرازيلي بنهائي مونديال 1998 الذي انتهى بفوز المنتخب الفرنسي 3 – صفر، عالقة بشكل هائل في أذهان الجماهير الفرنسية، وهو ما يرجح كفة تعيين زيدان في حالة رحيل ديشان، كذلك عزز زيدان الثقة به وابتعد كثيرا في صدارة قائمة الترشيحات لدى الفرنسيين عن أي مدرب آخر، بعد أن قاد الريال إلى التتويج بدوري الأبطال ثلاث مرات متتالية.

وعلى الجانب الآخر، كافح ديشان (49 عاما) حتى نجح في بناء فريق يتمتع بالصلابة الدفاعية التي منحت الحرية والثقة للثنائي كيليان مبابي وأنطوان غريزمان، وبات الفريق على بعد خطوة واحدة من نهائي المونديال.

ومع ذلك يعتقد ديشان أن فريق "الديوك" لا يزال بعيدا عن التألق، إلا أنه يواصل التحسن، وذلك رغم أنه أطاح بمنتخبين سبق لهما الفوز بلقب كأس العالم لكرة القدم في مراحل خروج المغلوب في النسخة المقامة في روسيا حاليا، وذلك في تحذير شديد اللهجة للاعبي الفريق قبل مواجهة بلجيكا في قبل النهائي.

وعقب أداء سيء في الدور الأول، بدا المنتخب الفرنسي في حالة من الحيوية الشديدة في الانتصار المثير 4 3– على الأرجنتين في بداية مراحل خروج المغلوب، وقدّم أوراق اعتماده بشكل أكبر كمرشح لنيل اللقب بأداء مريح بانتصاره 2 – صفر على أوروغواي القوية في دور الثمانية للبطولة، وذلك على أستاد نيجني نوفجورود، الجمعة.

وقال مدرب فرنسا "مررنا بدور أول معقد، لم نكن في قمة تألقنا، لكننا اتسمنا بالواقعية والفاعلية، لم نصل إلى قمة مستوانا، لكن المباراة أمام الأرجنتين أظهرت مدى النمو الذي حققناه على صعيد القوة".

وأضاف "كنا أفضل أمام أوروغواي، لكن لا تزال هناك بعض العيوب، لا تزال لدينا المزيد من القدرات التي بوسعنا أن نظهرها".

وبدا ديشان سعيدا لحقيقة أن تشكيلته صغيرة السن نسبيا "أظهرت نضجا"، على الرغم من وقائع الشد والجذب قرب نهاية لقاء أوروغواي والتي كانت ستؤدي إلى إيقاف لاعب أو اثنين من الفريق خلال مباراة الدور قبل النهائي.

وفي ظل متوسط أعمار يبلغ 26 عاما، حضرت فرنسا إلى نهائيات روسيا وهي تملك ثاني أصغر تشكيلة مشاركة في البطولة، وقال المدرب "لديّ تشكيلة شابة تعمل كفريق وباتت تتسم بالمقاومة بشكل أكبر". وأضاف "يمكنك رؤية حالة اللاعبين الذهنية الإيجابية، استطاعوا تحقيق الكثير من التقدّم".

وصمد ديشان في وجه الانتقادات التي طالته لدى الإعلان عن قائمة المنتخب الأولية في مايو الماضي، والتي استبعد منها أنتوني مارتيال ودميتري بايبه، كما واصل استبعاد كريم بنزيمة.

ويغيب بنزيمة مهاجم ريال مدريد عن صفوف المنتخب الفرنسي منذ أن تورط في قضية ابتزاز لزميله ماتيو فالبوينا في عام 2015، ورغم تتويجه مع الملكي بلقب دوري الأبطال في ثلاثة مواسم، تمسك ديشان بموقفه في استبعاده وواصل الاعتماد على أوليفيه غيرو.

والآن أثبت ديشان أنه لا يمكن لأحد إثبات خطأ فعلي في قراراته، وقد صرح عقب المباراة التي انتهت بالفوز على أوروغواي 2 – صفر، الجمعة، "لديّ فريق شاب لا يزال أمامه مجال للتطور".

وأضاف "يمكن ملاحظة غياب الخبرة أحيانا، ولكن الفريق لديه الكثير من العطاء والقدرات أيضا".

ورغم أن ديشان كان قائدا للمنتخب الفرنسي المتوج بمونديال 1998 وكذلك عندما توج بكأس الأمم الأوروبية بعدها بعامين، لم يحظ بمثل الشعبية التي تمتع بها زيدان بين الجماهير الفرنسية.

ورغم النجاح الذي حققه مع موناكو ومرسيليا، لم يحظ ديشان بشهرة عالمية كمدرب، ولكن كل ذلك قد يتغير إذا نجح في تحقيق الإنجاز التاريخي عبر المونديال الحالي.

ويتطلع ديشان إلى تكرار إنجاز البرازيلي زاغالو الذي توج بالمونديال لاعبا في نسختي 1958 و1962 ومدربا في 1970، وبيكنباور المتوج لاعبا في 1974، ومدربا في 1990.

سعيد بهذا الجيل

هذا الساحر كم هو مبهر

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❑ ربما يمكن لعام 2002 أن يبقى عالقا في أذهان صنّاع الكرة وروادها في بلجيكا، ففي ذلك العام شارك منتخب "الشياطين الحمر" في منافسات كأس العالم بكوريا الجنوبية واليابان، تمكن من تجاوز الدور الأول قبل أن يصطدم في الدور الثاني بمنتخب برازيلي قوي و"شرس" أنهى تلك المواجهة لفائدته على حساب منتخب بلجيكي افتقد مقومات المنافسة القوية.

في تلك السنة التي شهدت إخفاقا منتظرا في المونديال، بدأت الصحافة المحلية تبحث مع القائمين على تطوير الكرة البلجيكية عن السبل الكفيلة كي تصبح بلجيكا ضمن مصاف النخبة يوما ما، ومن المصادفة أن بعض الصحف بدأت تتحدث عن ظهور جيل جديد من اللاعبين الصغار الموهوبين.

لقد نبهت هذه الصحف إلى ضرورة العناية بهم وتسهيل الدرب أمامهم كي يحترفوا ويطوروا قدراتهم علهم يقدرون مستقبلا على إعلاء راية منتخب "الشياطين"، لقد أفردت صحيفة بلجيكية ذات مرة في ذلك العام عددا كاملا للحديث عن بعض اللاعبين الذين لم تتجاوز أعمارهم 12 سنة، قالت هذه الصحيفة إن هؤلاء اللاعبين يحملون "جينات" النبوغ والموهبة الفذة، وتكهنت بقدرتهم على البروز بشكل رائع في المستقبل.

لقد صدقت هذه التكهنات، فبعد أن تم التخطيط لكل شيء وتم إيلاء العناية اللازمة بهؤلاء اللاعبين الصغار، الذين أصبحوا اليوم لاعبين كبارا، بل باتوا في المراكز الأولى ضمن صفوة نجوم الكرة العالمية.

هل تعلمون من كان منذ 16 سنة ضمن قائمة اللاعبين الواعدين الذين تحدثت عنهم الصحيفة البلجيكية؟ كان هناك روميلو لوكاكو وديربيس ميرتينس وكيفين دي بروين وفانسون كومباني وكذلك إيدين هازارد.

لقد صحت التوقعات، وبات هؤلاء الأطفال لاعبين رائعين يشار إليهم بالبنان، لقد نجحت التجربة البلجيكية في تكوين المواهب والناشئين، فحق لها اليوم أن "تثأر" من "كتيبة" البرازيل، فعبثت بها و"بعثتها" (أرسلتها) في أقرب طائرة متوجهة من روسيا إلى البرازيل.

لكم أن تتصوروا أن هذا المنتخب البلجيكي الذي لم يحقق في السابق أي نتائج تاريخية ضمن منافسات كاس العالم سوى الوصول إلى نصف النهائي في دورة المكسيك سنة 1986، بات اليوم أقرب من أي وقت مضى لتسجيل اسمه ضمن قائمة المتوجين باللقب العالمي الأغلى، والفضل في ذلك يعود إلى جيل ذهبي ورائع بأتم معنى الكلمة سيخلده التاريخ الكروي لهذا البلد.

هذا الجيل يضم لاعبا ساحرا ومميزا للغاية، هو نجم علا إلى أبعد نقطة في السماء فأضاء بنوره في سماء مدينة قازان الذي احتضنت معركة بلجيكا والبرازيل في قمة لقاءات الدور ثمن النهائي لهذا المونديال الروسي.

إنه بلا شك ذلك الأنيق صاحب القميص رقم عشرة مع منتخب "الشياطين الحمر" إيدين هازارد، لقد فعل كل شيء، رقص وتراقص لعب وتلاعب، تمتع وأمتع، وقدّم واحدة من أفضل العروض الكروية في هذا المونديال، حقّ له أن ينافس على لقب جائزة اللاعب الأفضل والأكمل.

هذا الساحر كم هو مبهر، لقد انتزع النجومية من الجميع، ربما ساد الاعتقاد أن نيمار سيكون صاحب الكلمة الفصل ويحقّق أماني كل البرازيليين ويقود منتخب بلاده إلى تخطي نكسة المونديال الماضي، ويساهم في حصوله على اللقب العالمي الذي غاب عن منتخب "السامبا" منذ دورة 2002، لكن كان لهازارد رأي آخر.

لقد سحب البساط من نيمار ومن الجميع، كان النجم في تلك الليلة، كان فارس ملحمة قازان، قدّم أفضل ما لديه وساهم بشكل كبير للغاية في ذلك الفوز التاريخي، لقد أراد أن يؤكد أن هذا المونديال هو مونديالـه، أراد أن يؤكد للعالم بأسره أن النجومية لم تعد بعد اليوم حكرا على رونالدو وميسي ونيمار، ففي البحر الكثير من اللآلئ وفي أفق السماء الممتدة مكان رحب يتسع لكل النجوم.

ما يحصل لهازارد في المونديال بدا وكأنه سيناريو مكرر لما حصل مع إينييستا في مونديال جنوب أفريقيا سنة 2010، ففي تلك البطولة كان "الرسام" الإسباني نجما "خرافيا" ومبدعا إلى درجة الكمال، ساهم بفضل إبداعاته ولمساته الساحرة في قيادة المنتخب الإسباني إلى الحصول على اللقب العالمي لأول مرة في تاريخه.

لقد كان الأفضل في البطولة رغم وجود ميسي ورونالدو وبقية نجوم الصف الأول، لكنه استأثر لنفسه بكل التألق واستحوذ على لقب "الملك" في تلك البطولة.

اليوم قد يكون هازارد "عريس" روسيا الجديد، قد يكون المتوج الجديد، فما قدّمه إلى حد الآن يجيز له أن يحلم بكل ثقة في أن يحقّق حلم 16 سنة من الانتظار، ما قدّمه يشفع له أن يكون الأفضل، عروضه المبهرة الساحرة ستقوده بلا شك إلى التقدّم أكثر في هذه البطولة.

قطعا ليس من السهل على أي منتخب أن يحقّق العلامة الكاملة في الدور الأول ويفوز في كل مبارياته، من الصعب أيضا أن يعود من بعيد ويحقّق "ريمونتادا" تاريخية في مباراة إقصائية ضمن الدور ثمن النهائي ضد منتخب ياباني قوي ومتحمس للغاية، ومن شبه المستحيل التغلب على منتخب برازيلي يضم "ترسانة" من اللاعبين المميزين.

لكن من يملك هازارد يملك الميدان ويستحوذ على المكان، هكذا يبدو حال المنتخب البلجيكي الذي آمن القائمون عليه أن تشييد بنيان مرصوص ينطلق حتما من القاعدة، كسروا كل شيء ومنحوا الثقة لهذا الجيل المتقد حماسا بقيادة نجم ساحر اقترب من كسر احتكار ميسي ورونالدو لجائزة الأفضل في العالم، إنه ذلك الساحر هازارد.. كم هو مبهر.

إنكلترا إلى نصف النهائي

❑ **سامارا (روسيا)** – بلغ المنتخب الإنكليزي لكرة القدم الدور نصف النهائي لكأس العالم في روسيا، بفوزه، السبت، على المنتخب السويدي 2 – صفر، ليحجز بطاقته في دور الأربعة للمرة الثالثة في تاريخه والأولى منذ 1990.

وتقدم المنتخب الإنكليزي بهدف سجله هاري ماغوير في الدقيقة 30 قبل أن يسجل ديلي آلي الهدف الثاني في الدقيقة 59.

وتأهل المنتخب الإنكليزي لهذا الدور بعدما احتل المركز الثاني في المجموعة السابعة برصيد ست نقاط، ثم الفوز على كولومبيا 4 – 3 بركلات الترجيح في دور الستة عشر بعدما انتهى الوقتين الأصلي والإضافي بالتعادل 1 – 1.

فيما صعد المنتخب السويدي لهذا الدور بعدما احتل صدارة المجموعة السادسة برصيد ست نقاط بفارق الأهداف عن المنتخب المكسيكي، ثم تغلب على المنتخب السويسري 1 – صفر في دور الستة عشر.

وكان الحرص الزائد هو السمة السائدة مع بداية المباراة، حيث فضل الفريقان عدم الاندفاع هجوميا واعتمدا على التمريرات القصيرة من أجل خلخلة دفاع المنافس، وهو ما أدى إلى انحصار اللعب في وسط الملعب، حتى جاءت الدقيقة 30، والتي شهدت الهدف الأول للمنتخب الإنكليزي عندما لعب آشلي يونغ الكرة داخل منطقة جزاء المنتخب السويدي من ركلة ركنية ارتقى إليها هاري ماغوير وقابلها بضربة رأس قوية سكنت المرمى.

وبعد الهدف كثف المنتخب السويدي من هجماته بحثا عن تسجيل هدف التعادل، ولكنه فشل في اختراق الدفاع القوي والمنظم للمنتخب الإنكليزي لينحصر اللعب مرة أخرى في وسط الملعب.

ومع بداية الشوط الثاني، كثف المنتخب السويدي من هجماته بحثا عن تسجيل هدف التعادل، في الوقت نفسه، تراجع المنتخب الإنكليزي إلى وسط ملعبه من أجل الحفاظ على تقدّمه واعتمد على الهجمات المرتدة.

وفي الدقيقة 59 تمكن المنتخب الإنكليزي من تسجيل الهدف الثاني عندما لعب جيسي لينغارد كرة عرضية من على حدود منطقة جزاء المنتخب السويدي من الناحية اليمنى ليقابلها ديلي آلي بضربة رأس من داخل منطقة الجزاء إلى داخل المرمى، ليتأهل الأسود الثلاثة إلى المربع الذهبي.

الحلم يستمر

مهرجان «كوميك كون» العالمي ضيف التونسيين من جديد

استمتع التونسيون بمشاهدة شخصياتهم الكرتونية المفضلة والمشاركة في ألعاب الفيديو مع استضافة قصر المعارض بالكرم في الضاحية الشمالية للعاصمة للدورة الثالثة من مهرجان "كوميك كون".

فضاء مفتوح لتقمص أدوار شخصيات كرتونية مفضلة

❏ **الكرم (تونس)** - حظي العديد من محبي المسلسلات الترفيهية والصور المتحركة ومحترفي ألعاب الفيديو في تونس على امتداد ثلاثة أيام بفعاليات الدورة الثالثة لمهرجان "كوميك كون".

وشهدت دورة هذه السنة مشاركة الممثل المصري خالد أبوالنجا، والذي قام بدور زيادة الله القيرواني في مسلسل "الفايكنغ".

ويعتبر أبوالنجا أن سلسلة الفايكنغ الأيرلندية الكندية والتي تم بثها في الولايات المتحدة "يمكن أن تكون من المسلسلات التي لها متابعة كبيرة في العالم".

وتابع "كنت أسمع عن المسلسل ولكن لم أتابعه، وقبلت المشاركة في جزئه الخامس وأنا ضد الفايكنغ".

وأضاف "الدور كان لزيادة الله القيرواني والذي كان أمير القيروان في تلك الفترة، التجربة كانت مختلفة عن تجاربي السابقة لأنه مسلسل مبني وفق حقائق تاريخية ويحتوي على جزء من الدراما".

وتواصلت تظاهرة "كوميك كون" لثلاثة أيام وتوافد عليها الآلاف من المولعين بهذه الثقافة التي تجمع عشاق ألعاب الفيديو.

وشارك في الدورة التي رجح منظموها أن تشهد حضور أكثر من ثمانية آلاف زائر، وليام سمبسون راسم القصة الخيالية للمسلسل التلفزيوني الشهير "غيم أوف ثرونز"، التي تصور صراعا شديد الشراسة للسيطرة.

وتجمّع داخل الفضاء الشاسع في "قصر المعارض" بمنطقة الكرم (الضاحية الشمالية) بالعاصمة تونس، المئات من محبي ألعاب الفيديو الذين جاؤوا لمتابعة منافسة حامية الوطيس بين فريقين في لعبة "ليغ أوف ليجيند" على شاشتين عملاقتين وصوت المعلقين على اللعب لا يخفت وسط هتاف متواصل من الجماهير.

ويبدأ عدد من الشباب والمراهقين والأطفال في تونس في الاستعداد لهذا الحدث بتصميم الثياب وأقنعة الشخصيات المفضلة لديهم في المسلسلات الكرتونية والخيالية.

وقالت رؤى حمدي (18 عاما)، التي قضت قرابة أربعة أشهر في خياطة وصنع إكسسوارات شخصية "كاتارينا" في سلسلة "ليجيند" الشهيرة، "لجأت إلى مصمم لمساعدتي في قيافة الثوب، أما السيوف فقد صنعتها بنفسي وقد انقطعت عن الدراسة من أجل تعلم هذا، أنا أعشق هذا".

وبيّن سرحان اللواتي (42 عاما)، وهو أب لطفلين أحدهما يرتدي قميص الشخصية الكرتونية "باتمان"، أن المهرجان "يعتبر فرصة لاصطحاب الأطفال لمشاهدة بعض الشخصيات التي يتابعونها عبر شاشة التلفزيون ويتحمسون لها".

وشهدت تونس في سبتمبر 2016 للمرة الأولى تنظيم هذا المهرجان، وحضر الفعالية التي استمرت ليوم واحد الآلاف من هواة "كوميك كون" مرتدين أزياء تنكرية.

و"كوميك كون" مهرجان عالمي انتظم سابقا في عدة دول، وعادة ما يتضمن تجسيد شخصيات عرفت في أفلام كرتونية.

الدجاج المقلي رسالة أطفال كهف تايلاند لذويهم

❏ **بانكوك** - طلب أطفال عالقون بأحد الكهوف في تايلاند منذ أكثر من أسبوعين، الدجاج المقلي ضمن قائمة طعام قدموها إلى الجهات المعنية بإنقاذهم.

وأرسل الأطفال طلبهم عبر رسالة مكتوبة بخط اليد، شملت أيضا طمأنة ذويهم، بحسب ما أفادت هيئة الإذاعة البريطانية بي.بي.سي.

وكتب الأطفال وعددهم 12 لأسرهم "لا تقلقوا.. نحن أقوياء". كما ناشد أحدهم في رسالة وجهها لمعلمه "لا تعطينا واجبات مدرسية كثيرة".

واعتذر إيكابول شانتاونغ، مدرب الأطفال والذي اصطحبهم في 23 يونيو الماضي للعب كرة القدم في الكهف.

وقال شانتاونغ (25 عاما) في رسالة مكتوبة "أعزائي آباء الأطفال، الآن جميعهم بخير، وفريق الإنقاذ يعاملنا جيّدا".

وتابع "أعدكم بأن أعتني بالأطفال بقدر ما أستطيع، وأشكر كل من جاء للمساعدة".

وتنقسم الآراء في تايلاند حول هذا المدرّب بين من يحمّلونه مسؤولية الدخول مع فتيان إلى مغارة في موسم الأمطار، ومن يتحدّثون عما فعله ليساعدهم على الصمود وهم عالقون في باطن الأرض والماء من حولهم.

ومن بين الرسائل أيضا التي نقلها الغطاسون من الفتيان العالقين في المغارة في شمال تايلاند إلى عائلاتهم، ما كتبه إيكارات لوالديه "أبي وأمي لا تقلقا، لقد غادرت البيت قبل أسبوعين، لكنني سأعود لأساعدكما في أعمال المتجر".

وكتب رفيقه دوم "أنا في حال جيد، لكن الحرارة منخفضة قليلا هنا، لا تقلقا عليّ، ولا تنسيا أن تعدّا لي حفل عيد ميلادي".

وهذه الرسائل التي كتبها الأطفال لعائلاتهم المنتظرة بشوق وقلق على باب المغارة، هي الدليل الأول على تواصل العالقين في المغارة مع الخارج، بعد المقاطع المصوّرة التي خرجت لدى العثور عليهم، وبدت عليهم علامات الشحوب ونقص في التغذية في مقطع مصور.

وكانت السلطات التايلاندية أعلنت الاثنين الماضي، العثور على الأطفال ومدربهم أحياء، بعد أن حاصرتهم المياه لمدة تسعة أيام داخل كهف بمدينة شيانغ راي، شمالي البلد الآسيوي. وكان الفتيان ومدربهم دخلوا المغارة الواقعة شمال تايلاند عند الحدود مع بورما ولاوس في يونيو الماضي، ثم هطلت أمطار موسمية غزيرة.

وتدرس فرق الإنقاذ احتمال تنفيذ عملية إجلاء خطرة، لأن السماء توشك أن تمطر في الأيام المقبلة، وهو ما سيقوّض جهود ضخ المياه خارج المغارة وسيغرقها أكثر.

ويكفي للدلالة على خطورة طريق العودة وصعوبته أن أحد رجال الإنقاذ قضى الجمعة وهو ينفّذ مهمة نقل مؤن للداخل.

ويضاف إلى ذلك أن مجموعة من الفتيان لا تحسن السباحة، ولا أحد منهم يعرف عن الغطس شيئا.

ويتطلّب الأمر الآن 11 ساعة ليتمكّن غطّاس محترف من الدخول والعودة ست ساعات للدخول وخمس ساعات أخرى للخروج، بسبب ضغط المياه.

ويدرس المنقذون احتمالا آخر غير الغطس، وهو إخراج الفتيان من الأعلى، أي الحفر في الصخر للوصول إلى موقعهم.

وتحتل هذه القضية واجهة الاهتمام الإعلامي في تايلاند والمنطقة والعالم أيضا، ويعسكر بجوار المغارة 1100 صحافي مع كاميراتهم في هذه الغابة الاستوائية الموحلة.

نشرت الفنانة الإماراتية أحلام على حسابها بموقع تويتر ردا مع صورة تجمعها بابنها وزوجها خلال تمضيتهم عطلة بباريس لحسم الجدل الكبير الذي أثاره هاشتاغ #طلاق_الفنانة_أحلام. ودوّنت «يا أصحاب الهاشتاغ انشروا هاشتاغا مثله لحفلتي القادمة بأميركا.. المشكلة أنه يحبني وأنا أحبه ونحن نحب بعضنا كثيرا»

أكاديمية جديدة تمنح نوبل بديلة للآداب

❏ **ستوكهولم** - أنشأت مجموعة من المثقفين السويديين تطلق على نفسها تسمية "الأكاديمية الجديدة" جائزة نوبل للآداب هي على طرف نقيض من تلك الأصلية التي تعكس في نظرها دوائر تستشري فيها "الامتيازات والمصالح المتضاربة والنزعات الغرورية وممارسات تمييزية".

وتحتفي هذه الجائزة التي استحدثت بانتظار العودة المحتملة لنوبل الآداب العام المقبل بقيم "الديمقراطية والانفتاح والتعاطف والاحترام"، بحسب مؤسسيها الذين يتخطى عددهم المئة حتى الساعة.

وتأتي هذه المبادرة في وقت تتخبط فيه الأكاديمية السويدية التي عمرها أكثر من مئتي سنة والتي تمنح كل عام منذ 1901 جائزة نوبل للآداب، في مشكلات جمة، فهي لم تسلم أيضا من شرّ الهزة التي أحدثتها فضائح التحرش الجنسي في العالم بعد أن اتهمت 18 امرأة علنا في الخريف الماضي زوج أحد أعضاء الأكاديمية الذي يحظى بدعم من المؤسسة، بالتحرش والاعتداء والاغتصاب.

وبحسب ما أوضحت المحررة والمقدمة التلفزيونية ألكساندرا باسكاليدو التي ساهمت في تأسيس الأكاديمية الجديدة، فإن المؤسسة الجديدة الرديفة تسعى "إلى إنشاء حيز مفتوح وشمولي يسمح للناس بالتعبير عن آرائهم".

صباح العرب

عدلي صادق

قمصان وعمائم

❏ حققت النساء الإيرانيات في مونديال روسيا فوزا ثمينا على أشد الملالي تطرفا. ولم يُحسب هذا الفوز بالأهداف، وإنما بإيحاءات ضمنية ذات دلالات بعيدة تلامس السياسة. ففي روسيا التقت عمائم الملالي مع مرتديات القمصان بأكمامها القصيرة، على عاطفة واحدة جمعت الطرفين. فكان ما تتمناه السافرة التي لوّنت خدّيها أو تخشاه، هو نفسه الذي يتمناه الملالي أو يخشونه. ولعل هذا هو إحدى كرامات الساحرة المستديرة والمستطيل الأخضر. ومن المفارقات أن اللقاء جاء سُفليا يتعلق بأقدام اللاعبين وأحذيتهم، وبروح الفريق وطموحات الإنسان الإيراني إلى علو الشأن.

الفتاتان كانيا وباريا مشجعتان متحمستان لكرة القدم في بلديهما الذي تمنع سلطاته المرأة من مشاهدة مباريات الكرة من المدرجات، بذريعة أن سِمة هذه المدرجات ذكورية صرفة. وكم تمنّت البنتان أن تكون المدرجات مختلطة شبيهة بتظاهرات إسقاط الشاه في شتاء العام 1979، لأن الهتاف للفريق الإيراني اليوم يصبّ في اتجاه الهتاف للخميني في الأمس، وإلا لماذا تتعلق أفئدة الملالي بفريق الكرة؟

في مارس الماضي، سمعت البنت باريا أن الحكومة خففت القيود على مشاهدة النساء مباريات كرة القدم من المدرجات. فاعتمرت غطاء رأسها وتوكلت على الله لكي تحضر هي و29 امرأة، إلا أن الشرطة ألقت القبض عليهن جميعا وسجنتهن ليلة واحدة وأفرجت عنهن بعد الإمضاء على تعهدات بعدم تكرار المحاولة الخبيثة. لكن باريا وكانا استعدتا للسفر إلى روسيا لحضور المونديال، واشترت الفتاتان مبكرا بطاقات الدخول لمشاهدة كل المباريات التي يشارك فيها فريقهن. وهناك في كازان، عاصمة جمهورية تتارستان المسلمة ضمن روسيا الاتحادية، فوجئت الفتاتان بنساء إيرانيات يربو عددهن على عشرة آلاف، يحضرن مباراة فريقهن مع إسبانيا، ومعظمهن جئن من أوروبا وأستراليا وأميركا، ليصبح عدد الإيرانيات يمثل أعلى نسبة حضور نسائي للمباريات بعد الروسيات.

ربما يتولى المحللون الاجتماعيون معاينة خلجات قلوب اللاعبين، ليعلموا هل كان نجوم كرة القدم يريدون إسعاد الملالي قبل إسعاد المشجعات أم العكس. أما محللو السياسات، فيتعيّن عليهم القيام بمعاينة أخرى، لمعرفة مدى علاقة الحضور النسائي الإيراني على المدرجات، بتنامي المجتمع المدني الناشط في إيران. فالمرأة رافد قوي لحركة المجتمع المدني، مثلما كانت رافدا لحركة الشارع في تظاهرات إسقاط الشاه!

في المدرجات، تشابه ظهور الإيرانية مع ظهور الروسية. ألوان العلم على الخدود، ونثار من القبلات الهوائية، بالترافق مع لقطات الأداء، ولا ندري ماذا كن سيفعلن لو أن فريقهن اكتسح الفرق الأخرى؟